این کتاب منهاج العابدین است تصنیف امام غزالی است آخر تصنیف است از مصنفات او قدس الله روحه الشریف

من کتب هذه الحروف على ظهر الكتاب كان قادرا على ... ٢٢ ربيع ١١٠١ ... ٢٢ ح ١١٠١

محمود رضا

کتاب ١٠٠٦

شیخ عطار

کاملی گفتست می باید بسی علم حکمت تا نخی گویم کسی
لیک باید عقل بحد و قیاس تا شود خاموش یک حکمت شناس

هذا کتاب منهاج العابدین

سالها باید که تا یک مشت پشم از پشت میش
خرقه گردد صوفیی را یا حماری را رسن

یا الله الذی لیس کمثله شیء وهو السمیع البصیر اسئلك ان تصلی علی محمد
وال محمد وان تجعل فرجهم اللهم من کان اصبح وامسی له
ثقة ورجاء غیرك فانی اصبحت وامسیت وانت ثقتی و
رجائی فی الامور کلها یا اکرم من سئل ویا اجود من اعطی
ویا ارحم من استرحم صل علی محمد وآل محمد وارحم ضعفی وقلة
حیلتی وامنن علی بالجنة طولا منك وفك رقبتی من النار و
عافنی فی نفسی وفی جمیع اموری کلها برحمتك یا ارحم الراحمین

این رساله الست لعلت نفس آخر تصنیف غزالی

حرره العبد الاقل محمد اسحق ...

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ عبد الملك بن عبد الله املى علينا الشيخ الامام الاجل
الموفق السعيد حجة الاسلام زين الدين ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي
هذا الكتاب وهو اخر كتاب صنفه ولم يستمله منه الا خواص
اصحابه واوله الحمد لله الملك الحكيم الجواد الكريم العزيز الرحيم
الذي فطر السموات والارض بقدرته ودبر الامور في الدارين
بحكمته وما خلق الجن والانس الا لعبادته فالطريق واضح للقاصدين
والدليل لائح للناظرين ولكن الله يضل من يشاء ويهدي الى
من يشاء وهو اعلم بالمهتدين والصلوة على محمد سيد المرسلين
وعلى آله الابرار الطيبين اجمعين وسلم وعظم الى يوم الدين
اعلموا اخواني اسعدكم الله واياي بمرضاته ان العبادة ثمرة العلم
وفايدة العمر وحاصل الانبياء وبضاعة الاولياء وطريق الاتقياء
وقسم الاعزة ومقصد ذوي الهمة وشعار الكرام وحرفة الرجال
واختيار ذوي الابصار وهي سبيل السعادة ومنهاج الجنة
قال الله تع وانا ربكم فاعبدون وقال عز وجل ان هذا
كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ثم انا نظرنا فيها وتاملنا
طريقها من مباديها الى مقاصدها التي هي اماني سالكيها فاذا

هي

هي طريق وعر وسبيل صعب كثيرة العقبات شديدة المشقات
بعيدة المسافات عظيمة الافات كثيرة العوايق والموانع
خفية المهالك والمقاطع غزيرة الاعداء والقطاع عزيزة الاشياع
والاتباع وهكذا يجب ان يكون لانها طريق الجنة فيصدق بما
قال رسول الله صلى الله عليه واله ان الجنة حفت بالمكاره وان
النار حفت بالشهوات وقال صلى الله عليه وسلم الا وان الجنة حزن
بربوة الا وان النار سهل بسهوة ثم مع ذلك كله فان العبد ضعيف
وامر الدين متراجع والقوى قليلة والشغل كثير والعمر قصير وفي
العمل تقصير والناقد بصير والاجل قريب والسفر بعيد والطاعة
هي الزاد فلا بد منها وهي فايتة فلا مرد لها فمن ظفر بها فقد فاز و
سعد ابد الابدين ومن فاته ذلك فقد خسر مع الخاسرين وهلك
مع الهالكين فصار هذا الخطب اذا والله معضلا والخطر عظيما
ولذلك عز من السالكين من يقصد هذا الطريق وقل ثم عز
من القاصدين من يسلكه ثم عز من السالكين من يصل الى المقصود
ويظفر بالمطلوب وهم الاعزة الذين اصطفاهم الله عز وجل
لمعرفته ومحبته وسددهم بتوفيقه وعصمته ثم اوصلهم بفضله
الى رضوانه وجنته فنسأله جل ذكره ان يجعلكم وايانا من
اولئك الفائزين برحمته نعم ولما وجدنا هذا الطريق بهذه

الصفة نظرنا وامعنا النظر فی کیفیة قطعها وما یحتاج الیه العبد
من الاهبة والعدة والالة والحیلة من علم وعمل عسی ان یقطعها
بحسن توفیق الله تع والسلامة ولا ینقطع فی عقباتها المهلکة
فیهلک مع الهالکین والعیاذ بالله فصنفنا فی قطع هذا الطریق
وشرحها کتبا کاحیاء علوم الدین والقربة الی الله تع وغیر ذلک
واحتوت علی دقایق من العلوم واعتاصت علی افهام العامة
فقدحوا فیها وخاضوا فیما لم یستحسنوه وای کلام افصح من کلام
رب العالمین وقد قالوا اساطیر الاولین الم تسمع الی قول زین العابدین
علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب علیهم السلم اذ یقول • انی لاکتم
من علمی جواهره • کی لا یری الحق ذو جهل فیفتتنا • وقد تقدم فی
هذا ابو حسن • الی الحسین ووصی قبله الحسنا • یا رب جوهر
علم لو ابوح به • لقیل انت ممن یعبد الوثنا • ولاستحل رجال
مسلمون دمی • یرون اقبح ما یاتونه حسنا • واقتضت الحال
عین ذوی الدین النظر الی کافة خلق الله تعالی بعین الرحمة وترک المماراة
فابتهلت الی من بیده الخلق والامر ان یوفقنی لتصنیف کتاب یقع علیه الاجماع
ویحصل بقراءته الانتفاع فاجابنی الذی یجیب المضطر اذا دعاه واطلعنی
بفضله علی اسرار ذلک والهمنی فیه ترتیبا عجیبا لم اذکره فی المصنفات
التی تقدمت فی اسرار معاملات الدین وهو الذی انا واصفه فاقول

اعتواص دشوار شدن

ابتهال بزاری دعا کردن

وبالله

٣

وبالله التوفیق ان اول ما ینتبه العبد للعبادة ویتجرد لسلوک طریقها
یکون بخطرة سماویة من الله عز وجل وتوفیق خاص الهی وهو المعنی
بقوله عز وجل افمن شرح الله صدره للاسلام فهو علی نور من ربه والیه اشار
صاحب الشرع صلوات الله علیه وسلامه فقال ان النور اذا دخل القلب
انفسح وانشرح فقیل یا رسول الله هل لذلک من علامة یعرف بها فقال
التجافی عن دار الغرور والانابة الی دار الخلود والاستعداد للموت قبل
نزوله فاذا اخطر بقلب العبد اول کل شیء یقول انی اجدنی منعما علی
بضروب من النعم کالحیاة والقدرة والعقل والنطق وسایر المعانی
الشریفة واللذات وما ینصرف عنی من ضروب المضار فان لها منعما
یطالبنی بشکره وخدمته فان اغفلت ذلک فیزیل عنی نعمته ویذیقنی
باسه ونقمته وقد بعث الی رسولا ایده بالمعجزات الخارقة للعادات الخارجة
عن مقدور البشر واخبرنی بان لی ربا جل ذکره قادرا عالما حیا متکلما
یامر وینهی قادرا علی ان یعاقبنی ان عصیته ویثیبنی ان اطعته عالما
باسراری وما یختلج فی افکاری وقد اوعد ووعد وامر بالتزام قوانین
الشرع فیقع فی قلبه انه ممکن اذ لا استحالة لذلک فی العقل باول البدیهة
فیخاف علی نفسه عنده ویفزع فهذا خاطر الفزع الذی ینبه العبد
ویلزمه الحجة ویقطع عنه المعذرة ویزعجه الی النظر والاستدلال فیهتاج
العبد عند ذلک ویقلق وینظر فی طریق الخلاص وحصول الامان

له مما وقع بقلبه او سمعه فلم يجد فيه سبيلا سوى النظر تعقله
في الدلايل والاستدلال بالصنعة على الصانع ليحصل له العلم
اليقين بما هو الغيب فيعلم ان له ربا كلفه وامره ونهاه
فهذه اول عقبة استقبلته في طريق العبادة وهي عقبة
العلم والمعرفة ليكون من الامر على بصيرة فياخذ في قطعها
من غير بد بحسن النظر في الدلايل ووفور التامل والتعلم و
السوال من علماء الاخرة الذين هم ادلاء الطريق وسرج
الامة وقادة الايمة والاستفادة منهم واستهداء الدعاء
الصالح منهم للتوفيق والاعانة الى ان يقطعها بتوفيق الله تعالى
فيحصل له العلم اليقين بالغيب وهو ان له الها واحدا
لا شريك له هو الذي خلقه وانعم عليه بكل هذه النعم فانه
كلفه بشكره وامره بخدمته وطاعته بظاهره وباطنه
وحذره الكفر وضروب المعاصي وحكم له بالثواب
الخالد ان اطاعه وبالعقاب الخالد ان عصاه وتولى عنه
فعند ذلك تبعثه المعرفة واليقين بالغيب على التشمير
للخدمة والاقبال على العبادة لهذا السيد المنعم الذي
طلبه فوجده وعرفه بعد ما جهله ولكنه لا يدري
كيف يعبده وماذا يلزمه من خدمته بظاهره وباطنه

فبعد

فبعد حصول هذه المعرفة بالله تعالى يعلم ما يلزمه من فرايض
الشرعية ظاهرا وباطنا واستكمال العلم والمعرفة بالفرايض
انبعث لياخذ في العبادة ويشتغل بها فنظر فاذا هو
صاحب جنايات وذنوب وهذا حال الاكثر من
الناس فيقول كيف اقبل على العبادة وانا مصر على المعصية
متلطخ بها فيجب اولا ان اتوب اليه ليغفر لي ذنوبي ويخلصني
من اسرها واتطهر من اقذارها فاصلح للخدمة وبساط
القربة فتستقبله هاهنا عقبة التوبة فيحتاج لا محالة
الى قطعها ليصل الى ما هو المقصود منها فياخذ في ذلك
باقامة التوبة في حقوقها وشرايطها الى ~~ان يقطعها~~
~~فلما حصلت له التوبة في حقوقها وشرايطها الى ان~~
يقطعها فلما حصلت له التوبة الصادقة وفرغ من هذه
العقبة حن الى العبادة لياخذ فيها فنظر فاذا حوله
عوايق محدقة به كل واحد منها يعوقه عما قصد له من العبادة
بضرب من التعويق فتامل فاذا هي اربعة الدنيا والخلق
والشيطان والنفس فاحتاج لا محالة الى دفع هذه
العوايق فيحتاج الى قطعها باربعة امور التجرد عن الدنيا
والتفرد عن الخلق والمحاربة مع الشيطان والمخالفة مع النفس
اما النفس فاشدها اذ لا يمكنه التجرد عنها ولا ان يقهرها

بره ويقمعها كالشيطان اذ هي المطية والالة ولا مطمع ايضا
فى موافقتها على ما يقصده العبد من العبادة والاقبال
عليها اذ هي مجبولة على ضد الخير كالهوى واتباعه له فيحتاج
اذا الى ان يلجمها بلجام التقوى لتبقى له ولا تنقطع وتنقاد
له فلا تطغى فيستعملها فى المصالح والمراشد ويمنعها عن
المهالك والمفاسد فياخذ اذا فى قطع هذه العقبة و
يستعين بالله عز وجل على ذلك فلما فرغ من قطعها رجع
الى قصد العبادة فاذا عوارض تعترضه فتشغله عن
الاقبال على مقصوده من العبادة وتصده عن التفرغ لذلك
كما ينبغى فتامل فاذا هي اربعة الاول الرزق تطالبه النفس او
تقول لا بد لى من رزق وقوام وقد تجردت عن الدنيا وتفردت
ايضا عن الخلق فمن اين يكون قوامى ورزقى والثانى الاخطار
من كل شىء يخافه او يرجوه او يريده او يكرهه ولا
يدرى صلاحه فى ذلك او فساده فان عواقب الامور مبهمة
فيشتغل قلبه بها فانه ربما يقع الى فساد او مهلكة والثالث
الشدايد والمصايب تنصب عليه من كل جانب لا سيما و
قد انتصب لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان ومضادة النفس
فكم من غصة يتجرعها وكم من شدة تستقبله وكم من

5

هم وحزن يعترضه وكم من مصيبة تتلقاه والرابع انواع
القضاء من الله سبحانه بالحلو والمر يرد عليه حالا فحالا
والنفس تسارع الى السخط وتبادر الى الفتنة فاستقبلته
ههنا عقبة العوارض الاربعة فاحتاج الى قطعها باربعة
التوكل على الله تعالى فى موضع الرزق والتفويض اليه فى موضع
الخطر والصبر عند نزول الشدايد والرضا عند نزول القضاء
فاخذ فى قطع هذه العقبة باذن الله عز وجل وحسن تاييده
فلما فرغ من قطعها عاد الى قصد العبادة فنظر فاذا النفس
فاترة كسلى لا تنشط ولا تنبعث لخير كما يحق وينبغى وانما
ميلها ابدا الى غفلة ودعة وراحة وبطالة بل الى شر و
فضول وجلبة وجهالة فاحتاج ههنا معها الى سايق
يسوقها الى الخير والطاعة وينشطها لهما وزاجر يزجرها
عن الشر والمعصية ويفترها عنهما وهما الرجاء والخوف
فالرجاء فى عظيم ثواب الله عز وجل وحسن ما وعد من
انواع الكرامة وتذكر ذلك سايق يسوقها فيبعثها
على الطاعة ويحركها لذلك وينشطها والخوف من
اليم عقاب الله تعالى وصعوبة ما اوعد من انواع العقوبة
والاهانة زاجر يزجرها عن المعصية ويجنبها ويفترها

عن ذلك فهذه عقبة البواعث استقبلته ههنا ما
يحتاج الى قطعها بهذين المذكورين فاخذ فيها بحسن توفيق
الله تعالى فقطعها فلما فرغ منها رجع الى الاقبال على العبادة
فلم ير عايقا ولا شاغلا ووجد باعثا وداعيا فنشط
في العبادة فاتاها وعانقها بتمام الشوق والرغبة فلما
نظر فاذا تبدوا لهذه العبادة التي احتمل فيها كل ذلك
آفتان عظيمتان وهما الرياء والعجب تارة يرائي بطاعته
الناس فيفسدها واخرى يستعظم ذلك ويكرم نفسه
فيعجب بنفسه فيحبط العبادة ويبطلها ما استقبلته ههنا
عقبة القوادح فاحتاج الى قطعها بالاخلاص وذكر المنة
ونحوها ليسلم له ما يعمل من خير فاخذ في قطع هذه العقبة
باذن الله عز وجل بجد واحتياط وتيقظ بحسن عصمة الله
تعالى وتاييده فلما فرغ من هذه كلها حصلت له العبادة
كما يحق وينبغي وسلمت من كل آفة ولكنه نظر فاذا هو غريق
في بحور منن الله تعالى واياديه من كثرة ما انعم الله عليه
من امداد التوفيق والعصمة وانواع التاييد والكرامة فخاف
ان يكون منه اغفال الشكر فيقع في الكفران فينحط من
تلك المرتبة الرفيعة التي مرتبة الخدام المخلصين لله عز وجل و

يزول عنه تلك النعم الكريمة من ضروب الطاف الله تعالى
وحسن نظره اليه فاستقبلته ههنا عقبة الحمد والشكر
فاخذ فيها فقطعها بما امكنه من كثرة الحمد والشكر على كثرة
نعمه فلما فرغ من هذه العقبة وتركها فاذا هو بمقصوده و
مبتغاه بين يديه فلم يسر الا قليلا حتى وقع في سهل الفضل وصحراء
الشوق وعرصات المحبة ثم وقع في رياض الرضوان وبساتين
الانس الى بساط الانبساط ومرتبة التقريب ومجلس المناجاة
ونيل الخلع والكرامات فهو يتنعم في هذه الحالة ويتقلب في
طيبها ايام بقائه وبقية عمره بشخص في الدنيا وقلبه في العقبى
ينتظر البريد يوما فيوما حتى يمل الخلق كلهم ويستقذر الدنيا
ويحن الى الموت ويستكمل الشوق الى الملأ الاعلى فاذا هو برسل رب
العالمين يردون عليه بالروح والريحان والبشرى والرضوان
من عند رب راض غير غضبان فينقلونه في طيبة النفس و
تمام البشر والانس من هذه الدار الفانية المفنية الى الحضرة
الالهية ومستقر رياض الجنة فيرى لنفسه الضعيفة الحقيرة
نعيما وملكا عظيما ويلقى هنالك من سيده الرحيم المفضل
الكريم جل ذكره من اللطف به والترحيب والتقريب والانعام
والاكرام مما لا يحيط به وصف الواصفين فكل يوم في زيادة

الى ابد الابدين فيالها من سعادة عظيمة ويالها من دولة عالية
ويالها من عبد مسعود وامر مغبوط وشان محمود فنسال الله
البار الرحيم سبحانه ان يمن علينا وعليكم بهذه النعمة العظيمة
وما ذلك على الله بعزيز وان لا يجعلنا من الذين لا نصيب لهم
من هذه الامور الا وصف او سماع ويمن علينا بالانتفاع وان
لا يجعل ما علمنا من العلم حجة علينا يوم القيامة وان يوفقنا
جميعا للعمل بذلك والقيام كما يحب ويرضى انه ارحم الراحمين
واكرم الاكرمين فهذا هو الترتيب الذي الهمني مولاي في طريق
العبادة **واعلم** الان ان الحاصل من هذه الجملة سبع عقبات
الاولى عقبة العلم **الثانية** عقبة التوبة **الثالثة** عقبة
العوايق **الرابعة** عقبة العوارض **الخامسة** عقبة البواعث
السادسة عقبة القوادح **السابعة** عقبة الحمد والشكر وتمامها
يتم كتاب منهاج العابدين الى الجنة ونحن الان نتبع هذه العقبات
بشرح موجز اللفظ مشتمل على النكت المقصودة من هذا
الشان في باب مفرد ان شاء الله تعالى والله عز وجل ولي
التوفيق والتسديد بمنه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
العقبة الاولى وهي عقبة العلم فاقول وبالله التوفيق يا طالب
الخلاص والعبادة عليك اولا وفقك الله بالعلم فانه

القطب وعليه المدار واعلم ان العلم والعبادة جوهران لاجلهما
كان كل ما ترى وتسمع من تصنيف المصنفين وتعليم المعلمين
ووعظ الواعظين ونظر الناظرين بل لاجلهما انزلت الكتب
وارسلت الرسل بل لاجلهما خلقت السموات والارض وما
فيهما من الخلق فتامل آيتين من كتاب الله عز وجل احدهما
قوله عز وجل الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان
الله قد احاط بكل شيء علما وكفى بهذه الاية دليلا على شرف
العلم لا سيما علم التوحيد والاية الثانية قوله جل ذكره
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وكفى بهذه الاية دليلا على شرف
العبادة ولزوم الاقبال عليها فما اعظم امرين هما المقصود
من خلق الدارين فحق للعبد ان لا يشتغل الا بهما ولا يتعب
الا لهما ولا ينظر الا فيهما **واعلم** ان ما سواهما
من الامور باطل لا خير فيه ولغو لا حاصل له واذا علمت ذلك
فاعلم ان العلم اشرف الجوهرين وافضلهما ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وآله ان فضل العالم على العابد كفضلي
على امتي وقال صلى الله عليه وآله نظرة الى العالم احب الى الله
من عبادة سنة صيامها وقيامها وقال صلى الله عليه وآله الا

اى احدى الآيتين ١٢

اى بالعلم والعبادة ١٢

ادلكم على اشرف اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال هم علماء
امتي فبان بذلك ان العلم اشرف جوهرا من العبادة ولكن
لابد للعبد من العبادة مع العلم والا كان علمه هباء منثورا
فان العلم بمنزلة الشجرة والعبادة ثمرة من ثمراتها فالشرف
للشجرة اذ هي الاصل لكن الانتفاع بثمرتها فاذا لابد للعبد
من ان يكون له من كلا الطرفين والامرين جميعا حظ ونصيب
ولهذا قال الحسن البصري اطلبوا هذا العلم طلبا لا تضروا
بالعبادة اطلبوا هذه العبادة طلبا لا تضروا بالعلم ولما استقم
انه لابد للعبد منهما جميعا فالعلم اولى بالتقديم لا محالة لانه
الاصل والدليل ولذلك قال صلى الله عليه وآله العلم
امام والعمل تابعه وانما صار العلم اصلا متبوعا يلزمك
تقديمه على العبادة لامرين احدهما لتحصل لك العبادة وتسلم
فانك اولا يجب ان تعرف المعبود ثم تعبده وكيف تعبد
من لا تعرفه باسمائه وصفات ذاته وما يجب له وما يستحيل
في نعته فربما تعتقد في صفاته شيئا والعياذ بالله مما يخالف
الحق فيكون عبادتك هباء منثورا وقد شرحنا ما في ذلك
من الخطر العظيم في بيان معنى سوء الخاتمة من كتاب الخوف من
جملة كتب احياء علوم الدين ثم يجب ان تعلم ما يلزمك

من

من الواجبات الشرعية على ما امرت به لتفعل ذلك وما
يلزمك تركه من المناهي لتترك ذلك فكيف تقوم بطاعات
لا تعرفها ما هي وكيف هي وكيف يجب ان تفعل وكيف
تجتنب معاصي لا تعلم انها معاصي حتى لا توقع نفسك فيها
فالعبادات الشرعية كالطهارة والصلوة والصوم و
غيرها يجب ان تعلمها بشرائطها واحكامها حتى تقيمها
فربما انت مقيم على شيء سنين وازمانا مما تفسد عليك
طهاراتك وصلواتك او يخرجها عن كونها واقعين
على وفاق السنة وانت لا تشعر بذلك وربما يعرض لك
شيء ولا تجد من تسأله عن ذلك وانت لا تعلم ثم مدار هذا
الشأن ايضا على العبادات الباطنة التي هي مساعي القلب
يجب ان تعلمها من التوكل والتفويض والرضاء والصبر
والتوبة والاخلاص وغير ذلك مما سيأتي ذكره ان شاء الله
تعالى ويجب ان تعلم مناهيها التي هي اضداد هذه الامور
كالسخط والرياء والامل والكبر لتحذر ذلك فان هذه
فرائض نص الله عز وجل على الامر بها والنهي عن اضدادها
في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله كما قال
الله تع وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال الله تعالى

واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون واصبر وما صبرك
الا بالله وقوله عز وجل وتبتل اليه تبتيلا اى اخلص اليه
اخلاصا ونحو ذلك من الايات كما نص على الامر بالصلوة و
الصوم فما لك اقبلت على الصلوة والصوم وتركت هذه
الفرايض والامر بهما من رب واحد فى كتاب واحد بل غفلت
عنها بالكلية فلا تعرف شيئا منها بفتوى مواضيع بعاجل
حظه مشغوفا حتى صير المعروف منكرا والمنكر معروفا ون
اهمل العلوم التى سماها الله عز وجل فى كتابه نورا و
حكمة وهدى واقبل على ما به يكتسب الحرام ويكون مصيدة
للحطام افما تخاف المسترشد ان تكون متضيعا الشيء من
هذه المواجب بل الاكثرها وتشتغل بصلوة التطوع وصوم
النفل فتكون فى لا شيء وربما انت مصر على معصية من هذه
المعاصى التى تستوجب بها النار وترك مباحا من طعام او
شراب او نوم تبتغى بها القربة الى الله تعالى فتكون فى لا شيء
واشد من هذا كله انك تكون فى [illegible] من الامل والامل معصية
محضة فتظن فيه خير لجهلك بالفرق بينهما او تقاربهما فى بعض
الوجوه وكذلك تكون فى جزع وسخط فتظنه تضرعا وابتهالا
الى الله تعالى وتكون فى رياء محض وتحسبه حمد الله عز وجل او

دعوة

دعوة للناس الى الحق والخير فتاخذ تقد على الله تعالى المعاصى
بالطاعات وتحتسب الثواب العظيم فى موضع العقوبات
فتكون فى غرور عظيم وغفلة قبيحة وهذه والله مصيبة
فظيعة للعاملين من غير علم ثم مع ذلك ان الاعمال الظاهرة
علايق من المساعى الباطنة تفسدها وتصلحها كالاخلاص
والرياء والعجب وذكر المنة وغيرها فمن لم يعلم هذه المساعى
٢ الباطنة ووجه تاثيرها فى العبادات الظاهرة وكيفية الاحتراز
منها وحفظ العمل عنها فقل ما يسلم له العمل الظاهر ايضا
فتفوته الطاعات ظاهرا وباطنا فلا يبقى فى يده الا الشقا
والكد وهذا هو الخسران المبين ولهذا قال رسول الله
صلى الله عليه وآله ان نوما على علم خير من صلوة على جهل فان
العامل بغير علم يفسد اكثر مما يصلح وقال عليه السلام فى
العلم يلهم السعداء ويحرم الاشقياء فالمعنى العلم عند
الله عز وجل ان احدى شقوتيه ان لا يتعلم العلم ثم يشقى ويتعب
فى العبادة على خبط عشواء فما يكون له من ذلك الا العناء نعوذ
بالله من علم وعمل لا ينفع ولهذا عظمت عناية العلماء الزهاد
العاملين رضوان الله عليهم بالعلم خاصة من بين ساير الناس
فان مدار امر العبودية وملاك العبادة والخدمة لله رب

العالمين على العلم وهكذا يكون نظر اولى الابصار واصل التايد
والتوفيق فاذا تبين لك بهذه الجملة ان الطاعة لا تحصل
للعبد ولا تسلم له الا بالعلم فيلزم اذن تقديمه في شان
العباده واما الحكمة الثانية التي توجب تقديم العلم ان العلم
النافع يثمر خشية الله عز وجل ومهابته قال الله عز وجل
انما يخشى الله من عباده العلماء وذلك ان من لم يعرفه حق معرفته لم
يهبه حق مهابته ولم يعظمه حق تعظيمه وحرمته فصار العلم يثمر
الطاعة كلها ويحجز عن المعصية كلها بتوفيق الله عز وجل وليس
وراء هذين مقصد للعبد في عبادة الله تعالى فعليك بالعلم ارشدك
الله يا سالك طريق الاخرة اول كل شي والله عز وجل ولي التوفيق
بفضله ولعلك تقول قد ورد الخبر عن صاحب الشرع صلوات الله
عليه انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم فما العلم الذي طلبه
فرض لازم وما الحد الذي لا بد للعبد من تحصيله في امر العبادة فاعلم
ان العلوم التي طلبها في الجملة فرض ثلثة علم التوحيد وعلم السر اعني
ما يتعلق بالقلب ومساعيه وعلم الشريعة اما حد ما يجب من كل
واحد منها فالذي يتعين فرضه من علم التوحيد مقدار ما تعرف
به اصول الدين وهو انه تعلم ان لك الها قادرا عالما حيا متكلما
سميعا بصيرا واحدا لا شريك له متصفا بصفات الكمال منزها

عن النقصان والزوال ودلالات الحدث متفردا بالقدم
عن كل محدث وان محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الصادق
فيما جاء به عن الله سبحانه وفيما ورد على لسانه من امور الاخرة
ثم مسائل في شعار السنة يجب معرفتها واياك ان تبتدع في دين الله
ما لم يات به كتاب ولا اثر فيكون مع الله عز وجل على اعظم
خطر وجميع ادلة التوحيد موجود اصلها في كتاب الله تعالى
وقد ذكرها شيوخنا رضي الله عنهم في كتبهم التي صنفوها في
اصول الديانات وعلى الجملة كل ما لا تامن من الهلاك مع جهله
فطلب علمه فرض لا يسوغ لك تركه فهذه هذه وبالله عز وجل
التوفيق واما الذي يتعين فرضه من علم السر فمعرفة مواجبه
ومناهيه حتى يحصل لك تعظيم الله تعالى والاخلاص والنية
وسلامة العمل وعامة ذلك ياتي في كتابنا هذا ان شاء الله تعالى
واما ما يتعين من علم الشريعة فكل ما يتعين عليك فرض فعله
وجب عليك معرفته ليوديه كالطهارة والصلوة والصيام
فاما الحج والجهاد والزكوة ان تعين عليك وجب عليك
علمه لتوديه والا فلا فهذا حد ما يلزم العبد تحصيله من العلم لا محالة
ويتعين فرضه بحيث لا بد لك من ذلك فان قلت فهل يفترض
علي من علم التوحيد ان اتعلم ما انقض به جميع ملل الكفر والزيغ

حجه وانقض جميع البدع والوهم حجة السنة فاعلم ان هذا
فرض على الكفاية وانما يتعين عليك ما تصح به اعتقادك
في اصول الدين لا غير وكذلك لا يتعين عليك معرفة فروع علم
التوحيد ودقايقه والاتيان على جميع مسائله نعم وان وردت
عليك شبهة في اصول الدين تخاف ان يقدح في اعتقادك فتعين
عليك حل تلك الشبهة بما امكن من الكلام المقنع واياك و
المماراة والمجادلة فانها داء محض لا دواء له فاحترز منها بجهدك
قال من ارتكبها لم يفلح الا ان يتعمده الله عز وجل برحمته و
لطفه ثم اعلم انه اذا كان في كل قطر داع من دعاة اهل السنة
يحل الشبهة ويرد على اهل البدع ويستقل بهذا العلم ويصفي
قلوب اهل الحق عن وساوس المبتدعة فقد سقط الفرض
عمن سواه فكذلك لا يلزمك معرفة دقايق علم السر وجميع
شرح عجايب القلب الا ما يفسد عليك عبادتك فيجب
معرفته لتجتنبه وما يلزمك فعله كالاخلاص والحمد والشكر
والتوكل ونحو ذلك فيلزمك معرفته لتوديه واما سواه فلا
وكذلك لا يلزمك معرفة ساير ابواب الفقه من البيوع والاجارات
والنكاح والطلاق والجنايات وانما كل ذلك على الكفاية
فان قلت هذا القدر من علم التوحيد هل يحصل بنظر الانسان

من غير معلم فاعلم ان الاستاد فاتح ومسهل والتحصيل معه اروح
واسهل والله عز وجل بفضله يمن على من يشاء من عباده فيكون
هو معلمهم سبحانه وتعالى ثم اعلم ان هذه العقبة التي هي عقبة
كوود ولكن بها ينال المطلوب والمقصود ونفعها كثير
وقطعها شديد وخطرها عظيم كم من عدل عنها فضل وكم
من سلكها فزل وكم من تايه فيها متحير وكم من جاير منقطع
وكم من سالك قطعها في مدة يسيرة واخر تردد فيها سبعين
سنة والامر كله بيد الله عز وجل اما نفعها فعلى ما ذكرناه من
شدة الحاجة بالعبد اليه وبناء امر العبادة كله عليه لا سيما علم
التوحيد وعلم السر فلقد روي ان الله عز وجل اوحى الى
داود عليه السلم فقال يا داود تعلم العلم النافع فقال الهي
وما العلم النافع فقال ان تعرف جلالي وعظمتي وكبريايي و
كمال قدرتي على كل شيء فان هذا الذي يقربك الي وعن امير المومنين
وامام المتقين علي بن ابي طالب عليه السلم ما يسرني ان لو مت طفلا
وادخلت الجنة ولم اكبر فاعرف ربي فان اعلم الناس بالله
اشدهم خشية واكثرهم عبادة واحسنهم في الله سبحانه نصيحة
واما شدتها فابذل نفسك في الاخلاص في طلب العلم وليكن
الطلب طلب دراية لا طلب رواية واعلم ان الخطر عظيم فمن

طلب العلم ليصرف به وجوه الناس اليه ويجالس به الامراء و
يباهي به النظراء ويتصيد به الحطام فتجارته بايرة وصفقته
خاسره قال ابو يزيد البسطامي عملت في المجاهدة ثلثين سنة
فما وجدت شيئا اشد علي من العلم وخطره واياك ان تزين
لك الشيطان فيقول اذا كان قد ورد هذا الخطر العظيم
في العلم فتركه اولى فلا تطلبن ذلك فقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وآله انه قال اطلعت ليلة المعراج على النار
فرايت اكثر اهلها الفقراء فقالوا يا رسول الله من المال
قال لا من العلم فمن لا يتعلم العلم لا يتاتى له احكام العبادة و
القيام بحقوقها ولو ان رجلا عبد الله عز وجل عبادة ملائكة
السموات بغير علم كان عند الله من الخاسرين فشمر في طلب العلم
بالبحث والتلقين والتدريس واجتنب الكسل والملل
والا فانت في خطر الضلال والعياذ بالله عز وجل ثم جملة
الامر انك اذا نظرت في دلايل صنع الله عز وجل وانعمت
النظر علمت ان لك الها قادرا عالما حيا مريدا سميعا بصيرا
متكلما منزها عن حدوث الكلام والعلم والارادة مقدسا
عن كل نقص وانه لا يوصف بصفات المحدثين ولا يجوز
عليه ما يجوز على المحدودين لا يشبه شيئا من خلقه ولا

يشبهه

يشبهه شيء ولا يتضمنه الاماكن والجهات ولا تحله الحوادث
والافات ونظرت في معجزات الرسول صلى الله عليه وآله واعلام
نبوته فعلمت انه رسول الله وامينه على وحيه وما كان السلف
يعتقدونه من ان الله عز وجل يرى في الاخرة لانه موجود وليس
في جهة وهو غير محدود وان القران كلام الله عز وجل غير مخلوق
وليس بحروف مقطعة ولا اصوات مختلفة اذ لو كان كذلك لكان
من جملة المخلوقات وانه لا يكون في الملك والملكوت فلتة خاطر
ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله عز وجل وقدرته وارادته ومشيته
فمنه الخير والشر والنفع والضر والايمان والكفر وانه لا
واجب على الله تعالى لاحد من خلقه فمن اثابه فبفضله فمن عاقبه فبعدله
وما ورد على لسان صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه
من امور الاخرة كالحشر والنشر وعذاب القبر وسوال منكر و
نكير والميزان والصراط فهذه اصول درج السلف عليها
على اعتقادها والتمسك بها ووقع عليها الاجماع قبل تنوع
البدع وظهور الاهواء نعوذ بالله العظيم من الابتداع في
الدين واتباع الهوى بغير دليل ثم نظرت في اعمال القلب
والمواجب الباطنة والمناهي التي تاتي في هذا الكتاب ليحصل
لك علمه ثم تعرف جملة ما تحتاج الى استعماله كالطهارة و

الصلوة والصوم ونحوه فاذا فعلت ذلك فقد اديت ما فرض
الله عز وجل الذى تعبدك به فى باب العلم ان علمت بعلمك
واقبلت على عمارة معادك كنت عبدا عابدا عالما عاملا
لله عز وجل على بصيرة غير جاهل ولا مقلد ولا غافل ولك
الشرف العظيم ولعلمك القيمة الكثيرة والثواب الجزيل و
كنت قد قطعت هذه العقبة وخلفتها وراءك وقضية
حقها باذن الله تع والله سبحانه مسول ان يمدنا واياكم
بحسن توفيقه وتيسيره انه ارحم الراحمين ولا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم **العقبة الثانية** وهى عقبة التوبة
ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله عز وجل بالتوبة و
ذلك لامرين احدهما ليحصل لك توفيق الطاعة فان شوم
الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان وان قيد الذنوب
يمنع من المشى الى طاعة الله عز وجل والمسارعة الى خدمته و
ان ثقل الذنوب يمنع من الخفة للخيرات والنشاط فى الطاعات
وان الاصرار على الذنوب يسود القلوب فتجدها فى ظلمة وقساوة
فلا خلوص فيها ولا صفوة ولا لذة ولا حلاوة وان لم يرحم الله
عز وجل فتجر صاحبها الى الكفر والشقاوة ايا عجبا كيف يوفق
للطاعة من هو فى شوم المعصية وقسوة وكيف يدعى للخدمة

من هو مصر على المعصية ومقيم على الجفوة وكيف يقرب الى
المناجاه من هو متلطخ بالاقذار والنجاسات ففى الخبر عن
الصادق رسول الله صلى الله عليه واله انه قال اذا كذب العبد
يتنحى الملكان عن نتن ما يخرج من فيه فكيف يصلح هذا اللسان
لذكر الله عز وجل فلا جرم لا يكاد يجد المصر على العصيان
توفيقا ولا يخف اركانه بعبادته وان اتفق فبكد لا حلاوة
معه ولا صفوة وكل ذلك لشوم الذنوب وترك التوبة و
لقد صدق من قال اذا لم تقو على قيام الليل وصيام النهار
فاعلم انك مكبول قد كبلتك خطيئتك فهذه هذه والثانى
من الامرين انه يلزمك التوبة لتقبل منك عبادتك فان رب
الدين لا يقبل الهدية وذلك ان التوبة عن المعاصى وارضاء
الخصوم فرض لازم وعامة العبادة التى تقصدها نفل فكيف
يقبل منك تبرعك والدين عليك حال لم تقضه وكيف
تترك لاجله الحلال والمباح وانت مصرة على فعل المحظور
والحرام وكيف تناجيه وتدعوه وتثنى عليه وهو والعياذ
عليك غضبان هذا ظاهر حال العصاة المصرين على المعصية
والله المستعان فان قلت فما معنى التوبة النصوح وحدها
وما ينبغى للعبد ان يفعله حتى يخرج من الذنوب كلها فاقول

اما التوبة فانها سعى من مساعى القلب وهى عند التحصيل فى
قول العلماء تبرء القلب عن الذنب قال شيخنا رحمه الله فى حد
التوبة انه ترك اختيار ذنب سبق مثله عنه منزلة لا صورة تعظيما
لله عز وجل وحذرا من سخطه فانها اذن اربع شرايط احدها

الشرط الاول

ترك اختيار الذنب وهو ان يوطن نفسه ويجرد عزمه على
ان لا يعود الى الذنب البتة فاما ان ترك الذنب وفى نفسه
انه ربما يعود اليه او لا يعزم على ذلك بل يتردد فانه ربما يقع
له العود فانه ممتنع من الذنب غير تايب منه الثانية ان يتوب

الثاني

من ذنب قد سبق منه مثله اذ لو لم يسبق منه مثله لكان
متقيا غير تايب الا ترى انه يصح القول بان النبي صلى الله عليه
وآله كان متقيا عن الكفر ولا يصح بانه كان تايبا عن الكفر اذ
لا يسبق منه كفر بحال وان عمر الخطاب كان تايبا عن الكفر لما
سبق منه ذلك الثالثة ان الذى سبق يكون مثل ما يترك اختيارا

الثالث

فى المنزلة والدرجة لا فى الصورة الا ترى ان الشيخ الهرم الفانى
الذى سبق منه الزنى وقطع الطريق اذا اراد ان يتوب من ذلك
يمكنه التوبة عن ذلك لا محالة اذ لم تغلق عنه بابها ولا يمكنه
ترك اختيار الزنا وقطع الطريق اذ هو لا يقدر الآن على فعل ذلك
فلا يقدر على تركه فلا يصلح وصفه بانه تارك له ممتنع عنه اذ هو

عاجز

عاجز غير ممكن لكنه يقدر على ما هو مثل الزنا وقطع الطريق
فى المنزلة والدرجة كالقذف والغيبة والنميمة اذ جميع ذلك
معاصى وان كان الاثم يتفاوت فى كل واحدة بقدرها
لكن جميع هذه المعاصى الفرعية كلها بمنزلة واحدة وهى دون
منزلة البدعة ومنزلة البدعة دون منزلة الكفر فلذلك صح منه
التوبة عن الزنا وقطع الطريق وساير ما مضى من الذنوب التى
هو عاجز عن امثالها اليوم فى الصورة الرابعة ان يكون اختياره

الرابع

لذلك تعظيما لله عز وجل وحذرا من سخطه واليم عقابه
مجردا لا لرغبة دنيوية او رهبة من الناس او طلب ثناء وصيت
فى النفس او فقر او غير ذلك فهذه شرايط التوبة واركانها فاذا
حصلت وكملت فهى توبة حقيقية صادقة واما مقدمات التوبة
فثلث احدها ذكر غاية قبح الذنوب الثانية ذكر شدة عقوبة
الله عز وجل واليم عقابه وسخطه وغضبه الذى لا طاقة لك
به والثالثة ذكر ضعفك وقلة حيلتك فى ذلك فان من
لا يحتمل حر شمس ولطمة شرطى وقرص نملة كيف يحتمل حر نار
جهنم وضرب مقامع الزبانية ولسع حيات كاعناق البخت
وعقارب كالبغال خلقت من النار فى دار الغضب والبوار
نعوذ بالله عز وجل من سخطه وعذابه فاذا واظبت على هذه

الاذكار وعاودتها اناء الليل والنهار تحملك على التوبة النصوح
من الذنوب والله الموفق بفضله فان قيل اليس قد قال النبي صلى
الله عليه واله الندم توبة ولم يذكر شيئا مما ذكرتم من شرايطها
وشددتم بها يقال له اعلم ان الندم اولا غير مقدور للعبد الا ترى
انه يقع الندامة على امور في قلبه وهو يريد ان لا يكون ذلك والتوبة
مقدورة للعبد مامور بها ثم انا قد علمنا انه لو ندم على الذنوب
لما ذهب بذلك جاهه بين الناس او ماله في النفقة فيها فان
ذلك لا يكون توبة بلا ريب فعلمت بذلك ان في الخبر معنى لم
تفهمه من ظاهره وهو ان الندم لتعظيم الله سبحانه وخوف
عقابه مما يبعث على التوبة النصوح فان ذلك من صفات
التائبين وحالهم فانه اذا ذكر الاذكار الثلثة التي هي مقدمات
التوبة فندم حملته الندامة على ترك اختيار الذنب وتبقى
ندامته في قلبه في المستقبل فتحمله على الابتهال والتضرع فلما كان
ذلك من اسباب التوبة وصفات التائب سماه باسم التوبة فافهم
ذلك موفقا ان شاء الله فان قلت كيف يمكن للانسان ان
يصير بحيث لا يقع منه ذنب البتة من صغير الى كبير كيف وانبياء
الله عز وجل صلوات الله عليهم الذين هم اشرف خلق الله قد اختلف
اهل العلم نالوا هذه الدرجة ام لا فاعلم ان هذا امر ممكن غير

مستحيل والله عز وجل يخص برحمته من يشاء ثم من شرط التوبة
ان لا تتعمد ذنبا فاما ان وقع منه بسهو وخطاء فهو معفو عنه
بفضل الله وهذا هين على من وفقه الله عز وجل فان قلت
انما يمنعني عن التوبة اني اعلم من نفسي اني اعود الى الذنب ولا اثبت
على التوبة فلا فايدة في ذلك فاعلم ان هذا من غرور الشيطان
فمن اين لك هذا العلم فعسى ان تموت تائبا قبل ان تعود الى
الذنب واما الخوف من العود فعليك العزم والصدق في
ذلك وعلى الله عز وجل الاتمام فان اتم فذاك وان لم يتم فقد
غفرت ذنوبك السالفة كلها وتخلصت منها وتطهرت وليس
عليك الا هذا الحدث الذي احدثته الان وهذا هو الربح العظيم
والفايدة الكبيرة فلا يمنعك خوف العود من التوبة فانك من التوبة
ابدا بين احدى الحسنيين والله ولي التوفيق والهداية فهذه
واما الخروج عن الذنوب والتخلص منها فاعلم ان الذنوب في الجملة
ثلثة اقسام احدها ترك واجبات الله عز وجل عليك من
صلوة او صوم او زكوة او كفارة او غير ذلك فتقضي ما امكن
لك منها والثاني ذنوب بينك وبين الله عز وجل كشرب الخمر
وضرب المزامير ونحو ذلك فتندم على ذلك وتوطن قلبك على
ترك العود الى مثلها ابدا والثالث ذنوب بينك وبين العباد

وهنا اشكل واصعب وهي اقسام قد يكون في المال وفي النفس
وفي العرض وفي الحرمة وفي الدين فما كان في المال فيجب ان ترده
عليه ان امكنك فان عجزت عن ذلك لعدم وفقر فتستحل منه
وان عجزت عن ذلك لغيبة الرجل او موته وامكن التصدق عنه
فافعل فان لم يمكن فعليك بتكثير الحسنات والرجوع الى الله تعالى
بالتضرع والابتهال ان يرضيه عنك يوم القيامة واما ما كان
في النفس فمكّنه من القصاص او اوليائه حتى يقتص منك او يجعلك
في حل وان عجزت فالرجوع الى الله سبحانه والابتهال اليه ان يرضيه
يوم القيامة واما العرض بان اغتبته او بهته او شتمته فحقك
ان تكذب نفسك بين يدي من فعلت ذلك عنده وان تستحل
من صاحبه ان امكنك هذا ان لم تخش زيادة غيظ وهيج فتنة
في اظهار ذلك وتجديده فان خشيت ذلك فالرجوع الى الله
تعالى ليرضيه عنك والاستغفار الكثير لصاحبه واما الحرمة
بان خنته في اهله وولده او نحو ذلك فلا وجه للاستحلال
والاظهار فانه يولد فتنة وغيظا بل تتضرع الى الله عز و
جل ليرضيه عنك ويجعل الله له خيرا كثيرا في مقابلته وان امنت
الفتنة والهيج وهو نادر فتستحل منه واما في الدين بان كفرته
او بدعته او ضللته فهو اصعب الامر يحتاج الى تكذيب نفسك

بين

بين يدي من قلت ذلك له وتستحل من صاحبك ان امكنك والا
فالابتهال الى الله تع والتندم على ذلك ليرضيه عنك وجملة الامر
فما امكنك من ارضاء الخصوم عملته وما لم يمكنك رجعت الى
الله تعالى بالتضرع والصدق ليرضيه عنك فيكون ذلك في
مشية الله عز وجل يوم القيامة والرجاء منه بفضله العظيم
واحسانه العميم انه اذا علم الصدق من قلب العبد فانه يرضي
خصماءه من خزانة فضله ولا حكم فاعلم هذه بجهتها راشدا
فهذه هذه وبالله التوفيق فاذا انت علمت ما وصفناه وبرئت
القلب عن اختيار مثلها في المستقبل فقد خرجت من الذنوب
كلها وان حصلت منك تبرية القلب ولم يحصل منك قضاء
الفوايت وارضاء الخصوم فالتبعات لازمة وساير الذنوب
سواها مغفورة ولهذا الباب شرح طويل فلا يحتمله هذا المختصر
وانظر كتاب التوبة من كتب احياء علوم الدين اولا وكتاب القربة الى
الله عز وجل ثانيا وكتاب الغاية القصوى ثالثا تجد فوايد
كثيرة وشرحا والذي ذكرناه ههنا هو الاصل الذي لا بد
منه وبالله التوفيق **فصل** ثم اعلم يقينا ان هذه العقبة
عقبة صعبة امرها مهم وضررها عظيم فقد بلغنا عن الاستاذ
ابي اسحق الاسفرايني وكان من الراسخين في العلم العاملين انه

قال دعوت الله عز وجل ثلثين سنة ان يرزقني توبة نصوحا ثم تعجبت
في نفسي وقلت سبحان الله حاجة دعوت الله سبحانه فيها ثلثين
سنة فيقول في التعجب من ذلك اتدري ماذا تسال الله عز وجل
انما تسال الله تعالى ان يحبك اما سمعت قوله جل جلاله ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين اهذه حاجة هينة فانظر الى هولا
الايمة واهتمامهم ومواظبتهم على صلاح قلوبهم والتزود للمعاد
واما الضرر المخوف فان اول الذنب قسوة واخره والعياذ
بالله شوم وشقوة فاياك ان تنسى امر ابليس وبلعام بن باعورا كان
سببا امرهما ذنبا واخره كفرا فهلكا مع الهالكين ابد الابدين
فعليك رحمك الله بالتيقظ والجهد عسى ان تقلع من قلبك
عرق هذه الاصرار وتخلص رقبتك من هذه الاوزار ولا تامن
قساوة القلب وتامل حالك فلقد قال بعض الصالحين ان
ان سواد القلب من الذنوب وعلامة سواد القلب ان لا تجد
للذنوب مفزعا ولا للطاعة موقعا ولا للموعظة منجعا ولا تستحقر
الذنوب فتحسب نفسك تائبا وانت مصر على الكباير فقد بلغنا
عن كهمش بن الحسن انه قال اذنبت ذنبا وانا ابكي عليه منذ اربعين
سنة قيل وما هو يا ابا عبد الله قال زارني اخ لي فاشتريت له
سمكا فاكل ثم قمت الى حايط جار لي فاخذت منه قطعة طين

فاضنيت لي الى الان فرايت فيما يرى النايم كان قايلا

فغسل

فغسل بها يده فناقش نفسك وحاسبها وسارع الى التوبة و
بادر فان الاجل مكتوم والدنيا غرور وتضرع الى الله تعالى وابتهل
واذكر حال ابينا ادم عليه السلم الذي خلقه الله سبحانه بيده ونفخ
فيه من روحه وحمله الى جنته على اعناق الملايكة ولم يذنب
الا ذنبا واحدا فنزل به ما نزل حتى روي ان الله عز وجل قال
له يا ادم اي جار كنت لك قال نعم الجار يا رب قال يا ادم
اخرج من جواري وضع عن راسك تاج كرامتي ~~فانه لا يجاور~~
فانه لا يجاورني من عصاني حتى انه فيما روي بكا على ذنبه مائتي سنة
حتى قبل توبته وغفر ذنبه الواحد هذا حاله مع نبيه وصفيه
في ذنب واحد فكيف حال الغير في ذنوب كثيرة لا تحصى وهذا تضرع
التائب وابتهاله فكيف بالمصر المتعسف ولقد احسن من قال شعر
على نفسه من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب ولان تبت
ثم نقضت التوبة وعدت الى الذنب ثانيا فعد الى التوبة ثانيا
بادر وقل لنفسك لعلي اموت قبل ان اعود الى الذنب هذه
المرة وكذلك ثالثا ورابعا وكلما اتخذت الذنب والعود اليه
حرفة فاتخذ التوبة والعود اليها حرفة ولا تكن في التوبة اعجز
منك في الذنب ولا تيئس ولا يمنعك الشيطان من التوبة بسبب
ذلك فانه دلالة الخير اما تسمع قوله صلى الله عليه والرضا يكم كل

مفتتن تواب اي كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه والرجوع
الى الله عز وجل بالندامة والاستغفار وتذكر قوله عز وجل ومن
يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما
فهذه هذه وبالله التوفيق **فصل** وجملة الامر انك اذا
ابتليت فبرأت قلبك عن الذنوب كلها بان توطنه على ان لا
تعود الى الذنب ابدا البتة الا ما كان في علم الله على وجه علم الله
عز وجل صدق عزمك من قلب تقي وترضي الخصوم بما امكنك
وتقضي الفوائت بما تقدر عليه وترجع في الباقي الى الله عز وجل
بالابتهال والتضرع ليكفيك ذلك ثم تذهب فتغسل وتغسل
ثيابك وتصلي اربع ركعات كما يجب وتضع وجهك على الارض
في مكان خال لا يراك الا الله سبحانه ثم تحمل التراب على نفسك
وتمرغ وجهك الذي هو اعز اعضائك في التراب بدمع جار
وقلب حزين وصوت عال وتذكر ذنوبك واحدا واحدا بما
امكنك وتلوم نفسك العاصية عليها وتوبخها وتقول اما
يا نفس
تستحيين اما آن لك ان تتوبي الك طاقة بعذاب الله عز وجل
الك حاجز من سخط الله سبحانه وتذكر من ذلك كثيرا وتبكي
ثم ترفع يديك الى الرب الرحيم وتقول الهي عبدك الآبق رجع
الى بابك عبدك العاصي رجع الى الصلح عبدك المذنب اتاك

بالعذر

بالعذر فاعف بجودك وتقبله مني بفضلك وانظر الي
برحمتك اللهم اغفر لي ما سلف من الذنوب واعصمني فيما
بقي من الاجل فان الخير كله بيدك فانت بنا رؤوف رحيم ثم
تدعو ادعاء الشدة وهو ان تقول يا مجلي عظايم الامور يا منتهى
هم المهمومين يا من اذا اراد امرا فانما يقول له كن فيكون احاطت
بنا ذنوبنا انت المذخور لها يا من هو مذخور لكل شدة كنت ادخرتك
لهذه الساعة فتب علي انك انت التواب الرحيم ثم اكثر البكاء
والتذلل وقل يا من لا يشغله سمع عن سمع يا من لا تغلطه كثرة المسائل
يا من لا يبرمه الحاح الملحين ولا تضجره مسألة السائلين اذقنا
برد عفوك وحلاوة رحمتك انك على كل شيء قدير ثم تصلي على
النبي صلى الله عليه وآله ثم تستغفر لجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين
والمؤمنات وترجع الى طاعة الله فتكون قد ثبتت توبة نصوحا
وقد خرجت من الذنوب طاهرا كيوم ولدتك امك واحبك
الله عز وجل ولك من الاجر والثواب وعليك من البركة والرحمة
ما لا يحيط به وصف واصف وحصل لك الامن والخلاص ونجوت
من عقبة المعاصي وبليتها في الدنيا والآخرة وكنت قد قطعت هذه
العقبة باذن الله عز وجل وبالله التوفيق والهداية بمنه وفضله
العقبة الثالثة وهي عقبة العوائق ثم عليك يا طالب العبادة

العائق الأول

وفقك الله وايانا بدفع العوائق حتى تستقيم عبادتك وقد
ذكرنا ان العوائق اربعة احدها الدنيا ودفعها بالتجرد عنها
والزهد فيها وانما يلزمك هذا التجرد والزهد لامرين
احدهما لتستقيم لك العبادة وتكثر فان الرغبة في الدنيا تشغلك
اما ظاهرك واما بالطلب واما باطنك بالارادة والحرص
والرغبة وحديث النفس وكلاهما يمنعان عن العبادة فان
النفس واحدة والقلب واحد فاذا اشتغل بشيء انقطع عن

دل در یکی این وان نه نیکوست ترا
یک دل داری بس است یک دوست ترا

ضده وان مثل الدنيا والاخرة كمثل الضرتين ان ارضيت احدهما
اسخطت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب بقدر ما تميل الى
احدهما اعرضت عن الاخر واما شغلها في الظاهر فقد روينا
عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال اردت ان اجمع بين العبادة
والتجارة فلم يجتمعا فاقبلت على العبادة وتركت التجارة واما
شغلها بالقلب وهو الباطن لمكان الارادة فيما روي عن النبي
صلى الله عليه واله انه قال من احب دنياه اضر باخرته ومن
احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى فبان لك انه
اذا اشتغل ظاهرك بالدنيا او باطنك بارادتها فلا يتمشى
لك العبادة حقها واما اذا زهدت فيها فتفرغت بظاهرك
وباطنك يتمشى لك العبادة بل تعاونك اعضاؤك فلقد روي

وعن عمر انه قال لو كانت
الدنيا والاخرة يجتمعين لاحد
غيري لاجتمعتا لي لما اعطاني
الله عز وجل من القوة و
اللين فاذا كان الحديث
كذلك فاخرنا بالغانية
واخترنا السلامة مرم

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه انه قال ان العبد اذا زهد قلبه في
الدنيا استنار قلبه بالحكمة وتعاونت اعضاؤه في العبادة
فهذه هذه والثاني من الامرين انه تكثر قيمة عملك ويعظم
قدره وشرفه فلقد قال صلى الله عليه واله ركعتان من رجل
زاهد قلبه خير واحب الى الله تع من عبادة المتعبدين الى اخر
الدهر ابدا سرمدا فاذا كانت العبادة تشرف وتكثر لذلك

من الزهد

فحق لمن طلب العبادة ان تزهد في الدنيا وتجرد عنها فان قلت
فما معنى الزاهد في الدنيا وحقيقة ذلك فاعلم ان الزهد عند
علمائنا زهدان زهد هو مقدور للعبد وزهد غير مقدور
للعبد فالذي هو مقدور ثلثة اشياء ترك طلب المفقود من
الدنيا وتفريق المجموع منها وترك ارادتها واختيارها واما
الزهد الذي هو غير مقدور للعبد فهو برودة الشيء على قلب
الزاهد ثم الزهد الذي هو مقدور مقدمات الزهد الذي
هو ليس بمقدور فاذا اتى العبد بهذه بان لا يطلب ما ليس
عنده من الدنيا وان يفرق ما عنده منها ويترك بالقلب ارادتها
واختيارها لافاتها اورثه هذه برودة الدنيا على قلبه
لاجل الله عز وجل وعظيم ثوابه وهذا عندي هو الزاهد
الخفي ثم اعلم ان اصعب الامور ثلثة انما هو ترك الارادة

بالقلب اذكو من تارك لها بظاهره ومحب مريد لها بباطنه
فهو في مكافحة ومقاساة من نفسه شديدة والشان كله
في هذه الهمة فتسمع قوله سبحانه تلك الدار الاخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا الحكم فيه بنفي الارادة دون
الطلب والفعل للمراد وقوله عز وجل من كان يريد حرث
الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها
وقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له وقوله سبحانه ومن
اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مومن اما ترى ان الاشارة
كلها الى الارادة فامرها هو المهم اذا الكن العبد اذا واظب و
استقام على الاولين اعني الترك والتزين مما مول من فضل الله
عز وجل ان يوفقه لدفع هذه الارادة والاختيار عن قلبه فانه المتفضل
الكريم جل وعز ثم الذي يبعث على الترك والتزين ويهون
عليك ذلك ذكر افات الدنيا وعيوبها واكثر الناس القول
في ذلك فمنه قول بعضهم تركت الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة
فنائها وخسة شركائها قال شيخي الامام كان يحي من هذا
الكلام رائحة الرغبة فانه كلان من شكا فراق صاحب وصاله
ومن ترك شيا لمكان الشركاء فيه اخذه لو تفرد به والقول
البالغ فيه ما قاله شيخنا الدنيا عدو الله تعالى وانت محبه

ومن

ومن احب احدا ابغض عدوه قال ولانها في اصلها قبيحة
جيفة الا ترى ان اخرها الى القذر والفساد والتلاشي و
الاضمحلال لكنها جيفة ضمخت بطيب وطريت بزينة فاغتر بها
الغافلون وزهد فيها العاقلون فان قيل فما حكم الزهد في
الدنيا اهو فرض ام نفل فاعلم ان الزهد يقع عندنا في الحلال
والحرام فهو في الحرام فرض وفي الحلال نفل ثم منزلة هذا الحرام
لمستقيمي الطاعة بمنزلة الميتة المستقذرة لا تقدم عليها
الا عند الضرورة بمقدار دفع الضرورة واما الزهد في
الحلال انما يكون بمنزلة الابدال يكون عندهم الحلال بمنزلة
الميتة لا يتناولون منها الا قدر الابد منه والحرام عندهم بمنزلة
لا يخطر ببالهم قصد تناولها بحال وهذا معنى البرودة على القلب
بان ينقطع همه عنها ويستقذرها ويستنكرها جدا فلا يبقى
لها في قلبه اختيار ولا ارادة فان قلت كيف يمكن ان تصير الدنيا
في شهواتها ولذاتها العجيبة المطلوبة عند انسان بمنزلة النار
او بمنزلة الجيفة المستحيلة والبغية بيننا والطبع طبعنا فاعلم ان
من وفق بالتوفيق الخاص وعلم افاتها وقذرها في اصلها فيصير
عنده كذلك وانما يتعجب من هذا الراغبون العميان عن عيب
الدنيا وافاتها المغترون بظاهرها وزينتها وساضرب

هرها

للمثلا لذلك فاعلم ان هذا يمثل بانسان صنع خبيصا بشرائط
من الشكر وغيره ثم طرح فيه قطعة سم قاتل فابصر ذلك رجل ولم
ينظر اليه اخر ووضع الخبيص بين ايديهما مزينا مزخرفا فالرجل (يُبصر اخره)
الذى ابصر ما جعل فيه من السم يكون زاهدا فى ذلك الخبيص
لا يحفل بها له ان يتناول منه بحال البتة ويكون ذلك عنده بمنزلة
النار بل اصعب لمكان ما يعلم من افته ولا يغتر بظاهره وزينته
واما الرجل الاخر الذى لا ينظر ما جعل فيه اغتر بظاهره المزخرف (لا يبصر)
وحرص عليه ولم يبصر منه واحد يتعجب من صاحبه الزاهد فيه و
ربما يسفهه فى ذلك وهذا مثل حرام الدنيا مع البصراء
المستقيمين والجهال الراغبين فان لم يطرح فيه السم لكن
برق فيه او امتخط ثم صحح وزينه فالرجل الذى شاهد ذلك
الفعل يكون مستقذرا لذلك الخبيص نافرا عنه لا يكاد يقدم
عليه الا عند الضرورة وشدة الحاجة والذى لم يشاهد ذلك
فهو جاهل بافته مغتر بظاهره حريص عليه مكب معجب محب فهذا
مثل حلال الدنيا مع الفريقين اهل البصيرة والاستقامة
واهل الرغبة والغفلة وانما اختلف حال الرجلين مع تساو
فى الطبع والبنية لموضع النظر ببصارة وعلم كان لاحدهما
جهل وغفلة وكان للاخر علم وبصيرة ولو علم الراغب وابصر

ما علمه الزاهد لكان زاهدا مثله ولو جهل الزاهد وعمى
عما عمى عنه الراغب لكان راغبا مثله فعلمت بذلك ان
هذا التميز لمكان البصاير دون الطبايع وهذا اصل مفيد
وكلام بين سديد اعرف به من عقل وانصف والله عز وجل
ولى الهداية والتوفيق بفضله فان قيل فلا بد لنا من قدر من
الدنيا ليكون قواما لنا فكيف نزهد فيها فاعلم ان الزهد
فى الفضول مما لا يحتاج اليه فى قوام البنية فالمقصود القوام
والقوة حتى يعبد الله عز وجل لا الاكل والشرب والتلذذ
والله عز وجل ان شاء اقامها بشئ وسبب وان شاء اقامها
بغير سبب كالملائكة ثم ان كان بشئ فان شاء فبشئ حاصل
عندك او بطلبك وكسبك وان شاء بشئ غيره يسببه لك
من حيث لا يحتسب من غير طلب منك وكسب كما قال تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذن
لا تحتاج بحاله الى طلب وارادة فان لم تقو على ذلك العدة و
طلبت واردت فانو بذلك العدة على عبادة الله عز وجل
والقوة على طاعته دون الشهوة واللذة فاذا نويت ذلك
كان الطلب والارادة منك خيرا وطلبا للاخرة بالحقيقة
لا للدنيا ولا تقدح فى زهدك وتجردك فاعلم هذه الجملة

واشدا وبالله التوفيق **العايق الثاني الخلق** ثم عليك
وفقك الله وايانا لطاعته بالتفرد والتجرد عن الخلق وذلك
لامرين احدهما انهم يشغلونك عن عبادة الله عز وجل على
ما حكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس
بعيدا منهم فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله عز وجل اشهى الي
فقلت من سبق من هولاء فقال من غفر الله له فقلت اين الطريق
فاشار بيده الى السماء وقام وتركني فالخلق اذن يشغلونك
عن العبادة بل يقطعونك ويمنعونك منها بل يوقعونك في
الشر والهلاك على ما قال حاتم الاصم رحمه الله طلبت من هذا الخلق
خمسة اشياء فلم اجد طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا
فقلت اعينوني عليها ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا عني
ان فعلت فلم يفعلوا فقلت تمنعوني منها اذن فمنعوا فقلت
لا تدعوني الى ما لا يرضى الله العظيم ولا تعادوني عليها ان لم
انا معكم فيفعلوا فلما رايت ذلك تركتهم واشتغلت بخاصة
نفسي واعلم ايها الاخ في الدين ان نبيك محمدا صلى الله عليه وآله
وصف زمان العزلة وبين نعته ونعت اهله وامرنا بالتفرد وكان
لا محالة اعلم بالمصالح وانصح لنا منا لانفسنا فان وجدت زمانك
على ما وصف وبين فامتثل امره صلى الله عليه وآله واقبل نصحه ولا

زمان العزلة

تشك

تشك في انه صلى الله عليه وآله كان اعرف بما يصلح لك في زمانك
ولا تشتغل بالعلل الكاذبة ولا تخادع نفسك والا فانت هالك
ولا عذر لك والوصف الذي ذكرناه ههنا هو في الخبر المشهور
عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال بينا نحن عند رسول الله
صلى الله عليه وآله اذ ذكر الفتنة فقال اذا رايتم الناس مرجت
عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه
فقلت ما اصنع عند ذلك جعلني الله فداك قال الزم بيتك
واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك
بامر الخاصة ودع عنك امر العامة وذكر في حديث اخر انه عليه السلام
قال ذلك ايام الهرج قيل وما ايام الهرج قال حين لا يامن
الرجل جليسه وذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه في خبر اخر للحارث
بن عميرة انه قال ان تدفع عمرك فسياتي عليك زمان كثير
خطباؤه قليل علماؤه كثير سواله قليل معطوه الهوى فيه قائد
العلم قال ومتى ذلك قال اذا اهينت الصلوة وقبلت الرشا
ويباع الدين بعرض يسير من الدنيا فالنجا ويحك ثم النجا قلت
وجميع ما ذكرنا في هذه الاخبار تراه بعينك في زمانك واهله
فانظر لنفسك ثم ان السلف الصالح رضوان الله عليهم اجمعوا
على التحذير من زمانهم واهله واثروا العزلة وامروا بذلك

تشبک انگشتان درهم انداختن

وتواصوا به ولاشك انهم كانوا ابصر وانصح وان الزمان كلما مضى
بعدهم خيرا ما كان بل اشر وامر وهو ما ذكر عن يوسف بن
اسباط انه قال سمعت الثوري يقول والله الذي لا اله الا
هو لقد حلت العزلة في هذا الزمان قلت انا ولئن حلت
في زمانه ففي زماننا هذا وجبت وافترضت وعن سفيان
ايضا انه كتب الى عباد الخواص اما بعد فانك في زمان كان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يتعوذون بالله عز وجل
ان يدركوه فيما بلغنا ولهم من العلم ما ليس بنا فكيف بنا حين
ادركناه على قلة علم وقلة صبر وقلة اعوان على الخير من الدنيا
وفساد من الناس قال بعض الاصحاب في العزلة راحة من الخلطاء
السوء وفي مثل ذلك قيل هذا الزمان الذي كنا نحاذره في
قول كعب وفي قول ابن مسعود ان دام هذا ولم يحدث لم تبك
ميتا ولم تفرح بمولود ولقد وجدت عن سفيان بن عيينه
انه قال قلت للثوري اوصيني قال اقلل من معرفة الناس قلت
يرحمك الله اليس قد جاء في الخبر اكثروا من معرفة المومنين فان
لكل مومن شفاعة قال لا احسبك رايت قط ما تكره الا ممن
تعرف قلت اجل ثم مات فرايته بعد موته في المنام فقلت
يا ابا عبد الله اوصني فقال اقلل من معرفة الناس فان التخلص

منهم

منهم شديد فقد قيل في معنى هذا الخبر نظم ما زلت مذ لاح المشيب

افتش عن هذا الورى واكشف فما ان عرفت الناس الا ذممتهم

جزى الله خيرا كل من لست اعرف قال الفضيل هذا زمان

احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما

تعرف ودع ما تنكر وعن داود الطائي رحمه الله صم عن الدنيا

واجعل فطرك الاخرة وفر من الناس فرارك من الاسد قال

الثوري هذا زمان السكوت ولزوم البيوت والرضا بالقوت

الى ان تموت وعن ابي عبيد ما رايت حكيما قط الا قال في اخر كلامه

ان احببت لا تعرف فانت من الله عز وجل على بال والاخبار في

هذا الباب اكثر من ان يحتمله هذا الكتاب وقد صنفنا فيه كتابا

معزدا وسميناه كتاب اخلاق الابرار والنجاة من الاشرار فقف

عليه ترى العجب العجاب والعاقل تكفيه الاشارة والله ولي التوفيق

والهداية واما الخصلة الثانية التي تقتضي التفرد عن الناس في

ان الناس يفسدون عليك ما يحصل لك من العبادة ان لم يعصمك الله

عز وجل بسبب ما يعرض من قبلهم من دواعي الرياء والتزين ولقد

صدق يحيى بن معاذ حيث قال رويتك الناس بساط الرياء وهولاء

الزهاد قد خافوا على انفسهم من هذا المعنى حتى تركوا الملاقاة

والتزاور ولقد ذكر ان هرم بن حيان قال لاويس القرني رحمهما الله

بمنزلتي

هذا الشان

لما التقيا يا اويس صلنا بالزيارة واللقاء قال اويس قد
وصلتك بما هو انفع لك منهما وهو الدعاء على ظهر الغيب
لان الزيارة واللقاء يعرض فيهما التزين والرياء وقيل لسليمان
الخواص قد قدم ابراهيم بن ادهم افلا تاتيه فقال لان القى شيطانا
ماردا احب الي من لقائه فاستنكروا ذلك من قوله فقال اني
اذا لقيته اخاف ان اتزين له واذا لقيت شيطانا امتنع منه
ولقد لقي شيخ الامام بعض العارفين فتذاكرا مليا ثم دعوا
في اخر حديثهما فقال للعارف ما اظنني جلست مجلسا انا
ارجا من مجلسي هذا فقال له العارف ولكنني ما جلست مجلسا
اخوف بي من مجلسي هذا الست تعمدا الى احسن حديثك و
علومك فحدثتني بها وتظهرها بين يدي وانا كذلك فقد وقع
الرياء فبكى شيخ الامام مليا ثم غشي عليه وكان بعد ذلك تمثل
بهذه الابيات: اُبارزُ الله بعصيانه: وليس لي من دونه راحمُ:
يا ويلتا من موقفٍ بابه: اخوف من ان يعدل الحاكمُ: ما رب عفوا منك عن مذنبٍ:
اسرف الّا انه نادمُ: هذا حال اهل الزهد والرياضة في ملاقاتهم
فكيف حال اهل الرغبة والبطالة بل حال اهل الشر والجهالة
واعلم ان الزمان قد اصبح في فساد عظيم واصبح الناس في ضر كثير
فانهم يشغلونك عن عبادة الله حتى لا يكاد يحصل لك منها شيء

ثم يفسدون عليك ما حصل لك حتى لا يكاد يسلم لك ذلك شيء
فلو تنزل العزلة والتفرد عن الناس والاستعاذة بالله عز وجل
من شر هذا الزمان واهله والله تع الحافظ بفضله ورحمته
فان قيل فما حكم العزلة والتفرد عن الناس فبين لنا حال طبقات
الخلق فيها والحد الذي يجب منها فاعلم رحمك الله وايانا ان
الناس في هذا الباب رجلان رجل لا حاجة للخلق اليه في علم
وبيان حكم فالاولى لهذا الرجل التفرد عن الناس فلا يخالطهم
الا في جمعة وجماعة او عيد او حج او مجلس علم بالسنة او حاجة في
معيشة لا بد له من ذلك ويواري شخصه ويلزم بيته لا يعرف ولا
يعرف فاما ان احب هذا الرجل ان ينقطع عن الناس ولا يخالطهم
في امر من الامور البتة من دين ودنيا وجماعة وجمعة وغيرها لما
يرى له في ذلك من مصلحة وفراغة فانه لا يسعه ذلك الا باحد
امرين اما ان يصير الى موضع لا يلزمه هنالك هذه الفروض كرؤس
الجبال وبطون الاودية ونحوها ولعل هذا احد الوجوه التي
دعت العباد الى تلك المواضع البعيدة عن الناس واما ان يتيقن
بالحقيقة ان الضرر الذي يلحقه في مخالطة الناس بسبب هذه
الفروض اعظم من تركها فحينئذ يكون له عذر في ذلك ولقد رايته
انا بمكة حرسها الله عز وجل بعض المشايخ المتفردين من اهل

العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام في الجماعات مع قربه منه وسلامة حاله
فحاورته يوما في حال تردّدي اليه فذكر من عذره ما اشرنا اليه وهو
ان ما يجده من الثواب لا يفي بما يلحقه من الاثام والتبعات في الخروج
الى المسجد الحرام ولقاء الناس قلت انا وجملة الامر ولا عتب على
المعذور والله عز وجل اولى بالعذر وهو عليم بذات الصدور
لكن الطريق العدل فيه هو الاول بان يشارك الناس في الجمعة و
والجماعات وضروب الخيرات ويباينهم فيما سوى ذلك فان احب
الطريق الثاني بان ينقطع عن الناس بمرة فسبيله الخروج الى موضع
لا تتوجه عليه هذه الفروض فيها الا ان الطريق الثالث وهو ان يكون
مع الناس في مصر واحد ولا يحضر جمعة ولا جماعة لعذر يراه في
ذلك من وزر او تبعة عليه فانه يحتاج الى نظر دقيق وعوارض عظيمة
حتى يسقط ذلك عنه وفيه خطر من الغلط فالاول اسلم واحفظ له
والله عز وجل ولي الهداية بفضله واما الرجل الثاني فرجل يكون
قدوة في العلم بحيث يحتاج الناس اليه في امر دينهم ببيان حق او رد
او رد على مبتدع او دعوة الى الخير بفعل او قول او نحو ذلك فلا
يسع لهذا الرجل الاعتزال عن الناس بل ينصب نفسه بينهم
ناصحا لله تعالى ذابا عن دين الله مبينا لاحكام الله عز وجل فلقد
روينا عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال اذا ظهرت البدع

فعليه لعنة الله

وسكت العالم فقد لعنه الله هذا اذا كان بينهم واما اذا خرج
من بينهم فلا يجوز لرائيه ولقد حكي عن الاستاد ابي بكر بن فورك
انه قصد ان يتزهد لعبادة الله تعالى عن الخلق فبينا هو في بعض
الجبال اذ سمع صوتا ينادي يا ابا بكر اذا صرت من حجج الله عز و
جل على خلقه تركت عباد الله فرجع وكان هذا سبب صحبته للخلق
وذكر لي مامون بن احمد ان الاستاد ابا اسحق قال لعباد جبل
لبنان يا اكلة الحشيش تركتم امة محمد عليه السلم في ايدي المبتدعة
واشتغلتم ههنا باكل الحشيش قالوا انا لا نقوى على صحبة الخلق
وانما اعطاك الله قوة فيلزمك ذلك فصنّف بعد ذلك كتابه
الجامع الجلي والخفي وكان لهم رضي الله عنهم مع غزارة العلم والعمل
الجم النظر الدقيق في سلوك طريق الاخرة واعلم ان مثل هذا الرجل
المحتاج اليه في باب الدين يحتاج في صحبة الخلق الى امرين شديدين
احدهما صبر طويل وحلم عظيم ونظر لطيف واستعانة بالله عز وجل
دائمة والثاني ان يكون في هذا المعنى منفردا عنهم وان كان
بالشخص معهم فان كلموه كلمهم وان زاروه عظمهم على قدرهم و
شكرهم وان سكتوا عنه واعرضوا استغنم ذلك منهم وان
كانوا في حق وخير ساعدهم وان صاروا الى لغو وشر خالفهم
وهاجرهم بل رد عليهم وزجرهم ان رجا قبولهم ثم يقوم بجميع حقوقهم

من الزيارات والعبادات وقضاء الحاجات التي ترفع اليه ما
امكنه ولا يطالبهم بالمكافات ولا يرجو خلك منهم ولا يريهم
من نفسه استيحاشا لذلك ويباسطهم بالبذل اذا قدر و
ينقبض عنهم في الاخذ ان اعطي ويحتمل منهم الاذى ويظهر لهم البشر
ويتحمل بظاهره لهم ويكتم حاجاته عنهم فيقاسيها بنفسه و
يعالجها في سره وباطنه ثم يحتاج مع ذلك ان ينظر لنفسه خاصة
فيجعل لها حظا من العبادة الخالصة كما قال عمر بن الخطاب
ان نمت الليل لاضيعن نفسي وان نمت النهار لاضيعن الرعية
فكيف لي بالنوم بين هاتين وفي هذا عرض لي من الابيات من
الشعر فان كنت في هذه الايام راغبا ... وتطلب ان تبقى بتلك الوقايع

بنفس وقور عند كل كريهة ... وتكتب صبورا وهو في الصدر مايع

لسانك مخزون وطرفك مطرق ... وسرك مكتوم لدى الرب ذائع

وذكرك مغمور وبابك مغلق ... وثغرك بسام وبطنك جائع

وقلبك مجروح وسرك قلقا ... وفضلك مدفون وطعنك شايع

وفي كل يوم ان تجرع غصة ... من الدهر والاخوان والغلب طائع

نهارك شغل الناس من غير منتهى ... وليلك سوق غاب عنه الطلايع

فدونك هذا الليل ... ... ليوم عبوس ... الذرايع ثم يكون

بالنفس معهم وبالقلب ما ابعد عنهم وذلك لعمري امر شديد و

عيش

وقور گران گردن

عيش نكد وفيه يقول شيخنا في وصيته يا بني عش مع اهل زمانك
ولا تقتد بهم ثم قال ما اشد هذا العيش مع الاحياء والاقتداء
بالاموات وعن ابن مسعود رضي الله عنه خالط الناس وزايلهم و
دينك لا تكلمنه فهذه تكنه مقنعة ثم اقول اذا هاج الفتن
بعضها على بعض وتراجع الامر وولي الناس على امر الدين من
لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة ولا يطلبون عالما ولا يرمقون عنده
ولا يعنيهم امر دينهم البتة وترى الفتنة تعم العامة وتدب بين الخاصة
فللعالم العذر في العزلة والتزهد ودفن العلم واخاف ان ما ذكرنا
هذا الزمان النكد الصعب وبالله المستعان وعليه التكلان
فهذا حكم العزلة والتوحد عن الناس فافهم فان الغلط فيه عظيم
وضرره كثير وبالله التوفيق فان قيل اليس النبي صلى الله عليه وآله
يقول عليكم بالجماعة فان يد الله تعالى على الجماعة وان الشيطان
ذئب الانسان يأخذ الشاذة والناحية والقاصية وقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين
ابعد فاعلم ان هذه وردت ووردت ايضا الزم بيتك وعليك
بالخاصة وامر بالعزلة والتفرد في زمان السوء ولا تناقض في قوله
صلى الله عليه وآله ولا بد من الجمع بين الخبرين بحول الله عز وجل و
توفيقه فاقول قوله صلى الله عليه وآله عليكم بالجماعة يحتمل ثلثة

اوجه احدها انه يعني به في الدين والحكم اذ لا يجتمع هذه الامة على
ضلالة فخرق الاجماع والحكم بخلاف ما عليه جمهور الامة والشذوذ
عنه باطل وضلال واما ان يعتزل عنهم لصلاح في دينه فليس
هذا من ذلك في شيء والثاني عليكم بالجماعة بان لا تنقطعوا في
جمعهم وجماعاتهم ونحوها فان فيها قوة الدين وكمال الاسلام وغيظ
الكفار والملحدين ولا يخلو ذلك من بركات ونظر من الله عز وجل
اذا راى زمان الفتنة الذي حذر النبي صلى الله عليه وآله والائمة
منه وامرهم بالعزلة فيه فالعزلة اولى لما في الخلطة من الفساد ولكن
ان لا ينقطع من جموع الاسلام والخيرات العامة واذا اراد ان ينفرد
عن الناس مرة فليسكن شاهق جبل او بطن فلاة لصلاح يراه
في دينه ثم قلت ولا ارى مثل هذا ايما كان الا ويمكنه الله عز وجل
من حضور الجماعات والجمعات وساير جموع الاسلام بحيث لئلا يفوته
الحظ منها ايضا فان جموع الاسلام من الله عز وجل بمكان وان تغير
الناس وفسدوا كذا سمعنا من حال الابدال انهم يحضرون جموع
الاسلام ايما كانت ويسيرون من الارض حيث ما شاؤوا وان
الارض لهم قدم واحد وفي الاخبار ان الارض تطوى لهم ويبادرون
بالتحيات ويتحققون بانواع البر والكرامات فهنيئا لهم بما ظفروا
به واحسن الله عز وجل عزاء من غفل عن النظر في صلاح نفسه

واحسن الله جزاء من عقل ولم يغفل من النظر في خلاص نفسه

واعان

واعان الطالب الذي لم يصل الى المقصود كما شاء لنا ولقد عرض
لي في صغر حالي ابيات من الشعر وهي ؛ ظفر الطالبون واتصل الوصل
وفاز الاحباب حيّ بالاحباب ؛ وبقينا مذبذبين حيارى
بين حر الوصال والاجتناب ؛ نرتجي القرب بالبعاد وهذا
نعتو حال المحال للالباب ؛ فاسقنا شربة منك تذهب
الغم وتهدي الى طريق الصواب ؛ يا طبيب السقام يا راحم الجراح
ويا منقذي من الاوصاب ؛ فلنقبض الآن عنان الجنان ونرجع
الى المقصود من شان العزلة فقد خرجنا من شرط الباب فان
قيل قد قال النبي صلى الله عليه وآله رهبانية امتي الجلوس في المساجد
وفيه نهي عن التفرد فاعلم ان ذلك في غير زمان الفتنة كما ذكرنا وايضا
فانه يجلس في المسجد ولا يخالط الناس ولا يباخلهم فيكون بالشخص
معهم وفي المعنى منزويا عنهم وهذا هو المعنى في العزلة والتفرد الذي
نحن في شرحه لا التفرد في الشخص والمكان فافهم ذلك رحمك الله
وفيه يقول ابراهيم بن ادهم رحمه الله كن واحدا جامعيا وكن
بربك ذا انس ومن الناس وحشيا فان قيل فما تقول في مدارس
علماء الآخرة ورباطات الصوفية سالكي طريق الآخرة والكون
فيها فاعلم ان ذلك الطريقة المثلى في هذا الشان لعامة اهل
العلم والاجتهاد وذلك انها جمعت معنيين والفايدتين اللتين

احدهما العزلة عن الناس والتفرد عنهم بالصحبة والمخالطة و
المزاحمة في امورهم والثانية المشاركة معهم في جمعهم وجماعاتهم
وتكثير شعاير الاسلام فتحصيل السلامة التي للمتفردين والخير الكثير
الذي هو لعامة المسلمين مع ما للناس منهم من العدة والبركة و
النصيحة فصار الكون فيهما اعدل طريق واحسن حال واسلم
سبيل ولهذا الشان اقام اكثر العارفين بين الناس لنفعهم لعباد الله
عز وجل في باب الدين وقلة اذاهم ومشاهدة الخلق لادابهم و
حسن رسومهم ليقتدوا بهم فان لسان الحال افصح من لسان
المقال فصار ذلك احسن تدبير في امر الدين للعلم والعبادة واحكم
راي فان قيل فما حال المريد مع المجتهدين والمرتاضين ايصحبهم ام
يعتزلهم فاعلم انهم اذا كانوا ثابتين على رسومهم الاولى وسيرهم
الموروثة عن سلفهم فهم اجل اخواننا في الله عز وجل واصحابنا و
اعواننا على عبادة الله عز وجل فلا يشتغل عنهم بالعزلة والتفرد
انما مثلهم كمثل ما يسمع من زهاد لبنان وغيرهم ان منهم جماعات
يتعاونون بالبر والتقوى ويتواصون بالحق والصبر واما اذا
تغيروا وتركوا رسومهم واخلوا بطريقهم الموروثة عن
اسلافهم الصالحين فحكم هذا المجتهد المرتاض معهم كحكمه مع
ساير احوالهم وافاتهم فيكون في عزلة من اهل العزلة متفردا عن

الناس يلزم زاويته و
يملك لسانه ويشاركهم
في خيراتهم ويجانبهم في شرارهم

المتفردين

المتفردين فان قلت فان اختار هذا المجتهد المرتاض ان يخرج
من بينهم الى مكان آخر لصلاح يراه في نفسه ويجتنب افة تدخل
عليه في صحبتهم فاعلم ان هذه المدارس والرباطات بمنزلة حصن
حصين يتحصن بها المجتهدون عن القطاع والسراق والحاد
بمنزلة الصحراء تدور فيها فرسان الشياطين عسكرا عسكرا فتستلبه
او تستاسره فكيف حاله اذا خرج الى الصحراء وتمكن العدو منه
من كل جانب يعمل به ما يشاء فاذا ليس لهذا الضعيف الا لزوم الحصن
واما الرجل القوي البصير الذي لا يغلبه الاعداء واستوى
عنده الحصن والصحراء فلا عليه اذا خرج غير ان الكون في الحصن
احوط على كل حال اذ لا تؤمن الفلتات والاتفاقات السوء واذا
كان الامر بهذه الجملة بيانا فالكون مع رجال الله عز وجل والصبر على
مشقة الصحبة اولى للمرتاض وطالب الخير بكل حال ولا مانع للقوي
البالغ مبلغ الاستقامة عن التفرد منهم فاعلم هذه الجملة و
تاملها تغنم وتسلم ان شاء الله تعالى فان قيل فما تقول في زيارة
الاخوان في الله عز وجل ومواصلة الاصحاب بالتلاقي والتذاكر
فاعلم ان زيارة الاخوان في الله عز وجل من جواهر عبادة الله
سبحانه ومنها الزلفة الكريمة الى الله تعالى وتقدس مع ما فيها
من ضروب الفوايد وصلاح القلب ولكن بشرطين احدهما الاخر

من ذلك الى الاكثار والافراط قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي
هريرة زر غبا تزدد حبا والثاني ان يحفظ حق ذلك بالتجنب عن
الرياء والتزين وقول اللغو والغيبة ونحو ذلك فيعود عليك
وعلى اخيك الوبال فلقد حكي ان الفضيل وسفيان رحمهما الله
تذاكرا فبكيا فقال سفيان يا ابا علي ارجو انا ما جلسنا مجلسا
ارجى لنا من هذا فقال الفضيل ما جلست مجلسا اخوف علي من
هذا قال وكيف يا ابا علي قال الست عمدت الى احسن حديثك
فحدثتني به وانا عمدت الى احسن ما عندي فاحدثك به فتزينت
لي وتزينت لك فبكى سفيان فيجب ان تكون مجالستك للاخوان
ومقالاتهم على مقدار قصد في احتياط ونظر لطيف فلا يقدح
ذلك في تفردك وعزلتك عن الناس ولا يعود عليك ولا
على صاحبك بضرر ولا آفة بل بخير كثير ونفع عظيم وبالله التوفيق
فان قلت فما يعينني على العزلة عن الناس والتفرد ويهون علي ذلك
فاعلم ان الذي يهون عليك ثلثة امور احدها استغراق اوقاتك
في العبادة فان في العبادة شغلا وان الاستيناس بالناس من
علامات الافلاس فاذا رايت نفسك تطلع الى ملاقات الناس
وكلامهم من غير حاجة وضرورة فاعلم ان ذلك فضول ساعة الفراغ
والبطر اليك ولقد احسن من قال في هذا المعنى ان الفراغ
الى

الى سلامتك قادني ولربما عمل الفضول الفارغ واذا عانقت
العبادة بحقها وجدت حلاوة المناجات واستانست
بكتاب الله عز وجل واشتغلت عن الخلق واستوحشت من
صحبتهم وكلامهم ففي الخبر ان موسى عليه السلم كان اذا رجع من
المناجاة يستوحش من الناس وكان يجعل اصبعيه في اذنيه
كيلا يسمع كلامهم وكان كلامهم عنده في ذلك الوقت كاصوات
الحمير وعليك بما قال له شيخنا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا
والثاني قطع الطمع عنهم بمرة فيهون عليك امرهم لان من لا ترجوا
نفعه ولا تخاف ضرره فوجوده وعدمه سواء والثالث تبصر آفاتهم
وتذكر ذلك وتكرره على قلبك فان هذه الاذكار الثلاثة اذا آكدتها
طردتك عن صحبة الخلق الى باب الله عز وجل والتفرد بعبادته
وحببته اليك والزمتك بابه وبالله التوفيق ثم العصمة العائق
الثالث الشيطان ثم عليك يا اخي بمحاربة الشيطان وقهره
وذلك لخصلتين احداهما لانه عدو ولا مطمع في المصالحة والابقاء
عليه بل لا يقنعه الا هلاكك اصلا فلا وجه اذا للامن من قبل
هذا العدو والغفلة عنه وتامل آيتين من كتاب الله عز وجل
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وهذا اقصى التحذير وغايته
والخصلة الثانية لانه مجبول على عداوتك ومنتصب ابدا

لمحاربتك فهو اناء الليل واطراف النهار يرميك بسهامه وانت
غافل عنه فكيف يكون الحال ثم وقعت منك نكتة اخرى وهي
انك في عبادة الله عز وجل ودعوة الخلق الى باب الله سبحانه
بفعلك وقولك وهذا ضد صنع الشيطان وهمته ومراده و
صنيع
حرفته فصرت كانك قمت وشددت وسطك لمعاديك وتقاتله
ويحاربك حتى يفسد عليك شانك بل حتى يهلكك واسا اذ
لا يامن جانبك بعد فان الذي يسعى ويقصد بالهلاك الى من
لا يغايظه ولا يناقضه بل يصادقه ويوافقه كالكفار واهل
الضلالة واهل الرغبة في بعض الاحوال فكيف تظن قصده
لمن قام لمغايظته وتجرد لمناقضته فله اذا مع سائر الناس
عداوة عامة ومعك ايها المجتهد في العبادة والعلم عداوة خاصة
وان له بهم ومعه عليك اعوان اشدها عليك نفسك
وهواك وله اسباب ومداخل وابواب انت عنها غافل ولقد
صدق يحيى بن معاذ الرازي حيث قال الشيطان فارغ وانت
مشغول والشيطان يراك وانت لا تراه وانت تنساه وهو
لا ينساك ومن نفسك للشيطان عليك عون فاذن لابد
من محاربته وقهره والا فلا تامن من الفساد والهلاك فان قلت
فباي شيء احارب الشيطان وباي شيء اقهره وادفعه فاعلم

ان لاهل هذه الصناعة في مثل هذه المسئلة طريقين احدهما
ما قال بعضهم ان التدبير في دفع الشيطان الاستعاذة بالله
عز وجل لا غير فان الشيطان كلب سلطه الله تعالى فان اشتغلت
بمحاربته ومعالجته تعبت وضاق عليك وضاع عنك وقتك
وربما يظفر بك فيعقرك ويجرحك فان الرجوع لرب الكلب
ليصرفه عنك اولى والثاني ما قال اخرون ان طريق المجاهدة
والقيام عليه بالدفع والرد والمخالفة والذي عندي ان الطريق
العدل الجامع في امره ان تجمع بين الطريقين فنستعيذ بالله عز
وجل اولا من شره كما امرنا وهو الكافي شره ثم ان رايناه تغلب
علينا علمنا انه ابتلاء من الله تعالى ليرى صدق مجاهدتنا وقوتنا
في امر الله عز وجل وصبرنا كما انه سلط علينا الكفار مع قدرته
على كفاية امرهم وشرهم كما قال الله تعالى ولو شاء الله لانتصر منهم
ولكن ليبلو بعضكم ببعض ليكون لنا حظ من الجهاد والصبر
والتمحيص والشهادة كما قال تعالى وليعلم الله الذين امنوا
ويتخذ منكم شهداء وقال عز وجل ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
وكذلك هذا ثم ان محاربته وقهره فيما قاله علماؤنا رضي الله عنهم
في ثلاثة اشياء احدها ان تتعرف وتتعلم مكايده وحيله

فلا تتجاسر عليك كاللص اذا علم ان صاحب الدار قد احس
به فرّ والثاني ان تستخف بدعوته ولا تعلق قلبك بذلك ولا
تتبعه فانه بمنزلة الكلب النابح ان اقبلت عليه وتع بك اوَلَجَّ
وان اعرضت عنه سكت **الثالث** ان تديم ذكر الله عز وجل
بلسانك وقلبك فلقد قال صلى الله عليه وآله ان ذكر الله
عز وجل في جنب الشيطان كالآكلة في جنب ابن ادم فان قلت
فكيف نعلم مكايده وكيف الطريق الى معرفة ذلك فاعلم ان له
وساوس هي بمنزلة السهام التي يرميها وذلك انما تتبين لك
بمعرفة الخواطر واقسامها وذلك ان له حيلاً بمنزلة الشباك
التي ينصبها وذلك يتبين بمعرفة المكايد واوضاعها ومجاريها
ولقد ذكر علماؤنا ابوابا من الخواطر وقد صنفنا كتابا سميناه
تلبيس ابليس وكتابنا هذا لا يحتمل الاكثار ولكنا نذكر لك انشاء الله
تعالى من كل واحد من ذلك اصلا كافيا اذا اعتصمت به كفاك
بعون الله عز وجل **فاما اصل الخواطر** فاعلم ان الله عز وجل وكل بقلب
ابن ادم ملكا يدعوه الى الخير يقال له الملهم ولدعوته الالهام
وسلط في مقابلته شيطانا يدعو العبد الى الشر يقال له الوسواس
ولدعوته وسوسة فالملهم لا يدعو الا الى الخير والوسواس لا
يدعو الا الى الشر في قول اكثر علمائنا وقد حكى عن شيخنا ان

يبين

الشيطان

الشيطان ربما يدعو الى الخير وقصده في ذلك الشر بان يدعوه
الى المفضول ليمنعه عن الفاضل ويدعوه الى خير ليجره الى ذنب
عظيم لا يفي خيره بذلك الشر من عجب او غيره فهنا داعيان
قايمان على قلبه يدعوانه وهو يسمع وقلبه يحيق بذلك على ما روي
في الاخبار انه اذا ولد لبني ادم مولود قرن الله تعالى به ملكا و
قرن الشيطان به شيطانا والشيطان جاثم على اذن قلبه
اليسرى والملك جاثم (ای مقیم) على اذن قلبه اليمنى فهما يدعوانه وقال
النبي صلى الله عليه وآله للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة يعني
نزلة بالدعوة من قولهم لمّ بالمكان والمّ به اذا نزل به ثم ركّب
الله عز وجل في بنية الانسان طبيعة مايلة الى الشهوات ونيل
اللذات من حسن او قبيح فذلك هوى النفس الصارفة الى
الآفات فهذه ثلثة دعاة ثم اعلم بعد هذه المقدمة ان الخواطر
هي آثار تحدث في قلب العبد تبعثه على الافعال والتروك وتدعوه
اليها وسميت خواطر لاضطرابها من خطرات الريح ونحوه و
حدوثها جميعا في قلب العبد بالحقيقة من الله عز وجل لكنها اربعة
اقسام منها ما يحدثه الله تعالى في القلب ابتداء فيقال له الخاطر
فقط وقسم يحدثه موافقا لطبع الانسان فيقال له هوى
النفس وينسب اليه وقسم يحدثه عقيب دعوة الملهم فنسب

اليه فيقال له الالهام وقسم يحدثه عقيب دعوة الشيطان
فينسب اليه فيقال له الوسوسة وحينئذ اليه بانها خواطر ان
الشيطان وانما هي في الحقيقة حادثة عند دعوته فهو كالسبب
في ذلك ولكنه ينسب اليه فهذه اربعة اقسام من الخواطر ثم اعلم
بعد هذا التقسيم ان الخاطر الذي هو من قبل الله عز وجل ابتدا
قد يكون بخير اكراما والزاما للحجة وقد يكون بشر امتحانا وتغليظا
للمحنة والخاطر الذي يكون من قبل الملهم لا يكون الا بخير اذ هو ناصح
مرشد لم يرسل الا لذلك والخاطر الذي من قبل الشيطان لا
يكون الا بشر اغواءً واستنزالا وربما يكون بالخير مكرا واستدراجا
والذي يكون من قبل هوى النفس يكون الشر وربما لا خير فيه تمتعا و
تعسفا ولقد وجدت عن بعض السلف ان هوى النفس ايضا قد
يدعو الى الخير والمقصود منه شر كالشيطان فهذه انواعها
ثم بعد هذه انك تحتاج الى معرفة ثلثة فصول لا بد لك منها البتة
وفيها المقصود احدها الفرق بين خاطر الخير وخاطر الشر
في الجملة والثاني الفرق بين خاطر شر ابتدائي او شيطاني او
هوائي بما ذا تفرق بينها فان لكل واحد منها دفعا من نوع
اخر والثالث الفرق بين خاطر خير ابتدائي او الهامي او شيطاني
لتتبع ما يكون من الله تعالى او من الملهم وتجتنب ما يكون

من الشيطان وكذلك الهوى على قول من يقول **الفصل الاول** قال علماؤنا اذا اردت ان تعلم خاطر الخير من خاطر الشر
وتفرق ما بينهما فزنه باحدى الموازين الاربعة تتبين لك الحالة
فالاول ان تعرض الامر الذي خطر ببالك على الشرع فان وافق
جنسه فهو خير وان كان بالضد برخصة او شبهة فهو شر
فان لم يستبن لك بهذا الميزان فاعرضه على الاقتداء بالصالحين
فان كان في فعله اقتداء بالصالحين فهو خير وان كان بضد اتباع بغير
الصالحين فهو شر فان لم يستبن لك بهذا الميزان فاعرضه على
النفس والهوى فانظر ان كان مما ينفر عنه النفس نفرة طبع
لا نفرة خشية وترهيب فاعلم انه خير وان كان مما تميل
اليه النفس ميل طبع وجبلة لا ميل رجاء الى الله عز وجل وترغيب
فهو شر اذ النفس امارة بالسوء لا تميل باصلها الى الخير وباحد
هذه الموازين اذا نظرت وامعنت النظر تتبين لك خواطر الخير
من خواطر الشر والله عز وجل ولي الهداية بفضله انه جواد كريم
واما الفصل الثاني اذا اردت ان تفرق بين خاطر الشر
الذي يكون من قبل الشيطان وبين خاطر الشر الذي يكون من
هوى النفس او من الله تعالى ابتداء فانظر فيه من ثلاثة اوجه احدها
ان وجدته مصمما ثابتا على حالة واحدة فهو من الله عز وجل

اومن هوى النفس فان وجدته مترددا مضطربا فاعلم انه من
الشيطان وكان بعض العارفين يقول مثل هوى النفس
مثل النمر اذا حارب لا ينصرف الا بتمع بالغ وقهر ظاهر ومثل الخارجي
الذي يقاتل تدينا لا يكاد يرجع حتى يقتل ومثل الشيطان مثل
الذئب اذا طردته من جانب دخل من جانب وثانيها ان وجدته
عقيب ذنب احدثته فهو من الله عز وجل اهانة وعقوبة لشوم
ذلك الذنب قال الله عز وجل كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون ثم قال شيخ الامام هكذا يودي الذنوب الى قسوة القلب
اولها خاطر ثم يودي الى القسوة والرين وان كان هذا الخاطر
مبتدعا عقيب ذنب كان منك فاعلم انه من قبل الشيطان هذا في
الاكثر لانه يبتدا بدعوة الشر ويطلب الاغواء بكل حال وثالثها
ان وجدته لا يضعف ولا يقل بذكر الله تعالى ولا يزول فهو من الهوى
وان وجدته يضعف ويقل بذكر الله تعالى فهو من الشيطان كما ذكر
في تفسير قوله تعالى من شر الوسواس الخناس ان الشيطان جاثم
على قلب ابن ادم اذا ذكر الله عز وجل خنس واذا غفل وسوس
واما الفصل الثالث اذا اردت ان تفرق بين
خاطر خير يكون من الله عز وجل او من الملك فانظر في ذلك من
ثلثة اوجه احدها ان تنظر فان كان قويا مصمما فهو من الله عز

وجل

وجل وان كان مترددا فهو من الملك اذ هو بمنزلة ناصح
يدخل معك في كل جانب ووجه ويعرض عليك كل نحو رجاء
اجابتك ورغبتك في الخير والثاني ان كان عقيب اجتهاد
منك في طاعة فهو من الله عز وجل قال الله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا زادهم هدى
وان كان مبتدءا فهو من الملك في الاغلب والثالث منها
ان كان في الاصول والاعمال الباطنة فهو من الله تعالى وان كان
من الفروع والاعمال الظاهرة فهو من الملك في الاكثر اذ الملك
لا سبيل له الى معرفة باطن العبد في قول اكثرهم واما خاطر الخير
الذي يكون من قبل الشيطان استدراجا الى شر يربى عليه ولقد
قال شيخنا انظر ان وجدت نفسك في ذلك الفعل الذي خطر
بقلبك مع نشاط لا مع خشية ومع عجلة لا مع تأن ومع امن
لا مع خوف ومع عمى القلب من العاقبة لا مع بصيرة فاعلم انه من
الشيطان فاجتنبه وان وجدت نفسك على ضد ذلك مع خشية
لا مع نشاط ومع تان لا مع عجلة ومع خوف لا مع امن ومع بصارة
من العاقبة لا مع عمى القلب فاعلم انه من الله تعالى او من الملك
قلت انا وكان النشاط خفة في الانسان للشغل من غير بصيرة
وذكر ثواب فينشط واما الثاني محمود الا في مواضع معدودة

وذكر في الخبر عن النبي صلى الله واله العجلة من الشيطان الا في خمسة
تزويج البكر اذا ادركت وقضاء الدين اذا وجب وتجهيز الميت
اذا مات وقرى الضيف اذا نزل والتوبة من الذنب اذا اذنب
فاما الخوف له فيحتمل ان يكون في اتمامه وادائه على وجهه و
حقه وقبول الله تعالى اياه واما بشارة العاقبة بان يبشر ويتيقن
انه رشد وخير ويحتمل ويرجو الثواب في العقبى ويحبائه فاعلم ذلك
موفقا ان شاء الله تعالى فهذه الفصول الثلاثة التي لزمك معرفتها
في فصل الخواطر فارعها وانعم النظر فيها ما استطعت فانها من العلوم
اللطيفة والاسرار الشريفة في هذا الباب والله عز وجل الموفق
بفضله **واما فصل الحيل والمخادعات من الشيطان** ومجاري ذلك ومثاله
ان مكايد الشيطان مع ابن ادم في فعل الطاعة من سبعة اوجه
احدها ان ينهى عنه فان عصمه الله تعالى رده بان قال اني
لمحتاج الى ذلك جدا اذ لابد لي من التزود من هذه الدنيا
الفانية للاخرة التي لا انقضاء لها ثم يامره بالتسويف فان عصمه
الله عز وجل رده بان قال ليس اجلي بيدي على اني ان سوفت عمل
اليوم الى غد فعمل الغد متى اعمله فان لكل يوم عملا ثم يامره بالعجلة
فيه فيقول له عجل عجل لتتفرغ لكذا وكذا فان عصمه الله تعالى
رده بان قال قليل العمل مع التمام خير من كثير مع النقصان ثم

يامره باتمام العمل مراياة للناس فان عصمه الله تعالى رده
بان قال ما الذي اعمل لمراياة الناس اما يكفيني رؤية الله
عز وجل ثم يريد ان يوقعه في العجب فيقول ما اعظمك وايقظك
فان عصمه الله تعالى رده بان قال المنة لله تعالى في ذلك دوني
هو الذي خصني بتوفيقه وجعل لعملي قيمة بفضله ولولا فضله
فماذا كان قيمة هذا العمل في جنب نعم الله تعالى علي وفي جنب
معصيتي له ثم يأتيه من وجه سادس وهو اعظمها ولا يقف عليه
الا المستيقظ وهو ان يقول اجتهد انت في السر فان الله تعالى
سيظهره عليك ويلبس كل عامل عمله واراد بذلك ضربا من
الرياء فان عصمه الله عز وجل رده بان قال يا ملعون الى الان
تاتيني من وجه افساد عملي والان تاتيني من وجه اصلاحه لتفسده
انما انا عبد الله تعالى وهو سيدي ان شاء اظهر وان شاء اخفى
وان شاء جعلني خطيرا وان شاء جعلني حقيرا وذلك اليه وما
ابالي ان اظهر ذلك للناس او لم يظهر فليس بايديهم شيء
ثم ياتي من وجه سابع ويقول لا حاجة لك الى هذا العمل لانك
ان خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل وان خلقت شقيا لم ينفعك
فان عصمه الله تعالى رده بان قال انما انا عبد وعلى العبد امتثال
الامر للعبودية والرب اعلم بربوبيته يحكم ما يشاء ويفعل ما

يريد ولانه ينفعني العمل كيف ما كنت لاني ان كنت سعيدا
احتجت اليه لزيادة الثواب وان كنت شقيا فانا محتاج اليه
كيلا الوم نفسي على ان الله تع لا يعاقبني على الطاعة بكل حال
ولا تضرني على اني اذا دخلت النار وانا مطيع احب الي من ان
ادخلها وانا عاص بكل حال فكيف ووعده حق وقوله صدق
وقد وعد على الطاعة بالثواب فمن لقي الله تعالى على الايمان و
الطاعة لن يدخل النار ابدا البته ودخل الجنة لا لاستحقاقه
بعمله الجنة ولكن لوعده الصادق عز وجل ولهذا المعنى اخبر الله
تعالى عن السعداء اذ قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده فيتعظ
رحمك الله فان الامور كما ترى وتسمع وقس عليه ساير الافعال والاحوال
واستعن بالله تعالى واستعذ به فان الامر بيده ومنه التوفيق
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

العايق الرابع النفس

ثم عليك عصمك الله تعالى بالحذر من هذه النفس الامارة بالسوء
فانها اضر الاعداء وبلاءها اصعب البلاء وعلاجها اشد الاشياء
وداءها اعضل الادواء ودواءها اشكل الدواء وانما ذلك لامرين
احدهما انها عدو من داخل واللص اذا كان من داخل عزت الحيلة
وعظم الضرر ولقد صدق القائل نفسي الى ما ضرني داع
تكثر اسقامي واوجاعي كيف احتيالي في عدوي اذا كان عدوي

بين اضلاعي والثاني انه عدو محبوب والانسان عمي عن عيب
محبوبه ولا يكاد يبصر عيبه كما قال القايل عيون الرضا عن كل
عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا فاذا استحسن
الانسان من نفسه كل قبيح ولا يكاد يطلع على عيبها وهي في
عداوتها واضرارها فما اوشك ان توقعه في فضيحة وهلاك
وهو لا يشعر الا ان يحفظ الله عز وجل بفضله ويعين عليها
برحمته ثم اقول تامل يا ايها الرجل نكتة واحدة مقنعة وهي
انك اذا نظرت وجدت اصل كل آفة وفضيحة وخزي وهلاك
وذنب وقع في خلق الله تعالى من اول الخلق الى يوم القيامة
من قبل هذه النفس اما بها وحدها او بمعونتها ومشاركتها
ومساعدتها فاول المعصية لله تعالى كان من ابليس وكان سببه
بعد القضاء السابق هوا النفس بكبرها وحسدها القته بعد
عبادة ثمانين الف سنة فيما قيل في بحر الضلالة فغرق الى ابد
الابدين اذ لم يكن هناك دنيا ولا خلق ولا شيطان بل
كانت النفس بكبرها وحسدها فعلت به ما عملت ثم ذنب
ادم وحوا عليهما السلم ورضي عنهما طرحتهما شهوة النفس
في ذلك لحرصهما على البقاء والحياة حتى اغترا بقول ابليس
فكان ذلك اذا بعون النفس وشركتها حتى سقطا بذلك من

جوار الله عز وجل وقرار الفردوس الى هذه الدنيا الحقيرة النكدة
الفانية المهلكة حتى لقى اولادهما ما لقوا من ذلك اليوم الى الابد الا
ثم حدثت هابيل وقابيل كان السبب فيه الحسد والشح ثم
حدثت هاروت وماروت كان السبب فيه الشهوة ثم هلم جرا
الى يوم القيامة فلا تجد في الخلق فتنة ولا فضيحة ولا مثلا الا ولا
معصية الا واصلها النفس وهواها والا كان الخلق في
سلامة وخير واذا كان للانسان عدو قد عرف من نفسه بهذا
الضرر كله فحق العاقل ان يهتم بامره والله ولى التوفيق والهداية بفضله
فان قلت فما الحيلة لنا اذا في هذا العدو وما التدبير في امره
فبين لنا ذلك فاعلم ان ما ذكرناه فيما تقدم ان امرها عسير
صعب اذ لا يمكن قهرها بمرة كساير الاعداء اذ هي المطية والالة
ان اعرابيا دعا الانسان بخير فقال كبر الله كل عدو الا نفسك
ولا يمكن اهمالها بمرة لمكان ضررها فنحتاج الى طريق بين
الطريقين تربيها وتقويها بقدر ما يحتمل فعل خير وتضعفها
وتحبسها على حد لا يتمادى فانت في امرها في علاج شديد
ونظر لطيب ثم قد ذكرنا في امرها ان تلجمها بلجام التقوى و
الورع ليحصل الغايتان جميعا فان قيل ان هذه دابة جموح
وهي صعبة لا تنقاد للجام فما الحيلة فيها حتى تمكنا فيها فاعلم

انك لصادق والحيلة فيها تذليلها حتى تنقاد للجام التقوى
قال علماؤنا رحمهم الله انما تذلل النفس وكسر هواها بثلاثة
اشياء احدها منع الشهوات فان الدابة الحرون تلين اذا
نقص من علفها والثاني حمل اثقال العبادات عليها فان
الحمار اذا زيد في حمله مع النقصان من علفه بذلك وانقاد
والثالث الاستعانة بالله عز وجل والتضرع اليه بان يعينك
والا فلا مخلص لك اما تسمع قول يوسف عليه السلم ان النفس
لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فاذا واظبت على هذه الامور
الثلاثة انقادت لك النفس الجموح باذن الله تعالى فح تبادر
الى ان تملكها وتلجمها فتامن من شرها فان قلت فبين لنا
الان ما هو التقوى حتى نعلمه فاعلم اولا ان التقوى كنز
عزيز فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وعلق
نفيس وخير كثير ورزق كريم وفوز كبير وغنم جسيم وملك
عظيم وكان خيرات الدنيا والاخرة جمعت فجعلت تحت هذه
الخصلة الواحدة التي هي التقوى وتامل ما في القران من
ذكرها كم ما علق بها من خير وكم وعد عليها من اجر وثواب
وكم اضاف اليها من سعادة وانا اعد لك جملها اولها المدحة
والثناء قوله تع وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور

التقوى وفضايلها

والثاني الحفظ والحراسة من الاعداء قال الله تعالى وان تصبروا
وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا والثالث التأييد والنصرة كما
قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
وقال عز وجل والله مع المتقين والرابع النجاة من الشدائد والرزق
من الحلال قال الله عز وجل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب الخامس اصلاح العمل قال الله تعالى يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم السادس
غفران الذنوب قال الله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم السابع محبة
الله تعالى قال الله تعالى ان الله يحب المتقين الثامن القبول قال
الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين التاسع الاعزاز والاكرام قال
الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم العاشر البشارة عند الموت
قال الله تعالى الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في
الحياة الدنيا وفي الاخرة الحادي عشر النجاة من النار قال الله
تعالى ثم ننجي الذين اتقوا وسيجنبها الاتقى الثاني عشر الخلود
في الجنة قال الله تع اعدت للمتقين فهذه كل خير وسعادة في
الدارين تحت هذه التقوى فلا تنس نصيبك ايها الرجل منها
ثم الذي يخص به هذا الشان من امر العبادة بثلاثة اصول
احدها التوفيق والتأييد اولا وهو للمتقين كما قال الله تعالى

ان

ان الله مع المتقين والثاني اصلاح العمل واتمام التقصير
وهو للمتقين كما قال عز وجل يصلح لكم اعمالكم والثالث
قبول العمل وهو للمتقين كما قال عز وجل انما يتقبل الله من المتقين
ومدار العبادة على هذه الامور الثلثة التوفيق اولا حتى يعمل
ثم الاصلاح للتقصير حتى يتم ثم القبول اذا تم وهذه الثلاث
التي يتضرع فيها العابدون الى الله تعالى ويسئلون فيقولون
ربنا وفقنا لطاعتك واتمم تقصيرنا وتقبل منا وقد وعد
الله تعالى ذلك كله على التقوى واكرم بها التقي سال او لم
يسال فعليك بهذه التقوى ان اردت عبادة الله عز وجل
بل ان اردت سعادة الدنيا والعقبى فلقد صدق القائل
حيث يقول من اتقى الله فذاك الذي سيق اليه المتجر الرابح
والقائل من عرف الله فلا تغنه معرفة الله فذاك الشقي ما يضر
العبد بعز الغنى والعز كل العزة للمتقي وكتب على بعض القبور
ليس زاد سوى التقى فخذي ٥ زادك يا نفس او دعي
ثم تامل اصلا واحدا وهو انه هب انك قد تعبت جميع عمرك
في العبادة وجاهدت وكابدت حتى حصل لك ما تمنيت البير
الشان كله في القبول وقد علمت ان الله عز وجل يقول انما
يتقبل الله من المتقين فرجع الامر كله الى التقوى وكذلك روي

عن عايشة قالت ما اعجب رسول الله صلى الله عليه واله بشيء
من الدنيا ولا اعجبه احد الا ذو تقى وعن قتادة انه قال مكتوب
في التورية يا ابن ادم اتق الله ونم حيث شئت وبلغني عن عامر
بن عبد قيس انه بكى عند موته وكان يصلي في كل يوم وليلة
الف ركعة ثم ياتي الى فراشه ويقول يا ماوى كل شر والله ما رضيتك
لله طرفة عين فقيل له ما يبكيك قال قوله تعالى انما يتقبل الله
من المتقين ثم تامل نكتة اخرى وهي اصل الاصول وهي ما ذكر ان
بعض الصالحين قال لبعض اشياخه اوصني بوصية الله رب
العالمين الاولين والاخرين قوله عز وجل ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله فقلت انا اليس
الله عز وجل اعلم بصلاح العبد من كل احد اوليس هو انصح
له وارحم وارأف من كل احد ولو كان في العلم خصلة هي اصلح
للعبد واجمع للخير واعظم للاجر واجل في العبودية واعظم في
القدر واولى بالحال وانجح للامال من هذه الخصلة التي هي
التقوى لكان الله تعالى قدامرها عباده واوصى خواصه بذلك
لكمال الحكمة وسعة رحمته عز وجل فلما اوصى بهذه الخصلة الواحدة
وجمع الاولين والاخرين من عباده في ذلك واقتصر عليها فعلمت
انها الغاية التي لا متجاوز عنها ولا مقصد دونها والله عز وجل

قد جمع كل نصح ودلالة وارشاد وتنبيه وتاديب وتعليم وتهذيب
في هذه الوصية الواحدة كما يليق بحكمته ورحمته وعلمت ان هذه
الخصلة التي هي التقوى هي الجامعة لخير الدنيا والاخرة الكافية
لجميع المهمات المبلغة الى اعلى الدرجات في العبودية وهذا اصل
لا مزيد عليه وفيه كفاية لمن ابصر النور واهتدى وعمل بذلك فاستغنى
والله عز وجل ولي الهداية والتوفيق بمنه فان قلت لقد عظم
قدر هذه الخصلة وجل موقعها واشتدت الحاجة الى معرفتها
فلا بد الان من تفصيلها فاعلم ان الامر كذلك فحق لها ان يجل امرها
ويلزم طلبها ويمس الحاجة الى علمها ولكنك تعلم ان كل خطير وكبير
يحتاج في اجتلابه الى طلب كثير وتعب كبير وهمة عالية وجهد شديد
فاذا كان ان هذه الخصلة خصلة عظيمة كبيرة فالمجاهدة في طلبها
والقيام بحقها والعناية في تحصيلها ايضا لعمل كبير وشان عظيم
فان المكارم على حسب المكاره وان اللذات على حسب المؤونات
والله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان
الله لمع المحسنين وان الله لمع المتقين وان الله هو الرؤف
الرحيم الذي بيده تيسير كل شيء عسير فاستمع وتنبه جدا و
تفهم حد بيان هذه الخصلة حتى تعلمها ثم تشمر للقيام بها و
استعن بالله عز وجل حتى تعمل بما تعلم فان الشان كله في ذلك

والله تعالى ولي الهداية والتوفيق بفضله فنقول اعلم اولا ان
التقوى في قول شيوخنا هو تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق
مثله حتى يحصل الله العبد من قوة العزم على تركها وقاية بينه وبين
المعاصي هكذا قال شيخنا وذلك ان اصل لفظة التقوى في اللغة
هي الوقوى بالواو وهو مصدر كالوقاية يقال وقى يقي وقاية
ووقوى فابدلت من الواو تاء كما هو في الوكلان والتكلان و
نحوهما فقيل تقوى فاذن لما حصلت وقاية بين العبد وبين المعاصي
من قوة عزمه على تركها وتوطين قلبه على ذلك فهو متصف بانه
متق ويقال لذلك التنزيه والعزم والتوطين تقوى والتقوى
في القران يطلق على ثلثة اشياء احدها بمعنى الخشية والهيبة قال
الله تعالى واياي فاتقون وقال عز وجل واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله والثاني بمعنى الطاعة والعبادة قال الله عز وجل
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس رضي الله عنه
اطيعوا الله حق طاعته قال مجاهد هو ان يطاع فلا يعصى وان
يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر والثالث بمعنى تنزيه القلب
عن الذنوب وهذه هي الحقيقة في التقوى دون الاولين الا ترى
ان الله تعالى قال ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك
هم الفائزون ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى فعلمت ان

حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية وهي تنزيه القلب
على ما ذكرناه ثم قالوا منازل التقوى عن الشرك وتقوى عن
البدعة وتقوى عن المعاصي الفرعية ولقد ذكرها الله تعالى في اية
واحدة وهي قوله جل ذكره ليس على الذين امنوا جناح فيما طعموا
اذا ما اتقوا وامنوا ثم اتقوا وامنوا واحسنوا التقوى الاولى
تقوى عن الشرك والايمان الذي في مقابلته التوحيد والتقوى
الثانية عن البدعة والايمان الذي ذكر معها اقتداء السنة و
الجماعة والثالثة عن المعاصي الفرعية والاصرار في هذه المنزلة
يقابلها بالاحسان وهو الطاعة والاستقامة عليها
فيكون منزلة مستقيمي الطاعة والاية قد جمعت ذكر المنازل
الثلثة منزلة الايمان ومنزلة السنة ومنزلة الاستقامة والطاعة
فهذا ما قاله العلماء في بيان معنى التقوى قلت انا قد وجدت
التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال وهو ما روي في الخبر المشهور
عن النبي صلى الله عليه واله انه قال انما سمي المتقون متقين لتركهم
ما لا باس به حذرا عما به باس فاحببت ان اجمع بين ما قاله علماؤنا
وبين ما جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه واله فيكون حدا جامعا
ومعنى بالغا فاقول التقوى هو اجتناب كل ما تخاف منه ضررا في
دينك الا ترى انه يقال للمريض المحتمي انه يتقي اذا اجتنب عن كل شيء

وعملوا الصالحات

ثم اتقوا

يضره في بدنه من طعام او شراب او فاكهة او غيرها ثم الذي يخاف
منه الضرر في امر الدين قسمان محض الحرام والمعصية وفضول
الحلال لان الاشتغال بفضول الحلال والانهماك فيه يستجر
صاحبه الى الحرام ومحض العصيان وذلك لشره النفس وطغيانها
وتمرد الهوى وعصيانها فمن اراد ان يامن الضرر في امر دينه
اجتنب الخطر فامتنع من فضول الحلال حذرا ان يجره الى محض الحرام
على ما قال صلى الله عليه وآله لتركهم ما لا باس به حذرا مما به باس
يعني لتركهم فضول الحلال حذرا من الوقوع في الحرام فالتقوى
الجامعة البالغة اجتناب كل ما فيه ضرر لامر الدين وهو المعصية
والفضول فهذا تفصيلها واما اذا اردنا تحديدها على موضع
علم السر فنقول حد التقوى الجامع تنزيه القلب عن شر لم يسبق
عنك مثله بقوة العزم على تركه حتى يصير لك وقاية بينك وبين
كل شر ثم الشرور ضربان شر اصلي وهو ما نهي عنه تحريما
كالمعاصي المحضة وشر غير اصلي وهو ما نهي عنه تاديبا وهو فضول
الحلال كالمباحات الماخوذة بالشهوات فالاولى تقوى فرض
يلزم بتركها عذاب النار والثانية تقوى خير وادب يلزم بتركها
الحبس والحساب والتعيير واللوم فمن اتى بالاولى فهو في الدرجة
الادنى من التقوى وهو منزلة مستقيمي الطاعة ومن اتى بالاخرى

فهو

فهو في الدرجة العليا من التقوى وذلك منزلة مستقيمي المباح
فاذا جمع العبد بينهما على اجتناب كل معصية وفضول فقد استكمل
معنى التقوى وقام بجملتها وجمع كل خير فيها فهذا هو الورع الكامل
الذي هو ملاك امر الدين وذلك منزلة الادب على باب الله سبحانه
فهذا معنى التقوى وبيانها في الجملة فافهمه موفقا ان شاء الله تعالى
فان قلت فتفصل لنا الان هذا المعنى في النفس واستعماله فيها
فان الحاجة جاءت من هنالك لنعلم كيف نلجم هذه النفس بهذا المعنى
الذي فصلت من حقيقة التقوى فاقول اجل انما تفصله في امر
هذه النفس ان تقوم عليها بقوة العزم فتمنعها عن كل معصية وتصونها عن كل فضول
فاذا فعلت ذلك كنت قد اتقيت الله تعالى في عينك واذنك
ولسانك وقلبك وبطنك وفرجك وجميع اركانك والجمتها
بلجام التقوى ولهذا الباب شرح طويل وقد اشرنا اليه في احياء
علوم الدين واما الذي لا بد منه ههنا ان يقول من اراد ان
يتقي الله عز وجل فليراع الاعضاء الخمسة فانهن الاصول وهي
العين والاذن واللسان والقلب والبطن فيحترس عليها بالصيانة
لها عن كل ما يخاف منه ضررا في امر الدين من معصية وحرام وفضول
واسراف في حلال فاذا حصل صيانة هذه الاعضاء فمرجو ان
يكفي سائر اركانه ويكون قد اقام بالتقوى الجامعة بجميع بدنه لله

عزوجل فدعت الحاجة الى بيان خمسة فصول لهذه الاعضاء
وتفصيل ما يجرى في حق كل واحد منها على قدر ما يليق بهذا
الكتاب

الفصل الاول في العين

عليك وفقك
الله وايانا بحفظ العين فانها سبب كل فتنة وآفة و
اذكر في امرها ثلثة اصول كافية احدها ما قال الله سبحانه وتعالى
قل للمومنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى
لهم ان الله خبير بما يصنعون واعلم انى تاملت هذه الاية فاذا
فيها مع قصرها ثلثة معان عزيزة تاديب وتنبيه وتهديد فاما
التاديب فقوله عزوجل قل للمومنين يغضوا من ابصارهم ولابد
للعبد لامتثال امر السيد والتادب بادبه والا فيكون سيئ
الادب فيحجب ولا يوذن له في حضور المجلس والمثول بالحضرة فافهم
هذه النكتة وتامل ما تحتها فان فيها ما فيها واما التنبيه فقوله
تعالى ذلك ازكى لهم وقد يطلق على معنيين والله اعلم الاول
ذلك اطهر لقلوبهم والزكاة الطهارة والتزكية التطهير و
الثانى ذلك انمى لخيرهم واكثر والزكوة في الاصل النمو فنبه عزو
جل ان في غض البصر تطهير القلب وتكثير الطاعة والخير وذلك
انك ان لم تغض بصرك وارخيت عنانه تنظر الى ما لا يعنيك
فلا يخلو اما ان تقع عينك على حرام فان تعمدت فذنب كبيرة و

وربما تعلق قلبك بذلك فتهلك ان لم يرحم الله تعالى فلقد
روى ان العبد ليبنظر النظرة ينغل فيها قلبه كما ينغل الاديم في الدباغ
لا ينتفع به ابدا فان كان مباحا تشتغل قلبك به فتجاذبك الوساوس
والخواطر بسببه ولعلك لا تصل اليه فتبقى مشغول القلب منقطعا
عن الخير وان كنت لم تر ذلك فقد كنت مستريحا عن ذلك
كله وفي هذا المعنى ذكر عيسى عليه السلم اياكم والنظرة فانها
تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة وقال ذو النون
نعم حاجب الشهوات غض الابصار ولقد احسن القايل ٥ وكنت
اذا ارسلت طرفك رايدا ٥ لقلبك يوما اتعبتك المناظر ٥ رايت
الذى لا كله انت قادر ٥ عليه ولا عن بعضه صابر ٥ فاذن لما كنت
غاض البصر حافظ العين لا تنظر الى ما لا يعنيك ولا يهمك كنت
نقى الصدر فارغ القلب مستريحا عن كثير من الوسواس سالم النفس
من الافات متزايدا في الخيرات فتنبه لهذه النكتة الجامعة والله عز
وجل الموفق عنه واما التهديد فقوله تعالى ان الله خبير بما يصنعون
وقال الله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وكفى بهذا تحذيرا لمن
خاف مقام ربه فهذا اصل واحد من كتاب الله عزوجل والاصل
الثانى ما روينا عن رسول الله صلى الله عليه واله انه قال ان النظر الى
محاسن المراة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها اذاقه الله تعالى طعم

اشغل تباه شدن ادیم

عبادة تسره وان وجدان حلاوة العبادة ولذة المناجاة تمن
من العابدين بكان وهذا شي مجرب علمه وتحققه من عمل به لانه اذا
استنع من النظر الى ما لا يعنيه تجد لذة العبادة وحلاوة وللقلب
صفوة لم تجدها قبل ذلك **والاصل الثالث**
ان النظر الى كل عضو من اعضائك يصلح لماذا وينتظر لماذا فعلى
حسب ذلك تصونه وتحفظه فالرجل للمشي في رياض الجنة وقصورها
واليد لكاس الشراب وتناول وكذلك في ساير الاعضاء فالعين
انما هو للنظر الى رب العالمين سبحانه وليس في الدارين كرامة اجل
واكبر من ذلك فحقيق لشي ينتظر ويرجا لمثل هذه الكرامة
ان يصان ويحفظ ويعز ويكرم فهذه الاصول الثلثة اذا احسنت
التامل فيها كفتك المؤونة في هذا الفصل والله ولى التوفيق

الفصل الثاني في الاذن فعليك صيانة الاذن
عن سماع الخنا والفضول وذلك لامرين احدهما ما روى ان
المستمع شريك المتكلم وفي ذلك لقول القايل تحرس الطرق واوساطها
وعد عن الجانب المشتبه وسمعك صن عن سماع القبيح كصون
اللسان عن اللفظ به وانك عند استماع القبيح شريك لقائله
فانتبه والثاني ان ذلك يهيج الخواطر والوسواس في القلب
ثم من ذلك يبدو الاشتغال في البدن فما يبقى للعبادة شيء

ثم اعلم ان الكلام الذي يقع في قلب الانسان وسمعه بمنزلة الطعام
الذي يقع في جوفه فمنه الضار ومنه النافع ومنه الغذاء ومنه السم
بل ان بقاء الكلام وتجرعه اكبر وابلغ فان الطعام تزول عن
المعدة بنوم او غيره وربما يبقى اثره زمانا ثم تزول وله دواء يزيل
اثره من جسم الانسان واما الكلام الذي وقع في قلب الانسان
فربما يبقى معه في جميع عمره ولا ينساه فان كان سيئا رديا فلا
يزال يتعبه ويعنيه وتتردد بسببه خواطر في القلب ووساوس
يحتاج ان يعرض عنها ويعدل بقلبه عن تذكرها ويستعيذ بالله
من شرها ولا يامن ان يحمله على بلية تحركه حتى يقع اخر الامر في امر
عظيمة بسبب ذلك ولو كنت حفظت سمعك عما لا يعنيك كنت
عن هذه المسئول مستريحا فلينظر العاقل في ذلك وبالله التوفيق

الفصل الثالث اللسان ثم عليك بحفظ اللسان
وضبطه وتقييده فانه اشد الاعضاء جماحا وطغيانا واكثرها
فسادا وعدوانا ولقد روينا عن سفيان بن عبد الله انه قال
قلت يا رسول الله ما اكثر ما تخاف علي فاخذ عليه السلام بلسان نفسه
ثم قال هذا وعن يونس بن عبيد اني وجدت نفسي تحتمل مؤنة الصوم
في الحر الشديد بالبصرة ولا تحتمل ترك كلمة لا تعنيها فعليك اذن
بالتحفظ جدا وبذل المجهود ونذكر خمسة اصول **احدها** ما روى

الجموح سربار زدن

ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان ابن ادم اذا اصبح بكرت الاعضاء
كلها الى اللسان وقلن نشدك الله العظيم ان تستقيم فانك
ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا قلت والمعنى فيه
والله اعلم ان نطق اللسان يوثر في اعضاء الانسان بالتوفيق و
الخذلان ويوكد هذا المعنى ما حكى عن مالك بن دينار انه قال
اذا رايت قساوة في قلبك ووهنا في بدنك وحرمانا في رزقك
فاعلم انك قد تكلمت فيما لا يعنيك **والاصل الثاني في حفظ وقتك**
فان اكثر ما يتكلم به من غير ذكر الله عز وجل على الاقل يكون لغوا
يضيع الوقت به وذكر ان حسان بن ابي سنان مر على غرفة بنيت
فقال منذ كم بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال يا نفس الغرور
تعودين تسئلين عما لا يعنيك وعاقبتها بصوم سنة قلت فيا طوبى
للمهتمين بانفسهم ويا ويح للغافلين الذين خلعوا العذار وارخوا
العنان والله المستعان ولقد صدق القائل اغتنم ركعتين في ظلمة الليل

اذا كنت خاليا مستريحا ۝ واذا ما هممت باللغو في الباطل ۝
فاجعل مكانه تسبيحا ۝ فلزوم السكوت خير من النطق ۝
وان كنت في الكلام فصيحا **والاصل الثالث حفظ الاعمال الصالحة**
فان من لم يصن لسانه واكثر كلامه يقع لا محالة في غيبة الناس
كما قيل من كثر لغطه كثر سقطه والغيبة هي الصاعقة المهلكة للطاعات

على ما قيل ان مثل من يغتاب الناس مثل من ينصب منجنيقا فهو يرمي
به حسناته شرقا وغربا ويمينا وشمالا وبلغنا عن الحسن انه
قيل له يا ابا سعيد ان فلانا اغتابك فبعث اليه بطبق فيه رطب
وقال بلغني انك اهديت الى حسناتك فاحببت ان اكافيك
وذكرت الغيبة عند ابن المبارك فقال لو كنت مغتابا لاغتبت امي لانها
احق بحسناتي وذكر انه فات حاتم الاصم ليلة قيام فعيرته زوجته
فقال ان اقواما صلوا البارحة فلما اصبحوا انالوا امني فتكون
صلوتهم يوم القيامة في ميزاني **والاصل الرابع السلامة من افات الدنيا**
على ما قال سفيان لا تتكلم بلسانك ما تكسر به اسنانك وقال
لا تبسطن لسانك فتفسد عليك شانك وقيل

اذا خشيت ملامة من نطق ۝ فاحبس لسانك في اللهاة والطرق ۝
والاصل الخامس ذكر افات الاخرة وعاقبتها واذكر فيها نكتة
واحدة وهي انه لا يخلو اما ان يكون يقول قولا محظورا احرام او
قولا مباحا من فضول لا يعنيك فان كان محظورا ففيه عذاب
الله تعالى الذي لا طاقة لك به فلقد روينا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ليلة اسري بي نظرت في النار فرايت اقواما
ياكلون لحوم الناس الجيف فقلت يا جبرئيل من هولاء قال هولاء الذين
ياكلون لحوم الناس ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله

ابو سعيد الخدری رضی الله عنه ان بن ادم اذا اصبح بكرت الاعضاء
كلها الى اللسان وقلن نشدك الله العظيم ان تستقيم فانك
ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا قلت والمعنى فيه
والله اعلم ان نطق اللسان يوثر فی اعضاء الانسان بالتوفيق و
الخذلان ويوكد هذا المعنى ما حكى عن مالك بن دينار انه قال
اذا رايت قساوة فی قلبك ووهنا فی بدنك وحرمانا فی رزقك
فاعلم انك قد تكلمت فيما لا يعنيك **والاصل الثانی فی حفظ وقته**
فان اكثر ما يتكلم به من غير ذكر الله عز وجل فعلى الاقل يكون لغوا
يضيع الوقت به وذكر ان حسان بن ابی سنان مر على غرفة فقال
فقال منذ كم بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال يا نفس الغرور
تعودين تسئلين عما لا يعنيك وعاقبتها بصوم سنة قلت فيا طوبى
للمهتمين بانفسهم ويا ويح للغافلين الذين خلعوا العذار واخوا
العنان والله المستعان ولقد صدق القائل اغتنم ركعتين فی ظلمة الليل

اذا كنت خاليا مستريحا ٭ واذا ما هممت باللغو فی الباطل ٭
فاجعل مكانه تسبيحا ٭ فلزوم السكوت خير من النطق ٭
وان كنت فی الكلام فصيحا **والاصل الثالث حفظ الاعمال الصالحة**
فان من لم يصن لسانه واكثر كلامه يقع لا محالة فی غيبة الناس
كما قيل من كثر لغطه كثر سقطه والغيبة هی الصاعقة المهلكة للطاعات

على ما قيل ان مثل من يغتاب الناس مثل من ينصب منجنيقا فهو يرمی
به حسناته شرقا وغربا ويمينا وشمالا وبلغنا عن الحسن انه
قيل له يا ابا سعيد ان فلانا اغتابك فبعث اليه بطبق فيه رطب
وقال بلغنی انك اهديت الى حسناتك فاحببت ان اكافيك
وذكرت الغيبة عند بن المبارك فقال لو كنت مغتابا لاغتبت امی لانها
احق بحسناتی وذكر انه فات حاتم الاصم ليلة قيام فعيرته زوجته
فقال ان اقواما صلوا البارحة فلما اصبحوا نالوا منی فتكون
صلوتهم يوم القيامة فی ميزانی **والاصل الرابع السلامة من آفات الدنيا**
على ما قال سفيان لا تتكلم بلسانك ما تكسر به اسنانك وقال
لا تبسطن لسانك فتفسد عليك شانك وقيل

اذا خشيت ملامة من منطق ٭ فاحبس لسانك فی اللهاة المطرقة ٭
والاصل الخامس ذكر آفات الاخرة وعاقبتها واذكر فيها نكتة
واحدة وهی انه لا يخلو اما ان يكون يقول قولا محظورا حراما او
قولا مباحا من فضول لا يعنيك فان كان محظورا ففيه عذاب
الله تعالى الذی لا طاقة لك به فلقد روينا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ليلة اسری بی نظرت فی النار فرايت اقواما
ياكلون ~~لحوم الناس~~ الجيف فقلت يا جبرئيل من هولاء قال هولاء الذين
ياكلون لحوم الناس ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله

الموت عطاء دار

لمعاذ اقطع لسانك عن حملة القران وطلاب العلم ولا تمزق الناس
بلسانك فيمزقك كلاب النار وعن ابي قلابة ان في الغيبة خراب
القلب من الهدى فنسال الله تعالى العصمة من ذلك بفضله هذا
الكلام في المحظور واما في المباح ففيه اربعة امور احدها شغل
الكرام الكاتبين بما لا خير فيه ولا فايدة ويحق للمرء ان يستحيي
منهما فلا يوذيهما قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد والثاني ارسال كتاب الى الله تعالى من اللغو والهذر
فليحذر العبد من ذلك وليخش الله تعالى وذكر ان بعضهم نظر الى
رجل يتكلم بالخنا فقال يا هذا انك تملي كتابا الى ربك فانظر
ما تملي والثالث قراءته بين يدي الملك الجبار يوم القيامة على
رؤس الاشهاد بين الشدايد والاهوال عطشان عريان جيعان
منقطعا عن الجنة محبوسا عن النعمة والرابع اللوم والتعيير لماذا
قلت وانقطاع الحجة والحياء من الله عز وجل وقد قيل اياك
والفضول وان حسابه يطول وكفى بهذه الاصول واعظا لمن
اتعظ وقد بسطنا في كتاب اسرار معاملات الدين ما فيه مقنع
وكفاية فانظر فيه تجد الشفاء **الفصل الرابع في القلب**
ثم عليك بحفظ القلب وصلاحه وحسن النظر في ذلك وبذل
المجهود فانه اعظم هذه الاعضاء خطرا واكثرها اثرا وادقها امرا

واشقها

واشقها اصلاحا واذكر فيه خمسة اصول مقنعة **الاصل الاول**
قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقوله تعالى يعلم
ما في قلوبكم وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور كم ذكره وكرره ذكره
في القران وكفى باطلاع العليم الخبير تحذيرا وتهديدا للخواص
من العباد لان المعاملة مع علام الغيوب خطيرة فانظر ماذا يعلم
من قلبك **والاصل الثاني** قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل لا ينظر الى صوركم وابشاركم انما ينظر الى قلوبكم واعمالكم
فالقلب اذن موضع نظر رب العالمين فيا عجبا ممن يهتم بوجهه الذي
هو منظر الخلق فيغسله وينظفه عن الاقذار والادناس ويزينه بما
امكنه لئلا يطلع مخلوق فيه على عيب ولا يهتم بقلبه الذي موضع نظر
رب العالمين فيطهره ويزينه ويطيبه كيلا يطلع الرب عز وجل على دنس
منه وشين وآفة وعيب بل يهمله بفضايح واقذار وقبايح لو اطلع الخلق
على واحد منها هجروه وتبرؤا منه وطردوه والله المستعان **والاصل الثالث**
ان القلب ملك مطاع ورئيس متبع والاعضاء كلها تبع له فاذا صلح المتبوع
صلح التبع واذا استقام الملك استقام الرعية تبين ذلك ما روي
عن النبي صلى الله عليه وآله ان في الجسد لمضغة ان صلحت صلح الجسد
وان فسدت فسد الجسد الا وهي القلب واذا كان صلاح الكل في ذلك
فيجب صرف العناية اليه **والاصل الرابع** ان القلب خزانة كل جوهر للعبد نفيس

وكل معنى خطير اولها العقل واجلها معرفة الله تعالى التى هى سبب
سعادة الدارين ثم البصاير التى بها التقدم والجاه عند الله
تعالى ثم النية الخالصة فى الطاعات التى بها يستحق ثواب الابد
ثم انواع العلوم والحكم التى هى شرف العبد وساير الاخلاق الشريفة
والخصال الحميدة التى بها تفاضل الرجال على ما فصلنا وشرحنا فى
كتاب اسرار معاملات الدين وحق لمثل هذه الخزانة ان تحفظ وتصان
عن الادناس والافات وتحرس وتخزن من السراق والقطاع وتكرم
وتجل بضروب الكرامات لئلا يلحق تلك الجواهر العزيزة دنس ولا
يظفر بها والعياذ بالله عدو **والاصل الخامس** انى تاملت حاله
فوجدت له خمسة احوال ليست لغيره من اعضاء بنى آدم احدها ان
العدو قاصد اليه مقبل عليه ملازم له فان الشيطان جاثم على قلب
بن ادم فهو منزل الالهام والوسوسة يقرع ابدا بالدعوتين
الملك والشيطان والثانى ان الشغل له اكثر فان العقل والهوى
كلاهما فيه وهو معترك العسكرين الهوى وجنوده والعقل وجنوده
فهو ابدا بين تجاربهما والتقائهما وتناقضهما وحق الثغر ان
يحرس ويحصن ولا يغفل والثالث ان العوارض له اكثر فان الخواطر
كالسهام لا تزال تقع فيه وكالمطر لا يزال يمطر عليه ليلا ونهارا لا
تنقطع ولا انت تقدر على منعها فتمتنع وليس بمنزلة العين التى

بين الجفنين تغمض وتستريح او تكون فى موضع خال او ليل مظلم
فتكفى رويتها او اللسان الذى هو وراء الحجابين الاسنان والشفتين
وانت القادر على منعه وتسكينه بل القلب غرض للخواطر لا تقدر على
منعها والتحفظ عنها بحال ولا هى تنقطع عنك بوقت ثم النفس
مسارعة الى اتباعها والامتناع عن ذلك فى مجهود الطاقة امر
شديد ومحنة عظيمة والرابع ان علاجه عليك اعز اذ هو غيب عنك
فلا تكاد تشعر حتى يدب فيه آفة وتحدث له حالة فتحتاج الى ان تبحث
عن ذلك اتم البحث بطول الجهد ودقيق النظر وكثرة الرياضة والخامس
ان الافات اليه اسرع فهو للانقلاب اقرب ولقد قيل ان القلب
اسرع انقلابا من القدر فى غليانها ولذلك قيل ما سمى القلب
الا من تقلبه والراى يضرب بالانسان اطوارا ثم ان زل القلب
والعياذ بالله فزلله اعظم ووقوعه اصعب وافظع ادناه قسوة وميل
الى غير الله عز وجل ومنتهاه ختم ونكرة بالله تعالى اما تسمع قوله عز
وجل ابى واستكبر وكان من الكافرين كان الكبر بقلبه فحمله
على الاباء والكفر بظاهره اما تسمع قوله تع ولكنه اخلد الى الارض
واتبع هواه فكان الميل واتباع الهوى على قلبه فحمله على ذلك الذنب
المشوم بنفسه اما تسمع قوله تع ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم
يومنوا به اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ولهذا المعنى ايها

وتكبر

الرجل

خاف عباد الله الخواص على قلوبهم وبكوا عليها وصرفوا عنايتهم
اليها قال الله تعالى في وصفهم يخافون يوما تتقلب فيه القلوب
والابصار جعلنا الله واياكم من المعتبرين بالعبر المهتمين بمواقع
الخطر الموفقين لاصلاحها بحسن النظر انه ارحم الراحمين فان قيل
ان امر هذا القلب لمهم جدا فاخبرنا عن المعاني التي تصلحه وعن
الافات التي تعترضه فتفسده عسى ان يوفق للاجتهاد في العمل بذلك
يقال له اعلم ان تفصيل هذه المعاني طويل لا يحتمله هذا الكتاب
وانما علماء الاخرة عنوا باستخراج ذلك وتصنيفه في هذه النكته
لا غير وقد ذكر وا انما يحتاج اليه من ذلك نحو سبعين خصلة محمودة
واضدادها المذمومة من الاعمال والمساعي الواجبة والمحذورة
ونحو ذلك في ساير تفاصيلها ولعمري ان من اهمه امر دينه انتبه من
رقدة الغافلين ونظر لنفسه فلا يكون تحصيل جميع ذلك والعمل به
عليه كثيرا اذا وفقه الله تعالى وقد ذكرنا نبذةً منها في شرح عجايب
القلب من كتاب احياء علوم الدين واتينا على شرح جميعها وتفاصيلها
وكيفية علاجها في كتاب اسرار معاملات الدين وهو كتاب مستقل
بنفسه عظيم الفايدة ولا ينتفع به الا الخول العلماء الراسخون في
علم الاخرة وموضوع هذا الكتاب ان ينتفع به المبتدي والقوي
والضعيف فنظرنا في الاصول التي لا بد من ذكرها في علاج القلب

والعلم

والحاجة اليها ماسة ولا غُنْيَةَ عنها البتة في شان العبادة فوجدناها
اربعة امور هي مناخص العابدين وافات المجتهدين وهي فتن القلوب
وبليات النفوس تعوق وتشين وتفسد وتتلف واربعة في
مقابلتها فيها قوام العباد وانتظام العبادة واصلاح القلوب
والافات الاربع الامل والاستعجال والحسد والكبر والمناقب
الاربع قصر الامل والتاني في الامور والنصيحة للخلق والتواضع
والخشوع فهذه هي الاصول في صلاح القلوب وفسادها والنكت
التي عليها المدار فليبذل المجهود في التحرز من هذه الافات والتحصيل
لهذه المناقب ليكفى المسئول ويظفر بالمقصود ان شاء الله تعالى
وساخبرك عن هذه الافات بكلمات وجيزة مقنعة اما طول الامل
فانه العايق عن كل خير وطاعة الجالب لكل شر وفتنة وانه
الداء العضال الذي يوقع الخلق في انواع البليات واعلم انك
اذا طال الامل هاج منه اربعة اشياء احدها ترك الطاعات و
الكسل فيها بقول سوف افعل والايام بين يدي ولا يفوتني
ذلك ولقد صدق داود الطائي رحمه الله حيث قال من خاف الوعيد
قرب عليه البعيد ومن طال امله ساء عمله وقال يحيى بن معاذ الرازي
الامل قاطع عن كل خير والطمع مانع من كل حق والصبر صاير الى
كل ظفر والنفس داعية الى كل شر والثاني ترك التوبة وتسويفها

اركانها

معاصي مواضع لغزش باي

عن آفات طول الامل

بقول سوف اتوب وفي الايام سعة وانا شاب وسني قليل و
التوبة بين يدي وانا قادر عليها متى ما رمتها وربما اغتالني الحمام
على الاصرار واختطفني الاجل قبل اصلاح العمل والثالث الحرص
على الجمع والاشتغال بالدنيا عن الاخرة بقول اخاف الفقر في الكبر
وربما اضعف عن الاكتساب ولابد لي من شيء فاضل ادخره لمرض
او هرم او فقر هذا ونحوه يحرك الى الرغبة في الدنيا والحرص عليها
والاهتمام بالرزق فيقول اي شيء اكل واي شيء البس وهذا الشتاء
وهذا الصيف ومالي شيء ولعل العمر يطول فاحتاج والحاجة
مع الشيب شديدة ولابد لي من قوة وغنية عن الناس فهذه و
امثالها تحرك الى طلب الدنيا والرغبة فيها والجمع لها والمنع لما
عندك منها واقل ما في الباب يشغل قلبك ويضيع عليك
وقتك ويكثر همك وغمك بلا فايدة ولا طايل على ما روي عن ابي
ذر رضي الله عنه انه قال قتلني هم يوم لم ادركه قيل وكيف ذلك يا
اباذر قال ان املي جاوز اجلي والرابع القسوة في القلب ونسيان
الاخرة لانك اذا املت العيش الطويل لا تذكر الموت والقبر
كما قال علي بن ابي طالب عليه الصلوه والسلم ان اخوف ما اخاف
عليكم اثنان طول الامل واتباع الهوى الا وان طول الامل
ينسي الاخرة واتباع الهوى يصد عن الحق فاذن يصير فكرك و

امير المومنين وامام المتقين

معظم

معظم قلبك في حديث الدنيا واسباب العيش في صحبة الخلق ونحوها
فيقسوا القلب من ذلك وانما رقة القلب وصفوته انما هو بذكر
الموت والقبر والثواب والعقاب واحوال الاخرة واذا لم يكن من
ذلك شيء فمن اين يكون لقلبك رقة وصفوة قال الله عز وجل
فطال عليهم الامد فقست قلوبهم فاذن انك اذا طال املك
قلت طاعتك وتاخرت توبتك وكثرت معصيتك واشتد حرصك
وقسا قلبك وعظمت غفلتك عن العاقبة فذهبت والعياذ
بالله تعالى ان لا يرحم الله اخرتك فاي حال اسوء من هذه واي
انه اعظم من هذه وكل هذه بسبب طول الامل فاما ان قصرت
املك وقربت من نفسك موتك وتذكرت حال اقرانك الذين
غافصهم الموت في وقت لم يحتسبوه ولعل حالك مثال حالهم
فاحذري يا نفس الغرور واذكري ما قال عون بن عبد الله كم من
مستقبل يوما لم يستكمله ومنتظر غدا لم يدركه لو رايتم الاجل
ومسيره لابغضتم الامل وغروره اما سمعت قول عيسى بن مريم
عليه السلم الدنيا ثلثة ايام امس مضى فما بيديك منه شيء وغد
لا تدري اتدركه ام لا ويوم انت فيه فاغتنم ثم قول ابي ذر رضي الله عنه
الدنيا ثلث ساعات ساعة مضت وساعة انت فيها وساعة
لا تدري اتدركها ام لا فلست تملك بالحقيقة الا ساعة واحدة اذ

مغافصه ناگاه گرفتن

الموت من ساعة الى ساعة ممكن ثم قول شيخنا الدنيا ثلثة انفاس
نفس مضى عملت فيه ما عملت ونفس انت فيه ونفس لا تدرى
اتدركه ام لا فليس لك الا نفس واحدة اذ كم من متنفس
نفسا وفاجاه الموت قبل نفس الاخرة فلست تملك الا نفسا
واحدا لا يوما ولا ساعة فبادر فى هذا النفس الواحد الى الطاعة
قبل ان تفوت والى التوبة فلعلك فى النفس الثانى تموت ولا
ولا تهتم بالنفس بالرزق فلعلك لا تبقين لتحتاج اليه فيكون
وقتك ضايعا والهم فضلا وما عسى ان يهتم الانسان بالرزق
ليوم واحد او ساعة واحدة او نفس واحد اما تذكر من ما قال
النبى صلى الله عليه واله لاصحابه او ما تعجبون من اسامة المشترى
بصبر شهر ان اسامة لطويل الامل والله ما وضعت قدما فظننت
انى ارفعها ولا لقمت لقمة فظننت انى اسيغها حتى يدركنى الموت
والذى نفسى بيده انما توعدون لات وما انتم بمعجزين فاذا
انت ايها الرجل تذكرت هذه الاذكار وواظبت عليها بالاعادة
والتكرار قصر املك باذن الله تعالى فح ترى نفسك تبادر الى
الطاعات وتعجل توبتك وتسقط عنك معصيتك وتزهد
فى الدنيا وطلبها فيخف حسابك وتبعاتك ويقع قلبك فى تذكر
الاخرة واهوالها وما هو الا من نفس الى نفس تصير اليها وتعاينها

واحدا

واحدا فواحدا فتزول عنك القسوة وتبدلك الرقة والصفوة
وتستشعر عند ذلك الخوف من الله تعالى والخشية فيستقيم
ذلك امر عبادتك ويقوى الرجاء فى ان تسعد فى عاقبتك
فتظفر بالمراد فى اخرتك وكل ذلك بعد فضل الله تعالى بسبب
هذه الخصلة التى هى قصر الامل ولقد حكى ان زرارة بن اوفى
قيل له بعد موته اى الاعمال ابلغ عندكم قال الرضا وقصر الامل
فانظر لنفسك ايها الاخ وابذل المجهود فى هذا الاصل الكبير فانه
الاهم والاعظم للقلب والنفس والله عز وجل ولى التوفيق بفضله
ورحمته واما الحسد فانه المفسد للطاعات الباعث على الخطيئات
وانه الداء الذى يبتلى به كثير من القراء والعلماء فضلا عن العامة
والجهال حتى اهلكهم وارداهم واوردهم النار اما تسمع قول
رسول الله صلى الله عليه واله ستة يدخلون النار بستة العرب
بالعصبية والامراء بالجور والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة
اهل الرساتيق بالجهل والعلماء بالحسد واى بلية يبلغ شومها
ان اورثت العلماء النار فحقيق ان يحذر منها واعلم ان الحسد يهيج
خمسة اشياء احدها افساد الطاعات قال رسول الله صلى الله
عليه واله الحسد ياكل الحسنات كما ياكل النار الحطب والثانى فعل
المعاصى والشرور على ما قال وهب رحمه الله للحاسد ثلث علامات

افات الحسد



يملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة قلت
وحسبك ان الله تعالى امر بالاستعاذة من شر الحاسد فقال
ومن شر حاسد اذا حسد كما امر بالاستعاذة من شر الشيطان
فانظر كم له من الشر والفتنة حتى انزله منزلة الشيطان والساحر
حتى لا يستعان عليه الا بالله رب العالمين والثالث التعب والهم
من غير فايدة بل مع كل وزر ومعصية كما قال ابن السماك لم
ار ظالما اشبه بالمظلوم من الحاسد تعب دايم وعقل هايم
وغم لازم والرابع عمى القلب حتى لا يكاد يفهم حكما من
احكام الله عز وجل ولقد قال سفيان عليك بطول الصمت
تملك الورع ولا تكن حريصا على الدنيا تكن حافظا ولا تكن
طعانا تنج من السن الناس ولا تكن حاسدا تكن سريع الفهم
والخامس الخذلان والحرمان فلا يكاد يظفر بمراد ولا ينتصر
على عدو كما قال حاتم الاصم الطعان غير ذي دين والغايب غير
عابد والنمام غير مامون والحسود غير منصور قلت الحسود
كيف يظفر بمراده ومراده زوال نعمة الله عن عباده المسلمين
وكيف ينصر على اعدائه وهم عباد الله المومنون ولقد احسن
ابو يعقوب فيما قال اللهم صبرنا على تمام النعم على عبادك وحسن
احوالهم ثم ان ذلك يفسد عليك الطاعة ويكثر شرك معصية

ويمنعك راحة النفس وفهم القلب والنصرة على الاعداء والظفر
بالمطلوب فاى داء ادوى منه فعليك بمعالجة نفسك من ذلك
والله ولى التوفيق واما الاستعجال والنزق فانه الخصلة المفوتة
للمقاصد الموقعة في المعاصي وان منها تبدا افات اربع احدها
ان يقصد العابد منزلة في الخير والاستقامة فيجتهد فربما يستعجل
في نيلها وليس ذلك بوقتها فاما ان يفتر وييأس ويترك الاجتهاد
فيحرم تلك المنزلة واما ان يغلو في الجهد واتعاب النفس فلينقطع
عن تلك المنزلة فهو بين افراط وتفريط وكلاهما نتيجة الاستعجال
ولقد روينا عن النبي صلى الله عليه واله انه قال ان دينكم هذا
متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى
وفي المثل السائر ان لم تستعجل تصل وللقايل قد يدرك المتأني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل والثانية ان يكون للعابد حاجة فيدعو
الله عز وجل فيها ويكثر الدعاء ويجد فربما يستعجل الاجابة
قبل وقتها فلا يجدها فيفتر وييأس ويترك الدعاء فيحرم حاجته
ومقصوده والثالثة ان يظلمه انسان فيغيظه فيستعجل في الدعاء
عليه فيهلك بسببه وربما يتجاوز عن الحد فيقع في معصية وهلاك
قال الله عز وجل ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان
الانسان عجولا والرابعة ان اصل العبادة وملاكها الورع



والورع اصله النظر البالغ في كل شيء والبحث التام عن كل
شيء هو بصدده من اكل وشرب ولبس وكلام وفعل فاذا كان
الرجل مستعجلا في الامور غير متان متثبت متين لم يقع منه
توقف ونظر في الامور كما يجب ويتسارع الى كل كلام فيقع في الزلل
والى كل طعام فيقع في اكل الحرام والشبهة وكذلك في كل امر
فيفوته الورع واي خير في عبادة بلا ورع واذا كان في خصلة
الانقطاع عن منازل الخير وحرمان الحاجات وهلاك المسلمين
وهلاكه ثم حظ فوت الورع الذي هو راس المال الحق للانسان
ان يهتم بها في الازالة واصلاح النفس بعدها والله ولي التوفيق
بمنه وفضله **واما الكبر** فانه الخصلة المهلكة راسا اما تسمع قوله عز
وجل ابى واستكبر وكان من الكافرين وليست هذه الخصلة
بمنزلة ساير الخصال التي تقدح في عمل وتضر بنوع انما تضر بالاجل
وتقدح في الدين والاعتقاد فاذا اوتيت وغلبت لا استدراك و
العياذ بالله ثم اقل ما يهيج منها على صاحبها اربع افات احداها
حرمان الحق وعمى القلب عن معرفة ايات الله وفهم احكامه قال الله
عز وجل ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال
عز وجل كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار والثانية المقت
والبغض عن الله عز وجل قال الله تعالى ان الله لا يحب المستكبرين

وروى ان موسى عليه السلام قال يا رب من ابغض خلقك
اليك قال من تكبر قلبه وغلظ لسانه وصلق عينه وبخلت
يداه وساء خلقه الثالث الخزي والنكال في الدنيا قال
حاتم رحمه الله احببت الموت على ثلثة على الكبر والحرص والخيلاء
فان المتكبر لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يريه الهوان من اراذل
اهله وخدامه والحريص لا يخرجه الله عز وجل من الدنيا حتى يحوجه
الى كسرة او شربة لا يجد مساغا والمختال لا يخرجه الله عز وجل
من الدنيا حتى يمرغه في بوله وغدره وقيل من تكبر بغير حق اورثه
الله تعالى ذلا بحق والرابعة النار والعذاب في العقبى على ما روي
ان الله عز وجل يقول الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني
في احد منهما ادخلته نار جهنم والمعنى ان العظمة والكبرياء من
الصفات التي تختص بي لا ينبغي لاحد غيري كما ان رداء الانسان
وازاره يختص به لا يشاركه احد فيه وان خصلة تفوتك معرفة
الحق وفهم ايات الله عز وجل واحكامه الذي هو اصل الامر كله ثم
يثمر لك المقت من الله سبحانه والخزي في الدنيا والنار في الاخرة
لا يسع العاقل ان يغفل عن ذلك في نفسه ولا يصلحها بان التهيا
بالحذر والتحرز والاستعاذة بالله عز وجل من ذلك وهو عز وجل
ولي العصمة والتوفيق فهذا بعض ما احصينا في هذه الخصال

الاربع من الآفات وحسب للعاقل واحدة منها فضلا عن الكل
اذا اهمه امر قلبه وحامى عن امر دينه والله الموفق فان قلت
فاذا كان الامر بهذه المنزلة من افات هذه الخصال لزم التحفظ
منها فلا بد من معرفة حقيقتها وحدها فبين ذلك لنعرف كيف
الطريق الى التحفظ عنها فاعلم ان في كل واحدة منها كلاما
كثيرا وقد اشبعنا القول في كتاب الاحياء والاسرار ونحن نذكر
ههنا ما لا بد من ذكره ولا يقع الغناء عنه فنقول وبالله
التوفيق اما الامل فقال اكثر علمائنا انه ارادة الحياة في وقت

تعريف الامل

المتراخي بالحكم والقصر الامل ترك الحكم فيه بان تقيده بالاستثناء
بمشية الله تعالى وعلمه في الذكر او بشرط الصلاح في الارادة
فاذن ان ذكرت حياتك باني اعيش بعد نفس ثان او ساعة ثانية
او يوم ثان بالحكم والقطع فانت آمل وذلك منك معصية اذ هو حكم
على الغيب فان قيدته بالمشية والعلم من الله تعالى فتقول اعيش
ان شاء الله او ان علم الله اني اعيش فقد خرجت عن حكم الامل و
كذلك ان اردت حياتك للوقت الثاني قطعا فانت امل وان
قيدت ارادتك بشرط الصلاح خرجت عن حكم الامل ووصفت
بقصر الامل من حيث تركت الحكم فيه فعليك بترك الحكم في ذكر
البقاء وارادته والمراد بالذكر ذكر القلب ثم المراد منا التوطين

على ذلك والتثبيت للقلب عليه فافهم راشدا ان شاء الله تعالى
ثم ان الامل ضربان امل العامة وامل الخاصة فامل العامة ان
يريد الحياة والبقاء لجمع الدنيا والتمتع بها وهذه معصية
محضة وضدها قصر الامل قال الله عز وجل ويلههم الامل
فسوف يعلمون وامل الخاصة ان يريد البقاء لاتمام عمل خير
وفيه خطر وهو ما لا يستيقن الصلاح له فيه فانه ربما يكون
خيرا معينا لا يكون للعبد فيه او في اتمامه صلاح بان يقع بسببه
في افة لا تقوم بها هذا الخير فاذن ليس للعبد اذا ابتدا في صلاة
او صوم او غيره ان يحكم انه يتمه اذ هو غيب ولا ان يقصد ذلك
قطعا لانه ربما لا يكون له فيه صلاح بل يقيد ذلك بالاستثناء
وشرط الصلاح ليتخلص من عيب الامل قال الله عز وجل لنبيه
صلى الله عليه واله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله وضد هذا الامل فيما قال العلماء النية وانما قالوا
ذلك على ضرب من الاتساع لان الناوي بالنية المحمودة يكون
ممتنعا من الامل وهذا حكم الامل فالنية المحمودة اذا مست
الحاجة الى معرفتها مع انها الامل الاصيل قالوا رحمهم الله
في حدها الجامع التام ان النية الصحيحة المحمودة ارادة اخذ عمل
مبتداء به قبل ساير الاعمال بالحكم مع ارادة اتمامه بالتفويض

والاستثنا، فان قيل فلم جاز الحكم في الابتدا، ووجب التفويض
والاستثناء في الاتمام يقال له لفقد الخطر في الابتداء اذ هو في
حال الابتداء ليس بشي متراخ عنك ولثبوت الخطر في الاتمام
اذ هو يقع في وقت متراخ وفيه الخطران خطر الوصول لا يدري
هل يصل الى ذلك ام لا وخطر الفساد لا يدري هل في ذلك
صلاح ام لا فاذا وجب الاستثنا لخطر الوصول والتفويض
لخطر الفساد فاذا حصلت الارادة على هذه الشروط تكون ح
نية محمودة مخرجة عن حد الامل وآفته فتامل جدا فهذه هذه
واعلم ان حصن قصر الامل ذكر الموت وحصن حصنه ذكر فجاة
الموت واخذه على غرة وغفلة وهو في غرور وفتور فاحتفظ
بهذه الجملة وحصلها مونقا فان الحاجة اليها ماسة ودع
عنك تضييع الوقت في القيل والقال وملاحاة الرجال والله

تعريف الحسد

الموفق بفضله واما الحسد فهو ارادة زوال نعم الله عز وجل
عن اخيك المسلم مما له فيه صلاح فان لم ترد زوالها عنه ولكن
تريد لنفسك مثلها فهو غبطة وعلى هذا يحمل قوله صلى الله عليه
وآله لا حسد الا في اثنين الخبر اي لا غبطة الا في ذلك ضرب
عن الغبطة بالحسد اتساعا في ذلك لتقاربهما فان لم يكن فيها
صلاح فاردت زوالها عنه فذلك غيرة فهذا الفرق بين

هذه

هذه الخصال واما ضد الحسد فالنصيحة وهي ارادة بقاء نعم الله
عز وجل على اخيك المسلم مما له فيه صلاح فان قيل كيف نعلم
ان له فيه صلاحا او فسادا لننصحه او نحسده فاعلم انه قد يقوم
لنا غالب الظن بذلك وغلبة الظن منا تجري مجرى العلم في
هذه المواضع ثم ان اشتبه عليك فلا ترد زوال نعم احد
من المسلمين او بقاءها الا مقيدا بالتفويض وشرط الصلاح
لتخلص من حكم الحسد وتحصل ذلك فائدة النصيحة واما حصن
النصيحة المانعة عن الحسد فهو ذكر ما اوجب الله تعالى من
موالاة المسلمين وحصن هذا الحصن ذكر ما عظم الله عز و
جل من حق المؤمن ورفع من قدره وما له عند الله عز وجل
من الكرامات العظيمة في العقبى وما لك فيه من الفوائد الجميلة
في الدنيا من التعاون والتظاهر والجماعات والجمعات
ثم ما ترجوه من شفاعته في الآخرة فهذه ونحوها مما يبعث على
النصح لكل مسلم ويجنبك ان تحسد في النعمة التي اعطاه الله

تعريف العجلة

تعالى اياها والله سبحانه ولي التوفيق بفضله واما العجلة
فانها المعنى الراتب في القلب الباعث على الاقدام على الامر
باول خاطر دون التوقف فيه والاستطلاع منه بل الاستعجال
في اتباعه والعمل به وضدها الاناة وهي المعنى الراتب في

القلب الباعث على الاحتياط فى الامور والنظر فيها والتانى
فى اتباعها والعمل بها واما التوقف فضده التعسف قال
شيخنا الامام الفرق بين التوقف والتانى ان التوقف قبل
الدخول فى الامر حتى يستبين له رشده والتانى بعد الدخول
فى الامر حتى يودى لكل جزء منه حقه ثم مقدمات الاناة ذكر وجوه
الخطر فى الامور التى تعرض للانسان وضروب الافات المخوفة
منها وذكر ما فى النظر والتثبت من السلامة وما فى التعسف
والاستعجال من الندامة والملامة فهذه وامثالها مما يبعث
على التانى والتوقف فى الامور ويمنع من الاستعجال والتعسف
والله عز وجل ولى العصمة برحمته **واما الكبر** فاعلم انه خاطر

تعريف الكبر

فى رفع النفس واستعظامها والتكبر اتباعه والضعة خاطر
فى وضع النفس واحتقارها والتواضع اتباعه ولكل واحد منهما
خاص وعام فالتواضع العام هو الاكتفاء بالدون من الملبس
والمسكن والمركب والتكبر فى مقابلته الترفع عن ذلك والتواضع
الخاص هو تمرين النفس عن قبول الحق ممن كان وضيعا او شريفا و
التكبر فى مقابلته الترفع عن ذلك وهو معصية كبيرة وخطيئة
عظيمة ثم حسن التواضع العام ان تذكر مبتداك ومنتهاك
وما انت عليه فى الحال من ضروب الافات والاقذار كما قال بعضهم

شیخ سعدی
شکم صوفیی را زبون کرد و فرج
دو دینار بر هر دوان کرد خرج
یکی گفتش از دوستان در نهفت
چه کردی بدین هر دو دینار گفت
به دیناری از پشت راندم نشاط
به دیگر شکم را کشیدم سماط
فرومایگی کردم و ابلهی
که آن همچنان پر نشد وین تهی
نشکم پر بروانه روغن بدست ارماک
شکم پر نخواهد شد الا بخاک

اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت فيما بينهما حامل
عذرة وحسن التواضع الخاص هو ذكر عقوبة العادل عن الحق المتمادى
فى الباطل فهذه جملة كافية لمن استبصر **الفصل الخامس فى البطن**

[ابحاث البطن]

وحفظه ثم عليك بحفظ البطن واصلاحه فانه اشق الاعضاء
اصلاحا على المجتهد واكبرها مونة وشغلا واعظمها ضررا وشرا

واعضلها

لانه المنبع والمعدن ومنه تهيج الامور فى الاعضاء من قوة وضعف
وعفة وجماح ونحوه فعليك اذن بصيانته عن الحرام والشبهة

الجماح والجموح
سرباز زدن ١٢

اولا ثم عن فضول الحلال ثانيا ان كانت لك همة فى عبادة الله تعالى
واما الحرام والشبهة فيلزمك التجنب عنهما لثلثة امور اولها حذرا
من نار جهنم قال الله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما
يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وقال النبى صلى الله عليه
وسلم كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به والثانى ان آكل الحرام
والشبهة مطرود لا يوفق لعبادة الله تعالى اذ لا يصلح لخدمة الله تعالى
الا كل طاهر مطهر قلت انا أليس ان الله سبحانه منع الجنب عن الدخول
والمحدث عن مس كتابه قال سبحانه ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى
تغتسلوا وقال تعالى لا يمسه الا المطهرون مع ان الجنابة والحدث
امر مباح فكيف لمن هو منغمس فى قذر الحرام ونجاسة السحت والشبهة
حتى يدعى الى خدمة العزيز وذكر الشريف سبحانه كلا فلا يكون

ذلك ابدا وقال يحيى بن معاذ الرازى الطاعة مخزونة فى خزاين الله عز
وجل ومفتاحها الدعاء واسنانه الحلال فاذا لم يكن للمفتاح اسنان
فلا ينفتح الباب واذا لم ينفتح باب الخزانة كيف يوصل الى ما فيها
من الطاعة والثالث ان اكل الحرام والشبهة محروم وان اتفق له فعل
خير فهو مردود عليه غير مقبول منه فاذن لا يكون له من ذلك الا العناء
والكد وشغل الوقت قال صلى الله عليه واله كم من قايم ليس له من قيامه
الا السهر والعنا وكم من صايم ليس من صيامه الا الجوع والظماء
وعن ابن عباس رضى الله عنه لا يقبل الله صلوة امرء وفى جوفه حرام فهذه
هذه واما فضول الحلال فانه افتن العباد وبلية اهل الاجتهاد وانى
تاملت فوجدت فيه عشر افات هن اصول فى هذا الشان الاولى
ان فى كثرة الاكل قسوة القلب وذهاب نوره وروى عن النبى صلى الله
عليه واله انه قال لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب
يموت كالزرع اذا كثر عليه الماء ولقد شبه ذلك بعض الصالحين
بان المعدة كالقدر تحت القلب تغلى والبخار يرتفع اليه وكثرة البخار
تكدره وتسخمه الثانية ان فى كثرة الاكل فتنة الاعضاء وتهييجها
انبعاثها للفضول والفساد فان الرجل اذا كان شبعان
ذا بطر واشتهت عينه للنظر الى ما لا يعنيه من حرام او فضول والاذن
للاستماع اليه واللسان للتكلم والفرج للشهوة والرجل للمشى

الى

التخمة سیاه کردن

الى وان كان جايعا فيكون الاعضا كلها ساكنة هادية لا
تطمح الى شى ولا تنشط له ولقد قال الاستاد ابو جعفر رحمه الله ان
البطن عضو ان جاع هو شبع ساير الاعضاء يعنى انها تسكن فلا
تطالبك بشى وان شبع هو جاع ساير الاعضاء وجملة الامر
ان افعال الرجل واقواله على حسب طعامه وشرابه ان دخل الحرام
خرج الحرام وان دخل الفضول خرج الفضول فكان الطعام بزر
الافعال والافعال نبت يبدو منه الثالثة ان فى كثرة الاكل قلة
الفهم والعلم فان البطنة تذهب الفطنة ولقد صدق الدارانى
حيث قال اذا اردت حاجة من حوايج الدنيا والاخرة فلا تاكل
حتى تقضيها فان الاكل يغير العقل وهذا امر ظاهر علمه من اختبره
والرابعة ان فى كثرة الاكل قلة العبادة فان الرجل اذا اكثر
الاكل ثقل بدنه وغلبته عيناه وفترت اعضاؤه فلا يجى منه شى
وان اجتهد الا النوم فانه كالجيفة الملقاة ولقد قيل اذا كنت بطنا
فعد نفسك زمنا ولقد ذكر عن يحيى عليه السلم ان ابليس بدا له وعليه
معاليق فقال له يحيى عليه السلم ما هذه قال الشهوات التى اصيد
بنى ادم قال هل تجد لى فيها شيا قال لا الا انك شبعت ذات
ليلة فثقلناك عن الصلوة فقال يحيى عليه السلم لا جرم انى
لا اشبع ابدا بعدها فقال ابليس لا جرم انى لا انصح بعدها ابدا

لا تطمح النظر الى احد

فهذه ينمن لم في عمره الا ليلة فكيف بمن لا يجوع في عمره ليلة ثم يطمع
في العبادة وقال سفيان رحمه الله العبادة حرفة وحانوتها
الخلوة والتها المجاعة الخامسة ان في كثرة الاكل فقد حلاوة
العبادة قال ابو بكر الصديق ما شبعت منذ اسلمت لاجل حلاوة
عبادة ربي وما رويت منذ اسلمت اشتياقا الى لقاء ربي وهذه
صفاة المكاشفين وكان مكاشفا واليه اشار النبي صلى الله عليه
وآله بقوله ما فضلكم ابو بكر بفضل صوم او صلاة وانما هو بشيء
وقر في صدره وقال الداراني رحمه الله احلا ما تكون العبادة
اذا التزق بطني بظهري والسادسة ان فيه خطر الوقوع في الشبهة
والحرام فان الحلال لا ياتيك الا قوتا ولقد روينا عن رسول الله صلى الله
عليه وآله ان الحلال لا ياتيك الا قوتا والحرام ياتيك جزافا جزافا
السابعة ان فيه شغل القلب والبدن بتحصيله اولا وتهيئة ثانيا
ثم باكله ثالثا ثم بافراغه والتخلص عنه رابعا ثم بالسلامة خامسا
بان تبدو منه آفة في البدن بل آفات وعلل ولقد قال النبي صلى الله
عليه وآله اصل كل داء البردة يعني التخمة واصل كل دواء الازم يعني
الحمية وعن مالك بن دينار رحمه الله انه كان يقول يا هؤلاء لقد
لقد اختلفت الى الخلاء حتى استحييت فياليت ان الله تعالى جعل
رزقي في حصاة امصها حتى اموت ثم ما في هذه الجملة من طلب الدنيا

والطمع

والطمع في الناس وتضييع الوقت بسبب كثرة الاكل ما لم يخف و
الثامنة ما قال من امور الاخرة وشدة سكرات الموت وروي في
الاخبار ان شدة سكرات على قدر لذات الحيوة فمن اكثر من هذه
اكثر له من تلك والتاسعة نقصان الثواب في العقبى قال الله
تعالى اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا الاية فانه بقدر ما تاخذ
من لذات الدنيا ينقص لك من لذات الاخرة ولهذا المعنى ان الله عز
وجل لما عرض الدنيا على نبينا صلى الله عليه وسلم قال لا لا انقص
من اخرتك شيئا خصه بذلك فدل ان لعيره النقصان الا ان يتفضل
الله عز وجل عليه بذلك ولقد روي ان خالد بن الوليد اضاف
عمر بن الخطاب وهيأ له طعاما فقال عمر هذا لنا فما لفقراء المهاجرين
الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز شعير قال خالد لهم الجنة يا امير المؤمنين
فقال عمر لئن فازوا بالجنة وكان هذا حظنا من الدنيا فقد
بانوا منا بونا مبينا وروي ان عمر عطش يوما فدعا بماء فاعطاه
رجل ماء نبذ فيه تمرات فلما قربها عمر من فيه وجد الماء باردا حلوا
فامسك فقال اوه فقال الرجل والله ما الوته حلاوة يا امير المؤمنين
فقال عمر ذلك الذي منعني ويحك لولا الاخرة لشاركناكم في عيشكم و
العاشرة الحبس والحساب واللوم والتعيير في ترك الادب في اخذ الفضول
وطلب الشهوات فان الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب

وزيفتها الى تباب فهذه جملة العشرة وفي احدها كفاية لمن نظر
لنفسه فعليك ايها المجتهد بالاحتياط البالغ في القوت كيلا يقع
في حرام او شبهة فيلزمك العذاب ثم الاقتصار من الحلال على ما يكون
عدة على عبادة الله عز وجل فلا تقع في شر فتبقى في الحبس والحساب
والله ولي التوفيق فان قلت بين لنا اولا حكم الحرام والشبهة
وحدهما فاقول نعم والله لقد اشبعنا القول فيه في كتاب اسرار
معاملات الدين وذكرنا كتابا مفردا في كتاب لكنا نشير الى كلمة مفردة
بحيث تصل الى فهم الضعيف المبتدي اذ مقصود هذا الكتاب ان ينتفع
به المبتدي في العبادة وبعين الطالب قال بعض العلماء ما يتيقن كونه
ملكا للغير منهيا عنه في الشرع فهو حرام محض واما اذا لم يمكنك يقين
بذلك ولكن تغلب على ظنك انه كذلك فهو شبهة وقال اخرون
بل الحرام المحض ما يكون به علم او غالب ظن لان غلبة الظن ما يجري
مجرى العلم في كثير من الاحكام فاما اذا تساوت الامارات حتى يبقى شاكا
لا يكون لاحدهما ترجيح عندك فذلك شبهة يشبه ان حلالا ويشبه
ان حراما فاشتبه امره عليك والتبس حاله ثم الامتناع عن الذي
هو حرام محض حتم واجب وعن الذي هو شبهة تقوى وورع وهذا اولى
من القولين عندنا فان قيل فما تقول في قبول جوائز السلاطين في
هذا الزمان فاعلم ان العلماء اختلفوا فيه فقال قوم كل ما لا يتيقن

ان حرام فله اخذه قال اخرون لا يحل ان يؤخذ ما لم يتحقق انه
حلال لان الاغلب في هذا العصر على مال السلاطين الحرام والحلال
في ايديهم معدوم وعزيز وقال قوم ان صلات السلاطين تحل
للغني والفقير اذا لم يتحقق انها حرام وانما التبعة على المعطي قالوا
لان النبي صلى الله عليه وآله قبل هدية المقوقس ملك الاسكندرية
واستقرض من اليهود مع قول الله عز وجل اكالون للسحت قالوا
قد ادرك جماعة من الصحابة ايام الظلمة واخذوا منهم فمنهم ابو هريرة
وابن عباس رضي الله عنه وابن عمر وغيرهم وقال اخرون لا يحل من اموالهم
شيء لغني ولا لفقير لانهم موسومون بالظلم والغالب على اموالهم السحت
والحرام والحكم للغالب فيلزم الاجتناب وقال اخرون ما لا يتيقن
انه حرام فهو حلال للفقير دون الغني الا ان يعلم الفقير ان ذلك
عين الغصب فليس له ان ياخذه الا ليرده على مالكه ولا حرج على الفقير
ان ياخذ من اموال السلطان لانها ان كانت من ملك السلطان فاعطى
الفقير فله اخذه بلا ريب وان كانت من فيء او خراج او عشر فللفقير
فيه حق وكذلك لاهل العلم قال امير المومنين علي بن ابي طالب عليه الصلوة
والسلم من دخل في الاسلام طايعا وقرا القران ظاهرا فله في بيت
مال المسلمين كل سنة مائتا درهم وروى مائتا دينار ان لم ياخذها
في الدنيا اخذها في الاخرة واذا كان كذلك فالفقير والعالم

تحقيق الحرام والشبهة

في جوائز السلاطين

ياخذ من حقه قالوا واذا كان المال مختلطا بمال مغصوب لا يمكن
تميزه او غصبا لا يمكن رده على صاحبه وذريته فلا يخلص للطالب
منه الا بان يتصدق به وما كان الله تعالى ليامره بالصدقة على الفقير
وينهى الفقير عن قبوله او يأذن للفقير بالقبول وهو عليه حرام
فاذن للفقير ان ياخذ الا عين الغصب والحرام فليس له اخذه وهذه
المسائل لا يمكن الفتوى فيها الا بجسط وتشقيق واستيعاب القول
فيها يخرج عن المقصود من الكتاب فان اردت معرفتها فطالع في كتاب
الحلال والحرام من كتاب احياء علوم الدين تجده مشروحا مبينا
ان شاء الله تعالى فان قيل فما تقول في صلات اهل السوق وغيرهم
هل يلزم ردها او البحث عنها وقد علمت مجازفتهم وقلة نظرهم في
معاملاتهم وكذلك صلات الاخوان فالجواب انه اذا كان ظاهر
الانسان الصلاح والستر فلا حرج عليك في قبول صلته وصدقته
ولا يلزم البحث بان تقول قد فسدت الزمان فان هذا سوء ظن
بذلك الرجل المسلم بل حسن الظن بالمسلمين مامور به ثم اعلم ما هو
الاصل في هذا الباب وهو ان ههنا شيئين احدهما حكم الشرع
وظاهره والثاني حكم الورع وحقه فحكم الشرع ان تاخذ ما اتاك
ممن ظاهره الصلاح ولا تسال الا ان يتيقن انه غصب او حرام
بعينه وحكم الورع ان لا تاخذ شيئا من احد حتى تبحث عنه غاية البحث

صلات اهل السوق

وتستقصي في غاية الاستقصاء فتستيقن انه لا شبهة فيه بحال والا
فترده فلقد روينا عن ابي بكر الصديق ان غلاما له اتاه بلبن فشربه
فقال الغلام كنت اذا جئتك بشيء تسئلني عنه ولا تسئلني عن هذا
اللبن فقال وما قصته فقال له رقيت قوما رقى الجاهلية فاعطوني
هذا فقاء ابو بكر وقال اللهم هذه مقدرتي فما بقي في العروق فانت
حسيبه فهذا يدلك على وجوب البحث عما تقدم عليه ان كان لك نظر في
الورع وحقه فهذه هذه فان قلت فكان الورع يخالف الشرع و
حكمه فاعلم ان الشرع موضوع على اليسر والسماحة فلذلك قال
النبي صلى الله عليه وآله بعثت بالحنيفية السمحة والورع موضوع على
التشديد والاحتياط كما قيل الامر على المتقي اضيق من عقد التسعين
ثم الورع من الشرع ايضا وكلاهما في الاصل واحد ولكن للشرع
حكمان حكم الجواز وحكم الافضل والاحوط فالجائز يقال له حكم
الشرع والافضل الاحوط يقال له حكم الورع فهما مع تميزهما واحد
في الاصل فافهم ذلك راشدا فان قلت اذا جاز البحث والاستقصاء
عن كل شيء فيشتد علينا ما ناخذه في هذا الزمان وتعذر الامر بمرة
على صاحب الورع اذ لا بد له من بلاغ يبلغه الى الطاعة فاعلم ان طريق
الورع شديد وان من قصد سلوكه فشرطه ان يوطن نفسه وقلبه على
احتمال الشدة والا فلا يتم له ذلك فلهذا المعنى صار الكثير من اهل الو

رقيه افسون كرده

والسابقون الى جبل لبنان وغيره واقتصروا على اكل الحشيش
وثمرات تافهة لا شبهة فيها بحال فمن سمت همته الى نيل منزلة الورع
الاعلى فعليه ان يحتمل الشدايد ويصبر عليها ويسلك طريق اولئك
لينال منزلتهم واما ان اقام بين الناس واكل مما في ايديهم
فليكن عنده بمنزلة الميتة لا يقدم عليها الا عند الضرورة ثم لا يتناول
منها الا مقدار ما يبلغه الى الطاعة فيكون له عذر في ذلك ولا سيما
ان كان في اصله شبهة فان الله تعالى اولى بالعذر ولهذا قال
الحسن البصري اذا دخلتم السوق فعليكم بالقوت ولقد بلغني عن
وهيب بن الورد رحمه الله انه كان يجيع نفسه يوما ويومين وثلاثة ثم
ياخذ رغيفا ويقول اللهم انك تعلم اني لا اقوى على العبادة واخشى
الضعف ان لم آكله والا لم آكله اللهم فان كان فيه شيء من خبث او حرام
فلا تواخذني ثم يبل الرغيف في الماء فياكله فكلتا هذان الطريقان
للطبقة العليا من اهل الورع فيما نعلمه واما من دونهم فلهم احتياط
ويحتاط على مقدارهم ولهم ايضا نصيب من الورع على مقداره وبقدر ما يتقي
ينال ما يتمنى والله عز وجل لا يضيع اجر من احسن عملا وهو عليم بما
يفعلون فان قيل هذا جانب الحرام فاخبرنا عن جانب الحلال وما حد
الفضول الذي يلزم منه الحبس والحساب وما المقدار الذي اذا اخذه
العبد يكون ذلك ادبا ولا يكون فضولا ولا عليه فيه حبس ولا حساب

قال

يقال له اعلم ان احوال المباح في الجملة ثلثة اقسام احدها ان ياخذه
العبد مفاخرا مكاثرا مباهيا مرائيا فيكون الاخذ منه فعلا منكرا
وشرا يستوجب عليه باطن فعله وهو التكاثر والتفاخر عذاب النار وذلك
القصد منه معصية وذنب لقوله تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو
وزينة وتفاخر وتكاثر في الاموال والاولاد بينكم
الى قوله وفي الآخرة عذاب شديد وقال صلى الله عليه وآله من طلب
الدنيا حلالا مباهيا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقي الله عز وجل وهو
عليه غضبان فالوعيد على قصده ذلك بقلبه والقسم الثاني ان ياخذ
الحلال لشهوة نفسه لا لغيره فذلك منه شر يستوجب عليه الحبس
والحساب لقوله عز وجل ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم وقال
صلى الله عليه وآله حلالها حساب وحرامها عذاب والقسم الثالث
ان ياخذ من الحلال في حالة العذر قدر ما يستعين به على عبادة الله
تعالى ويقتصر على ذلك من خيره وحسنه وادب فلا حساب عليه
ولا عتاب بل يستوجب عليه الاجر والمدحة لقوله عز وجل اولئك
لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب وقال صلى الله عليه وآله من
طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسئلة وتعطفا على جاره
وسعيا على عياله جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وذلك
لما قصد به هذه المقاصد المحمودة لله تعالى فهذه هذه فاعلمها

يستوجب على ظاهر فعله الحبس والحساب والتعيير هو شكر صح

فان قيل فما شرط المباح حتى يصير خيرا وحسنة كما ذكرتم فاعلم
انه يحتاج كونه خيرا في الاصل الى شرطين احدهما الحال والثاني
القصد فالحال يجب ان يكون في حال عذر وهو بحيث ان لم ياخذه
يوخذ وتفسيره ان يكون حاله ان لم ياخذ ذلك المباح ينقطع
بسببه عن فرض او سنة او نفل يكون ذلك افضل من ترك المباح
فان ترك مباح الدنيا فضيلة فاذا كان الحال كذلك فهو حال
العذر واما القصد بان يقصد به العدة والاستعانة على عبادة
الله عز وجل وهو ان يذكر بقلبه انه لولا ما فيه من التوصل الى
عبادة الله عز وجل لما اخذت ذلك فهذا ذكر الحجة فلما حصل
ذكر الحجة في حال العذر صار ذلك الاخذ من الدنيا الحلال خيرا
وحسنة وادبا واما لو كان حاله حال العذر ولا يكون له هذا
القصد والذكر او يكون له هذا القصد والذكر ولا يكون في
حال العذر فلا يصير ذلك الاخذ من جملة الخيرات ثم الاستقامة
على حفظ هذا الادب يحتاج الى بصيرة وقصد مجمل بانه لا ياخذ
من الدنيا بحال الا لعدة على عبادة الله عز وجل حتى انه لو سها
عن ذكر الحجة في حال اجزاء ذلك القصد المجمل عن تجديد ذكر الحجة
قال شيخنا رحمه الله فصارت الامور الثلثة معتبرة في كل واحد من جهة
يعني ان الذكر والحال معتبران في حصول كونه خيرا اصلا والقصد

المجمل

المجمل المقتضي عن بصيرة ومنزلة الادب معتبر في الاستقامة عليه فافهم
ذلك راشدا فان قيل فان اخذ الدنيا الحلال بشهوة فهل يكون
ذلك معصية وهل يلزمه عليه عذاب وهل الاخذ بالعذر فرض
ام لا فاعلم ان ذلك فضل وتسميه خيرا وحسنة والامر به امر
تاديب والاخذ بشهوة من سيئة والنهي عنه نهي زجر وليس ذلك
بمعصية ولا يكون عليه عذاب النار وانما عليه الحساب والحبس و
اللوم والتعيير فان قلت فما هذا الحبس والحساب الذي يلزم
العبد فاعلم ان الحساب ان يسئل العبد يوم القيامة عما ذا اكتسبت
وفيما ذا انفقت وماذا اردت بذلك والحبس حبس عن الجنة مدة
الحساب وذلك في عرصة القيامة بين اهوالها ومخاوفها عريان
عطشان وكفى بتلك بلية فان قيل فالله عز وجل قد احل لنا
هذا الحلال فاللوم والتعيير في اخذه لماذا فاعلم ان اللوم و
التعيير لترك الادب كمن اجلس على مايدة الملك فترك الادب
فانه يعير بتلك ويلام وان كان الطعام له مباحا والاصل في هذا
الباب ان الله عز وجل خلق العبد لعبادته وهو عبده تعالى وتقدس
من كل وجه فحق العبد ان يعبد الله عز وجل من كل وجه يمكنه ويجعل
افعاله كلها عبادة من كل وجه امكنه فان لم يفعل ذلك واثر شهوة
نفسه واشتغل بذلك عن عبادة ربه مع تمكنه من ذلك من غير عذر

والعار دار خربة وعبادة لا دار نعم وشهوة استحق اللوم

بذلك والتعيير من سيده فتامل هذا الاصل راشدا ولا قوة الا

بالله فهذه الجملة التي اردنا بيانها في اصلاح النفس والجامها

بلجام التقوى فارعها حقها فاحفظ جدا تفز بالخير الكثير

في الدارين ان شاء الله عز وجل والله تعالى ولي التوفيق والعصمة

بفضله **فصل** وعليك ايها الرجل ببذل الجهد في قطع

هذه العقبة العظيمة الطويلة فانها اعظم العقبات شدة

واكثرها مؤنة واكبرها آفة وفتنه فان من هلك من هذا

الخلق كلهم انما هلكوا انما انقطعوا عن طريق الحق اما بسبب

دنيا او خلق او شيطان او نفس ولقد ذكرنا في كتبنا المصنفة

من كتاب الاسرار والاحياء والقربة مما يبعث على الاهتمام بذلك

ومقصود هذا الكتاب اني سالت الله تعالى ان يطلعني على سر

معالجة النفس وان يصلحني ويصلح بي فاقتصرت في هذا الكتاب

الشريف على نكتة وجيزة اللفظة عزيزة المعنى تقتنع من تاملها

وتدعو الى واضحة من الطريق ان شاء الله تعالى وهذا الفصل

يختص بنكتة في معالجة الدنيا والخلق والشيطان والنفس

ذم الدنيا

اما الدنيا فحق لك ان تحذرها وتزهد فيها لان الامر لا يخلو من

ثلثة اما انت من ذوي البصاير والفطن فتحسب ان الدنيا

عدوة لله تعالى وهو حبيبك ووليك وان الدنيا تفتضح عقلك

والعقل فتمتلك واما انت من ذوي الابصار والهم في عبادة الله

عز وجل والاجتهاد فتحسب ان الدنيا تبلغ بشومها الى حيث تمنعك

ارادتها وتشغلك الفكر فيها عن العبادة والخير فكيف تغنيها

واما انت من ذوي الغفلة لا بصيرة لك تبتصر الحقايق ولا همة

لك تبعث على المكارم فتحسب ان الدنيا لا تبقى اما ان تفارقها

واما ان تفارقك كما قال الحسن البصري ان بقيت لك الدنيا

لم تبق لها فاي فايدة اذن في طلبها وانفاق العمر العزيز عليها

ولقد احسن القايل هب الدنيا تساق اليك عفوا

اليس مصير ذاك الى الزوال وما دنياك الا مثل ظل

اظلك ثم آذن بارتحال فلا ينبغي لعاقل ان يخدع بها

لقد صدق القايل اضغاث نوم او كظل زايل

ان اللبيب بمثلها لا يخدع واما الشيطان فحسبك قيما

قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه واله وقل رب اعوذ

بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون

فهذا خير العالمين واعلمهم واعقلهم وافضلهم عند الله عز و

جل يحتاج مع ذلك ان يستعيذ بالله من شر الشيطان فكيف

المعاشرة مع الخلق

بك مع جهلك ونقصك وغفلتك واما الخلق فحسبك منهم

انك لو خالطتهم ووافقتهم في هواهم اثمت واضررت
اجراخرتك وان خالفتهم تعبت باذياتهم وجفواتهم و
كدورت عليك امر دنياك ثم لا تامن ان يلجوك الى معاداتهم
ومساواتهم فتقع في شرهم ولا نهم ان مدحوك وعظموا اخاف
عليك الفتنة والعجب وان ذموك وحقروك اخاف عليك
الحزن تارة والغضب لغير الله عز وجل اخرى وكلا الامرين
آفة مهلكة ثم اذكر حالك معهم بعد ما صرت في القبر ثلثة ايام
كيف يتركونك كانك لم ترهم يوما ولم يروك ولا يبقى هناك
الا الله سبحانه افلا يكون من الغبن العظيم ان تضيع ايامك
مع هؤلاء الخلق مع قلة الوفاء وقلة البقاء معهم وتترك
خدمة الله عز وجل الذي ترجع اليه اخر الامر وحده ولا يبقى
لك الا هو ابد الابدين والحاجات كلها اليه والتكلان كله عليه
والاعتصام كله في كل حال وعند كل شدة وهول به وحده
لا شريك له فتامل يا مسكين لعلك ترشد ان شاء الله تعالى
والله ولي الهداية بفضله واما النفس فحسبك ما تشاهد من
من حالاتها ورداءة رأيها وسوء اختياراتها فهي في حال الشهوة
بهيمة وفي حال الغضب سبع وفي حال المصيبة تراها طفلا وفي
حال النعمة تراها فرعون وفي حال الجوع تراها مجنونا وفي حال

الشبع

آفات النفس

٦١

الشبع تراها مختالا ان اشبعتها بطرت ومرحت وان جوعتها
صاحت وجزعت فهي كما قال القايل كحمار السوء ان اقضمته رمح
الناس وان جاع نهق ولقد صدق بعض الصالحين حيث قال
ان رداءة هذه النفس وجهلها بحيث ذا همت بمعصية او انبعثت
لشهوة وتشفعت اليها بالله عز وجل ثم برسوله وبجميع انبيائه
وبكتابه وبجميع السلف الصالحين من عباده وتعرض عليها الموت
والقبر والقيامة والجنة والنار لا تعطي القياد ولا تترك الشهوة
ثم ان استقبلتها بمنع رغيف فانها تسكن وتترك شهوتها لتعلم
خستها وجهلها فاياك ايها الرجل ان تغفل عنها فانها كما
قال خالقنا العالم بها جل جلاله ان النفس لامارة بالسوء
وكفى بهذا تنبيها لمن عقل ولقد بلغني عن رجل من الصالحين
يقال له احمد بن ارقم البلخي انه قال نازعتني نفسي بالخروج الى
الغزو فقلت سبحان الله ان الله عز وجل يقول ان النفس
لامارة بالسوء وهذه تامرني بالخير لا يكون ذلك ابدا ولكنها
قد استوحشت فتريد لقاء الناس لتستروح اليهم ويتسامع
الناس بها فيستقبلونها بالتعظيم والبر والاكرام فقلت لها
لا انزلك العمران ولا انزلك على معرفة فاجابت فاساءت الظن
بها وقلت الله عز وجل اصدق فقلت لها اتقاتلين العدو حاسرا

فتكونين اول قتيل فاجابت وعددت اشياء مما ارادها فاجابت
الى ذلك كله فقلت يا رب نبهني بها فاني متهم لها مصدق لك
فكوشفت بها كانها تقول يا احمد تقتلني كل يوم بمنعك
اياي من شهواتي مرات ولا لك ولا يشعر به احد فان قاتلت
قتلت مرة واحدة فنجوت منك ويتسامع الناس فيقال استشهد
احمد فيكون لي شرفا وذكرا قال فقعدت ولم اخرج الى الغزو
في ذلك العام فانظر الى خداع النفس وغرورها ترى الناس بعد
الموت بعمل لم يكن بعد ولقد صدق القايل واحسن حيث قال
توق نفسك لا تامن غوائلها   فالنفس اخبث من سبعين شيطانا
فتنبه رحمك الله لهذه الخداعة الامارة بالسوء ووطن
على مخالفتها بكل حال تصب وتسلم ان شاء الله تعالى ثم عليك
بالجامها بالتقوى لا حيلة لها سواه واعلم ان ههنا اصلا
وهو ان العبادة شطران شطر الاكتساب وشطر الاجتناب
والاكتساب فعل الطاعات والاجتناب الامتناع عن المعاصي
والسيات وهو التقوى وان شطر الاجتناب على كل حال اسلم
واصلح وافضل واشرف للعبد من شطر الاكتساب ولذلك يشتغل
المبتدؤون من اهل العبادة الذين هم في اول درجة الاجتهاد بشطر
الاكتساب وكل همتهم ان يصوموا نهارهم ويقوموا ليلهم

ونحو ذلك

ونحو ذلك ويشتغل المنتهون اولوا البصاير من اهل العبادة
بشطر الاجتناب وانما همتهم ان يحفظوا قلوبهم عن الميل الى
غير الله عز وجل وبطونهم عن الفضول والسنتهم عن اللغو
واعينهم عن النظر الى ما لا يعنيهم ولهذا المعنى قال عابد
العباد ليونس يا يونس من حبب اليهم الصلوات فلا يوثرون
عليها شيئا وهي عمود العبادة منهم ما لثبات لله تعالى والصدق والتضرع
والابتهال ومنهم من حبب اليهم الصوم فلا يوثرون عليه شيئا
ومنهم من حبب اليهم الصدقة فلا يوثرون عليها شيئا يا يونس
وانا مفسر لك هذه الخصال اجعل صومك الصمت عن كل سوء
واجعل صدقتك كف الاذى فانك لا تتصدق بشيء افضل
منه ولا تصوم لشيء ازكى منه فاذن علمت ان جانب الاجتناب
اولى بالرعاية والاجتهاد فان حصل لك الشطران جميعا الاجتناب
والاكتساب فقد استكمل امرك وحصل مرادك ولقد سلمت
وغنمت فان لم تقدر الا على احدهما فليكن ذلك جانب الاجتناب
فتسلم ان لم تغنم والا خسرت الشطرين جميعا وما ينفعك
قيام ليل وتعب ثم يحبط بارادة واحدة ولقد روينا عن
ابن عباس رضي الله عنه انه قيل له يوما ما تقول في رجلين احدهما
كثير الخير كثير الشر والاخر قليل الخير قليل الشر قال لا اعدل

وما ينفعك صيام نهار طويل
يفسد بكلمة واحدة

بالسلامة شيا ومثال ما قلناه حال المريض وذلك ان معالجة
المريض نصفان نصف هو الدواء ونصف هو الاحتماء فان اجتمعا
وكانك بالمريض وقد برا وصح والا فالاحتماء به اولى
اذ لا ينفع دواء مع ترك الاحتماء ولقد ينفع الاحتماء مع ترك
الدواء ولقد قال النبي صلى الله عليه وآله اصل كل داء الحمية
والمعنى بها والله اعلم انها تغني عن كل دواء وكذلك يقال
ان الهند جل معالجتهم الحمية يمنع المريض عن الاكل والشرب والكلام
عدة ايام ويصح بذلك فتبين بهذه الجملة ان التقوى ملاك الامر
وجوهره واهلها في الطبقة العليا من العباد فعليك ببذل
المجهود في ذلك وصرف جل العناية اليه والله تعالى الموفق بفضله

فصل ثم راع هذه الاعضاء الاربعة التي هي الاصول

افات العين

الاول العين وحسبك بها ان مدار امر الدنيا والدين على
القلب فان خطر القلب وشغله وفساده في الاكثر من العين و
لذلك قال امير المومنين وامام المتقين اسد الله الغالب علي بن
ابي طالب عليه من الصلوات افضلها ان من لم يملك عينه فليس
للقلب عنده قيمة والثاني اللسان وحسبك ان يفرد بجك

افات اللسان

وغمك وثمرة تعبك واجتهادك كله للعبادة والطاعة وان
خطر العبادة واحباطها وافسادها في الاكثر من قبل اللسان

ما بالتصنع والتزين والغيبة ونحوها يتلف عليك بلفظة واحدة
ما تعب فيه سنة بل خمسا او عشرا ولذلك قيل ما شي احق
بطول سجن من اللسان وفيما روي ان احد العباد السبعة
قال ليونس يا يونس ان العباد اذا اجتهدوا في العبادة لم
ينفقوا على عباداتهم بشي افضل من الصبر عن الكلام في فصل
طويل ثم دعا الى ذلك فقال ولا يكون عندك شي اثر من
حفظ لسانك ولا يكون لشيء اعني به من سلامة صدرك
فهذه هذه ثم اذكر النفس الذي تكلمت فيه بفضول ما كان يضرك
لو قلت استغفر الله العظيم فربما يوافق ساعة عزيزة فيغفر الله
تعالى لك فتربح راس مالك او قلت لا اله الا الله فيكون لك من الاجر
والذخر ما لا يحيط وهمك به او يقول اسال الله الكريم العافية

والاخرة

فربما يتفق حسن نظر فيستجيب الله تعالى دعوتك فتنجو من بليات الدنيا
الا يكون من الخسران والغبن العظيم ان تفوت نفسك كل هذه
الفوايد الكريمة وتجعل نفسك ووقتك في فضول اقل ما يلزمك
فيها اللوم والحساب يوم القيامة ولقد احسن القايل واذا
ما هممت بالنطق بالباطل فاجعل مكانه تسبيحا

بطن

والثالث البطن وحسبك ان مقصودك العبادة و
ان الطعام شرب العمل وماوه منه يسيو وينبت واذا خبث

البذر لا يطيب الزرع بل فيه خطر ان يفسد عليك الارض فلا
تصلح ابدا ومن ذلك ما بلغنا عن معروف الكرخي رحمه الله انه قال
اذا صمت فانظر على اي شي تفطر وطعام من تاكل اكلة فينقلب
قلبه عما كان عليه لا يعود الى حاله ابدا وكم من اكلة حرمت
قيام ليل وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل
الاكلة فيحرم بها قيام سنة فعليك ايها الرجل بالنظر الدقيق
والاحتياط البالغ الشديد في قوتك ان كانت لك عناية
بقلبك وهمة في عبادة ربك هذا في اصل القوت حتى يكون
من وجهه ثم عليك بالادب فيه والا كنت حمالا للطعام مضيعا
للايام اذ قد علمنا يقينا بل راينا عيانا ان العبادة لا يجي منها
شي اذا امتلا البطن وان اكرهت النفس على ذلك وجاهدت
بضروب الحيل فلا يكون لتلك العبادة لذة ولا حلاوة فلذلك
قيل لا تطمع بحلاوة العبادة مع كثرة الاكل واي نود في نفس بلا
عبادة بلا لذة ولا حلاوة ولهذا المعنى قال ابراهيم بن ادهم
رحمه الله صحبت اكثر رجال الله عز وجل في جبل لبنان وكانوا يوصوني
اذا رجعت الى ابناء الدنيا فعظهم باربع قل لهم من كثر الاكل
لا تجد لذة العبادة ومن نام كثيرا لا يجد في عمره بركة ومن طلب رضا
الناس فلا ينتظر رضاء الرب ومن كثر الكلام بفضول او غيبة

فكم من ما كل م

وفي عبادة م

فلا يخرج من الدنيا على دين الاسلام وعن سهل رحمه الله انه قال
جماع الخير كله في هذه الخصال الاربع وبهذا صارت الابدال
ابدالا باخماص البطون والصمت والاعتزال عن الخلق وسهر الليل
وقال بعض العارفين الجوع راس مالنا ومعناه ان ما حصل لنا من
فراغ وسلامة وعبادة وحلاوة وعلم نافع بسبب الجوع والصبر
عليه لله عز وجل واما القلب فحسبك انه اصل الكل ان افسدته
فسد الكل وان اصلحته صلح الكل اذ هو الشجر وساير الاعضاء
اغصان ومن الشجر تشرب الماء الاغصان وتصلح وتفسد فانه الملك
وساير الاعضاء تبع واركان فاذا صلح الملك صلحت الرعية واذا
فسد فسدت الرعية فاذن صلاح العين واللسان والبطن و
غيرها دليل على صلاح القلب وعمرانه فاذا رايت فيها خللا وفسادا
فاعلم ان ذلك من خلل في القلب وفساد وقع ثم بل الفساد فيه اكثر
فاصرف عنايتك اليه فاصلحه يصلح الكل بمرة فتستريح ثم امره دقيق
عسير اذ هو مبني على الخواطر وهي ليست تحت يدك والامتناع
من اتباعها بجهود طاقتك فيه اقصى المشقة ولهذا المعنى صار اصلاحه
اشد على اهل الاجتهاد والاهتمام بامره اكثر واكبر عند اولي
البصاير وروي عن ابي يزيد رحمه الله انه قال عالجت قلبي عشرا ولساني
عشرا ونفسي عشرا وكان قلبي اصعب الثلثة فهذه هذه ثم عليك بالاهتمام

اخماص تهي شكم بودن م

اما القلب

بالخصال الاربع التي ذكرناها من الامل والعجلة في الامور والحسد
والكبر وانما خصصنا هذه الاربع من بين ساير الخصال في
هذا الموضع وحضضنا على الاحتراس منها لانها علل القرآء
خاصة اذ هي تعتري ساير الناس عموما والقرآء خصوصا فتكون
اقبح واشنع ترى الرجل القاري يطول الامل ويغره بنيه خير
فيوقعه في الكسل والتواني في العمل وتراه يستعجل في تحصيل
منازل الخير فينقطع عنها او في اجابة دعاء صالح فيحرم ذلك او
في الدعاء على احد بسوء فيندم على ذلك كما ذكر عن نوح عليه السلم
وتراه يحسد نظراءه على ما اتاهم الله تعالى من فضله حتى ربما يبلغ
ذلك منه مبلغا يحمله على قبايح وفضايح لا تقدم عليها فاسق ولا
فاجر ولهذا المعنى قال سفيان الثوري رحمه الله ما اخاف على
دمي الا من القراء والعلماء فاستنكروا ذلك منه فقال اما انا قلته
انما قال ابراهيم النخعي وعن عطاء قال قال الثوري احذروا القرآء
واحذروني منهم فلو خالفت اودهم في رمانة فاقول انها حلوة
ويقول انها حامضة لما امنته ان يسعى بدمي الى سلطان
جاير وعن مالك بن دينار اني اقبل شهادة القراء على جميع الخلق
ولا تقبل شهادة بعضهم على بعض لاني وجدتهم حسادا وعن
الفضيل انه قال لابنه اشتر لي دارا بعيدة من القراء مالي

ولعوم

ولعوم ان ظهرت مني زلة هتكوني وان ظهرت علي نعمة حسدوني
وكذلك تراه يتكبر على الناس ويستخف بهم مصعرا خده معبسا
وجهه كانما يمن على الناس بما يصلي زيادة ركعتين او كانما جاءه
من الله تعالى منشور بالحسنى والبراءة من النار او كان استيقن
السعادة لنفسه والشقاوة لساير الناس ثم مع ذلك يلبس
لباس المتواضعين من صوف وغيره ويتماوت وهذا لا يليق
بالترفع والتكبر ولا يلايمه بل يناقضه ولكن الاعمى لا يبصر
ذكر ان فرقدا السبخي دخل على الحسن البصري وعليه كساء
وعلى الحسن حلة وجعل يلمسها فقال الحسن ما لك تنظر الى ثيابي
ثيابي ثياب اهل الجنة وثيابك ثياب اهل النار بلغني ان اكثر
اهل النار اصحاب الاكسية ثم قال الحسن جعلوا الزهد في ثيابهم
والكبر في صدورهم والذي يحلف به ليس لاحدكم بكسائه اعظم
كبرا من صاحب المطرف بمطرفه والى هذا المعنى اشار ذو النون
رحمه الله حيث قال تصوف فازدهى بالصوف جهلا
وبعض الناس يلبسه مجانه يريك مهانة ويريك كبرا
وليس الكبر من شكل المهانه تصوف كي يقال له امين
وما يغني تصوفه امانة ولم يرد الاله به ولكن
اراد به الطريق الى الخيانه فلتحذر ايها الرجل من هذه

الافات الاربع لاسيما الكبر فان الثلث الاول مداحض
لو زللت فيها لوقعت في العصيان والكبر مدحض لو وقعت
فيه لوقعت في نجاد الكفر والطغيان ولا تنس حديث ابليس
وفتنته انه ابى واستكبر وكان من الكافرين والرجوع الى الله
عز وجل ان يعصمنا جميعا بحسن نظره فانه جواد كريم

فصل وجملة الامر انك اذا نظرت بعقلك ايها
الرجل فعلمت ان الدنيا لا بقاء لها وان نفعها لا يفي بضرها
وتبعاتها من كد البدن وشغل القلب في الدنيا والعذاب
الاليم والحساب الطويل في الاخرة زهدت في فضولها فلا تاخذ
منها الا ما لا بد لك منه في عبادة ربك وتركت التنعم والتلذذ
الى الجنة دار النعيم المقيم في جوار رب العالمين الملك القادر الغني
الكريم وعلمت ان الخلق لا وفاء لهم وان مؤنتهم اكثر من معونتهم
فيما يعنيك تركت مخالطتهم الا فيما لا بد لك منه فتنتفع بخيرهم
وتجتنب شرهم وتجعل صحبتك لمن لا تخسر في صحبته ولا تندم على
خدمته والانس بكتابه وملازمتك لبابه فيكون لك بكل حالة وترى
منه كل جميل وافضال وتجده عند كل نايبة في الدنيا والاخرة
كما قال عليه السلم احفظ الله عز وجل تجده حيث اتجهت
وعلمت ان الشيطان خبيث قد تجرد لمعاداتك فاستعذت

بربك

بربك القادر القاهر من هذا الكلب اللعين ولا تغفل عن
مكايده ومصايده فتطرده بذكر الله عز وجل ولا تعبا
بذلك فانه يسير اذا ظهرت عزايم الرجال وانه كما قال
الله عز وجل انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى
ربهم يتوكلون ولقد صدق ابو حازم فيما قال
ما الدنيا وما ابليس اما الدنيا فما مضى فحلم وما بقى
فاماني واما الشيطان فوالله لقد اطيع فما نفع و
لقد عصى فما ضر وعلمت جهالة هذه النفس وجماحها
الى ما يضرها ويهلكها ونظرت رحمة لها نظر العقلاء و
العلماء الذين ينظرون في العواقب لا نظر الجهال والصبيان
الذين ينظرون الحال ولا يفطنون لغائلة الاذى ويرقون
من مرارة الدواء فالجمها بلجام التقوى بان تمنعها عما لا
يحتاج اليه بالحقيقة من فضول وكلام ونظر وتلبس بخصلة
فاسدة من طول امل او عجل او حسد مسلم او تكبر في غير موضع
او اكل محض شهوة وشره وتعطيها ما ليس لها بد منه لتكاف
منه ضرا اذ لا ضرورة الى الفضول وقد وسع الله عز وجل
الامر واغناهم عن جميع ما يضرهم في امر دينهم فلا حاجة الى
ذلك فان الامر كما قال بعض الصالحين ان التقوى اهون

وينزون

على عباده برحمته

شيء اذا راى شيئاً تركته وان النفس ستلين وتتعود ما عودتها
فانها كما قال العابد والنفس راغبة اذا رغبتها
واذا ترد الى قليل تقنع وقال الاخر هي النفس ما حملتها
تتحمل وقال الاخر وما النفس الا حيث يجعلها الفتى
فان اُطْمِعَتْ تاقَتْ والا تَسَلَّتْ فاذا علمت الذي وصفناه
وعملت كنت من الزاهدين الراغبين في الاخرة واعلم ان
من سمح بالفاسم ممدوح وكُنْتَ من المنفردين المنقطعين
الى الله سبحانه وتعالى الذين هم اهل الانس خدم رب العالمين فتكون
كما قال القايل تَشَاغَلَ قومٌ بدنياهم وقومٌ تَخَلَّوا بمولاهم
فَأَلْزَمَهم بابَ مرضاته وعن ساير الخلق اغناهم اذا زَيَّنَ
الناسُ اَسْواقَهم فَسُوقُ المحبين نجواهم وكُنْتَ من المجاهدين
في الله عز وجل الخواص من عباد الله تعالى الذين قال فيهم
سبحانه ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكُنْتَ من المتقين
الذين لهم سعادة الدارين وصرت حا افضل من كثير من الملايكة
المقربين اذ ليستهلم شهوة تدعوهم الى قبيح ولا نفس خبيثة
وكنت قد تخلفت هذه العقبة الطويلة الشديدة وسبقت
العوايق كلها الى مقصودك ولا يطولنك فانه مع الاستعانة
بالله تعالى والاعتصام به هين نسال الله تعالى وهو خير مسئول

بابه الواحد سمح

ان يمدك

ان يمدك وايانا بحسن توفيقه وعونه وتيسيره فانه الكافي
لكل مهم والاستعانة به في كل معضل فبيده الخلق والامر
وهو على كل شيء قدير فهذا ما اردنا ذكره في هذا الباب
ولا حول ولا قوة الا بالله العقبة الرابعة هي عقبة العوارض
ثم عليك يا طالب العبادة وفقك تعالى وايانا لكفاية
العوارض الشاغلة عن عبادة الله ولسد سبيلها عليك
لئلا تشغلك عن مقصودك وقد ذكرنا اربعة آحدها
الرزق ومطالبة النفس بذلك انما كفايته بالتوكل
فعليك بالتوكل على الله عز وجل في موضع الرزق والحاجة
بكل حال وذلك لامرين احدهما لتتفرغ لعبادة الله عز وجل
ويتمشى لك من الخير حقه فان لم تكن متوكلا فلا بد من
اشتغالك عن عبادة الله تعالى بسبب الحاجة والرزق
والمصلحة اما ظاهرا واما باطنا اما بالطلب وكسب البدن
كعامة الراغبين واما بذكر وارادة ووسوسة بالقلب كالمجتهدين
المتعلقين فالعبادة يحتاج الى فراغ القلب والبدن ليحصل
حقها والفراغ لا يكون الا للمتوكلين بل اقول كل من هو
ضعيف القلب لا يكاد يطمئن قلبه الا بشيء معلوم لا يكاد يتم له
امر خطير من دنيا واخرة وكثيرا ما سمعت من شيخي ابي محمد يقول

انما الامور تمشي في العالم لرجلين متوكل او متهور قلت
وهذا الكلام جامع في معناه فان المتهور يقصد الامور
على قوة وعادة وجراة قلب لا يلتفت الى صارف يصرفه او
خاطر يضعفه فتجرى له الامور والمتوكل يقصد الامور على
قوة وبصيرة وكمال يقين وطمانينة بوعد الله تعالى وتمام
ثقة بضمانه فلا يلتفت الى انسان يخوفه او شيطان يوسوس
فيفوز بمقاصده ويظفر بمطالبه واما المعلق الضعيف
ابدا بين توكل وتردد وفتور وتحير كالحمار في معلفه والدجاج
في نقيقه يرمق ما تعود من صاحبه لا يكاد ينفك من ذلك ولهذا
تقاعدت نفسه عن معالى الامور وانقطعت همته فلا يكاد
يقصد امرا شريفا فان قصده فلا يكاد يظفر ولا يتم له ذلك
اما ترى ان اصحاب الهمم من ابناء الدنيا لهم مراتب كبيرة
ومنازل خطيرة الا بانقطاع قلوبهم عن انفسهم واموالهم
واهليهم واما الملوك فيباشرون الحروب ويكافحون الاعداء
اما هلكا او ملكا حتى يحصل لهم مرتبة الملك وعقد الولاية
وقيل ان معاوية لما نظر الى العسكرين يوم صفين قال
من اراد خطيرا خاطر بعظيمة واما التجار فيركبون المهالك
برا وبحرا ويطرحون انفسهم واموالهم في المقاطع شرقا وغربا

ويوطنون

ويوطنون انفسهم على احد الامرين اما فوت الارواح واما
حصول الارباح حتى يحصل لهم بذلك كل ربح عظيم ومال
جسيم وعلق نفيس واما السوقي الذي قد ضعف قلبه
ورق عزمه لا يكاد يقلع القلب عن علاقة نفسه وماله فهو
من بيته الى دكانه طول عمره لا يصل الى مرتبة شريفة كالملوك
ولا الى ربح عظيم كالتجار المخاطرين فان نال في سوقه ربحا على
بضاعته درهما فذلك له كثير وذلك لتعلق قلبه بشيء معلوم
فهذا في الدنيا وابنائها واما ابناء الاخرة فراس مالهم هذه
الخصلة التي هي التوكل وقطع القلب عن العلايق فلما احكموها
وحصلوها بحقيقتها تفرغوا لعبادة الله عز وجل وتمكنوا
من التفرد عن الخلق والسياحة في الارض واقتحام الفيافي
واستيطان الجبال والشعاب فصاروا اقوياء العباد ورجال
الدين واحرار الناس وملوك الارض بالحقيقة يسيرون ويرحلون
حيث يشاؤن ويقصدون من الامور علما وعبادة ما يشاؤن
لا عايق لهم ولا حاجز دونهم وكل الاماكن لهم واحد وكل الازمان
عندهم واحد واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله من سره
ان يكون اكرم الناس فليتق الله عز وجل ومن سره ان يكون
اقوى الناس فليتوكل ومن سره ان يكون اغنى الناس فليكن

العظام

بما في يدي الله عز وجل اوثق منه بما يكون في يده وعن
سليمان الخواص رحمه الله لو ان رجلا توكل على الله تعالى
بصدق النية لاحتاج اليه الامراء ومن دونهم فكيف يحتاج
ومولاه الغني الحميد وعن ابراهيم الخواص رحمه الله انه قال
لقيت غلاما في التيه كانه سبيكة فضة فقلت الى اين
يا غلام قال الى مكة قلت بلا زاد ولا راحلة قال يا ضعيف
اليقين الذي يقدر على حفظ السموات والارضين يقدر
ان يوصلني الى مكة بلا زاد ولا راحلة فانصرفت وتركته
فلما وصلت مكة فاذا هو في الطواف يقول يا نفس سيحي
ابدا ولا تحبي احدا الا الجليل الصمدا فلما راني قال يا شيخ
انت بعد على ذلك الضعف وقال ابو مطيع لحاتم الاصم بلغني
انك تقطع المفاوز بالتوكل من غير زاد ولا راحلة قال حاتم زادي اربعة
اشياء قال ما هي قال ارى الدنيا والاخرة مملكة الله عز وجل
وارى الخلق كلهم عبيدا وعيالا لله عز وجل وارى الارزاق
والاسباب كلها بيد الله عز وجل وارى قضاء الله عز وجل
نافذا في جميع ارض الله سبحانه ولقد احسن من قال

ارى الزهاد في روح وراحة   قلوبهم عن الدنيا مزاحة
اذا ابصرتهم ابصرت قوما   ملوك الارض شيمتهم سماحة

واما الامر

واما الامر الثاني الذي اقتضى التوكل على الله عز وجل في هذا
الشان هو ما في تركه من الخطر العظيم والامر الكبير قلت
اليس الله عز وجل قرن الرزق بالخلق فقال تعالى خلقكم
ثم رزقكم فدل على ان الرزق من الله تعالى لا من غيره كالخلق
ثم لم يكتف عز وجل بالدلالة حتى وعد فقال عز من
قايل ان الله هو الرزاق ثم لم يكتف عز وجل بالوعد حتى
ضمن فقال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
ثم لم يكتف عز وجل بالضمان حتى اقسم جل من مقسم
فقال فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون
ثم لم يكتف عز وجل بذلك كله حتى امر بالتوكل وابلغ وانذر
فقال عز وجل وتوكل على الحي الذي لا يموت وقال سبحانه وعلى الله
فتوكلوا ان كنتم مومنين فمن لم يعتبر قوله جل جلاله ولم يكتف
بوعده ولم يطمئن الى ضمانه ولم يقنع بقسمه ثم لم يبال بامره
ووعده ووعيده فانظر ماذا يكون حاله وانتبه اي محنة تجي من
هذه وهذه والله مصيبة شديدة ونحن منها في غفلة عظيمة
ولقد قال الصادق الامين عليه السلم لابن عمر كيف انت اذا
بقيت بين قوم يخبون رزق سنتهم لضعف اليقين وعن الحسن
رحمه الله لعن الله اقواما اقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه

قالت الملائكة عند نزول هذه الاية فورب السماء والارض
انه لحق مثل ما انكم تنطقون هلكت بنوا ادم اغضبوا الرب
حتى اقسم لهم على ارزاقهم وعن اويس القرني انه قال لو عبدت
الله عز وجل عبادة اهل السموات والارض لما يقبل منك
حتى تصدقه قيل وكيف تصدقه قال تكون امنا بما تكفل الله
عز وجل في امور رزقك وترى جسدك فارغا لعبادته و
لقد قال له هرم بن حيان لاويس القرني اين تامرني ان اقيم
فاومى بيده الى الشام فقال هرم كيف المعيشة بها قال اف
لهذه القلوب لقد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة
وبلغني ان نباشا تاب على يد ابي يزيد البسطامي رحمه الله فساله
ابو يزيد عن حاله فقال نبشت الف قبر فلم ار وجوههم
الى القبلة الا رجلين فقال ابو يزيد مساكين اولئك قوم
تهمة الرزق حولت وجوههم عن القبلة وذكر رجل من بعض
اصحابنا انه راى رجلا من اهل الصلاح فساله عن حاله
فقال هل سلمت بايمانك فقال انما يسلم الايمان للمتوكلين
نسال الله عز وجل ان يصلحنا بفضله وان لا يواخذنا بما
نحن اهله انه ارحم الراحمين فهذه هذه فان قلت فاخبرنا
ما حقيقة التوكل وحكمه وما يلزم العبد منه من في امر

الرزق

٧

الرزق فاعلم انما يتبين لك هذا باربعة فصول بيان لفظة
التوكل وموضعه وحده وحكمه فاما اللفظة فانما هي
توكل من تفعل من الوكالة فالتوكل على احد هو ان يتخذ
بمنزلة فالمتوكل على احد هو الذي يتخذه بمنزلة الوكيل القايم
بامره الضامن لاصلاحه الكافي له من غير تكليف و
اهتمام فهذه جملته اما الموضع فاعلم ان التوكل اسم يطلق
في ثلاثة مواضع احدها في موضع القسمة وهو الثقة بالله
عز وجل بانه لا يفوتك ما قسم لك فان حكمه لا يتبدل
وهذا واجب بالسمع والثاني في موضع النصرة وهو الاعتماد
والوثاقة بنصر الله عز وجل لك اذا نصرته وجاهدت وقال
الله عز وجل فاذا عزمت فتوكل على الله وقال عز وجل ان
تنصروا الله ينصركم وقال تعالى وكان حقا علينا نصر المومنين
وهذا واجب بالوعد والثالث في موضع الرزق والحاجة
فان الله عز وجل تكفل بما يقيم بنيتك بخدمته وتتمكن به
من عبادته وذلك قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه
وقال الصادق الامين صلوات الله عليه واولاده لو توكلتم
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح
بطانا وهذا فرض لازم للعبد بدليل العقل والشرع جميعا

وهذا هو الاشهر الاغلب منا عنى التوكل في موضع الرزق
وهو المقصود من هذا الفصل فموضع التوكل اذا هو الرزق
المضمون فيما قال العلماء بالله عز وجل وانما يتضح بتبيان
اقسام الرزق فاعلم ان الرزق اربعة اقسام مضمون
ومقسوم ومملوك وموعود فالمضمون هو الغذاء وما به
قوام البنية دون ساير الاسباب فالضمان من الله عز
وجل لهذا النوع والتوكل يجب بازائه بدليل العقل و
الشرع لان الله عز وجل كلفنا خدمته وطاعته بابداننا
فضمن ما يسد خلل البنية لنقوم بما كلفنا وقال بعض مشايخ
الكرامية كلاما حسنا على اصله ان ضمان الله تعالى للارزاق
العباد واجب في حكمة الله تعالى لثلثة اشياء احدها انه سيد ونحن عبيده وعلى السيد
كما ان من العبد خدمة السيد والثاني انه خلقهم محتاجين
الى الرزق ولم يجعل لهم سبيلا الى طلبه اذ لا يدرون ما هو
رزقهم واين هو ومتى هو ليطلبوه بعينه من مكانه وفي وقته
ليصلوا اليه فوجب ان يكفيهم امر ذلك ويوصلهم اليه والثالث
انه كلفهم الخدمة وطلب الرزق شاغل عنها فوجب ان يكفيهم
المونة ليتفرغوا للخدمة وهذا كلام من لم يحط باسرار الربوبية
والقايل على الله تعالى ان الرزق عليه واجب تايه فانه من السنة

وقد اوضحنا في الكلام فساده فلنرجع الى المقصود من غرضنا
واما الرزق المقسوم فهو ما قسمه سبحانه وكتبه في اللوح
المحفوظ ما ياكله ويشربه ويلبسه كل واحد بمقدار مقدر ووقت
موقت لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتاخر عما كتب بعينه
قال النبي صلى الله عليه وآله الرزق مقسوم مفروغ ليس
تقوى تقي بزايده ولا فجور فاجر بناقصه واما المملوك فما يملكه
كل واحد من اموال الدنيا على حسب ما قدر الله تعالى وقسم له ان
يملكه وهو من رزق الله تعالى قال الله عز وجل انفقوا مما
رزقناكم اي مما ملكناكم واما الموعود فهو ما وعد الله
عز وجل المتقين من عباده بشرط التقوى حلالا من غير
كد قال الله عز وجل ومن يتق الله يجعل له مخرجا و
يرزقه من حيث لا يحتسب فهذه اقسام الرزق والتوكل انما
يجب بازاء المضمون منها فاعلم ذلك واما حد التوكل فقد قال
بعض اشياخنا انه اتكال القلب الى الله عز وجل بالانقطاع
اليه والاياس عما دونه وقال بعضهم حفظ القلب الى الله
تعالى بموضع المصلحة بترك تعليقه على شيء دونه وقال الشيخ
ابو عمرو رحمه الله التوكل ترك التعليق والتعليق ذكر قوام
بنيتك عن شيء دون الله تعالى قال شيخي الامام رحمه الله

التوكل والتعليق ذكران فالتوكل هو ذكر قوام بنيتك
من قبل الله عز وجل والتعليق ذكر قوامها عمن دون الله عز
وجل والاقاويل عندي ترجع الى اصل واحد وهو ان توطن
قلبك على ان قوام بنيتك وسد خلتك وكفايتك انما
هو من الله عز وجل لا باحد دون الله تعالى ولا بحطام من
الدنيا ولا بسبب من الاسباب ثم الله سبحانه ان شاء سبب
لك مخلوقا او حطاما وان شاء كفاه بقدرته دون الاسباب
والوسايط واذا ذكرت لك بقلبك وتوطنت عليه فانقطع
القلب عن المخلوقين والاسباب بمرة الى الله تعالى وحده فقد
حصل التوكل حقه فهذا حده واما حسن التوكل الباعث
فهو ذكر ضمان الله عز وجل وحسن حسنه ذكر جلال الله تعالى
وكماله في علمه وقدرته ونزاهته عن الخلف والسهو والعجز و
النقص فاذا واظب العبد على هذه الاذكار بعثته على التوكل
على الله عز وجل في امر الرزق فان قيل هل يلزم العبد طلب الرزق
بحال ما فاعلم ان الرزق المضمون الذي هو الغذاء والقوام
فلا يمكننا طلبه اذ هو شيء من فعل الله تعالى بالعبد كالحيوة و
الموت لا يقدر العبد على تحصيله ولا دفعه واما المقسوم
من الاسباب فلا يلزم العبد طلبه اذ لا حاجة للعبد الى ذلك

يمكنه

انما حاجته الى المضمون وهو من فضل الله عز وجل وفي ضمان
الله تعالى واما قوله تعالى وابتغوا من فضل الله المراد به العلم
والثواب وقيل بل هو رخصة اذ هو امر وارد بعد الحظر فيكون
بمعنى الاباحة لا بمعنى الايجاب والالزام فان قيل لهذا الرزق
المضمون اسباب هل يلزمنا طلب الاسباب قيل له لا يلزمك
ذلك اذ لا حاجة بالعبد اليه اذ الله عز وجل يفعل ما يريد بسبب
وبغير سبب فمن اين يلزمنا طلب السبب ثم ان الله عز وجل ضمن
لك ضمانا مطلقا من غير شرط الطلب والكسب قال الله عز
وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ثم كيف يصح ان
يامر العبد بطلب ما لا يعرف مكانه فيطلبه اذ لا يعرف اي سبب
منها رزقه الذي يتناوله لا غير والذي يصير سبب غذائه وتربيته
لا غير فالواحد منا لا يعرف ذلك السبب بعينه من اين يحصل له
فلا يصح تكليفه فتامل راشدا فانه بين ثم حسبك ان الانبياء
صلوات الله عليهم اجمعين والاولياء المتوكلين لم يطلبوا
رزقا في الاكثر والاعم وتجردوا للعبادة وبالاجماع انهم لم
يكونوا تاركين لامر الله تعالى ولا عاصين له في ذلك فتبين لك
ان طلب الرزق واسبابه ليس بامر لازم للعبد فان قلت هل
يزيد الرزق بالطلب او ينقص بترك الطلب فكلا فانه مكتوب

في اللوح المحفوظ مقدر موقت ولا تبديل لحكم الله تعالى
ولا تغيير لقسمته وكتابته هذا هو الصحيح عند علمائنا
خلاف ما ذهب اليه بعض اصحاب حاتم وشقيق قالوا ان
الرزق لا يزيد ولا ينقص بفعل العبد لكن المال يزيد بحق
وينقص وهذا فاسد لان الدليل في الموضعين واحد وهو
الكتابة والقسمة واليه الاشارة بقوله عز وجل لكيلا تاسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم ولو كان بالطلب يزيد
وبالترك ينقص لكان للاسى والفرح موضع اذ هو قصر
وتوانا حتى فاته وجد وشمر حتى حصله وقال النبي صلى الله عليه
واله هاك لو لم تاتها لاتتك فان قيل فالثواب والعقاب
للسائل م
ايضا مكتوب في اللوح المحفوظ ثم يلزمنا طلبه وترك موجب
العقاب بفعل يزيد بالطلب وينقص بالترك فاعلم ان طلب
الثواب انما وجب لان الله عز وجل امر به امر ايجابا واوعد على تركه
ولم يضمن الثواب على غير فعل منا وزيادة الثواب والعقاب
بفعل العبد فالفرق بينهما في نكتة وهي ما قاله بعض علمائنا
ان المكتوب في اللوح قسمان قسم هو مكتوب مطلقا من غير شرط
وتعليق بفعل العبد وهو الارزاق والاجال اما ترى كيف
ذكرهما الله تعالى مطلقا غير مشروط قال الله عز وجل

وما من دابة الا على الله رزقها وقال عز وجل اذا جاء
في الارض م
اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقال
صاحب الشرع صلى الله عليه واله اربعة فرغ الله تعالى منها
الخلق والخلق والرزق والاجل وقسم مكتوب بشرط معلق
مشروط بفعل العبد وهو الثواب والعقاب اما ترى
كيف ذكرهما الله تعالى في كتابه معلقا بفعل العبد قال
الله عز وجل ولو انهم امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم
ولادخلناهم جنات النعيم وهذا بين فاعلمه فان قيل
نحن نجد الطالبين يجدون الارزاق والاموال والتاركين
يعدمون ويفتقرون قيل له كانك لا تجد مع ذلك طالبا
محروما فقيرا او فارغا مرزوقا غنيا بلى ان هذا هو الاكثر
لتعلم ان هذا هو ذلك تقدير العزيز العليم وتدبير الملك
الحكيم وانشدني ابو بكر محمد بن سابق الواعظ الصيقلي
بالشام فكم قويٍّ قويٍّ في تقلّبه مهذَّبِ الراي عنه الرزق منحرفُ
وكم ضعيفٍ ضعيفٍ في تقلّبه كانه من خليج البحر يَغترفُ
هذا دليل على ان الاله له في الخلق سرٌّ خفيٌّ ليس ينكشفُ فان
قيل هل ترحل البادية بلا زاد فاعلم انه ان كان لك
قوة القلب بالله عز وجل والثقة البالغة بوعد الله تعالى

فادخل والا فكن كالعوام بعلا يفتهم ولقد سمعت الامام
ابى المعالى رحمه الله يقول ان من جرى مع الله عز وجل
على عادة الناس جرى الله معه على ما هو عادة الناس
فى كفايته المونة وهذا كلام حسن جدا وفيه فوايد جمة و
لمن تاملها فان قلت اليس الله عز وجل يقول وتزودوا
فان خير الزاد التقوى فاعلم ان فيه قولين احدهما انه زاد
الاخرة ولذلك قال عز وجل خير الزاد التقوى ولم
يقل حطام الدنيا واسبابها والثانى انه كان قوم لا ياخذون
زادا فى طريق الحج لانفسهم اتكالا على الناس يسئلون و
يلحون ويوذون الناس فامروا بالزاد امر تنبيه على ان
اخذ الزاد من ماله خير من مال الناس والاتكال عليهم وكذلك
نقول فان قلت فالمتوكل هل يحمل الزاد معه فى الاسفار فاعلم
انه ربما يحمل الزاد معه ولا يعلق القلب به انه لا محاله رزقه
وفيه قوامه وانما يعلق القلب بالله عز وجل ويتوكل عليه
ويقول انما الرزق مقسوم مفروغ منه والله عز وجل
ان شاء اقام بنيتى بهذا او بغيره وربما يحمل بنية اخرى
لان يعين مسلما او نحو ذلك وليس الشان فى اخذ الزاد
وتركه انما الشان فى القلب لا تعلق قلبك الا بوعد الله

تعالى وحسن ضمانه وكفايته فكم حامل للزاد وقلبه مع
الله عز وجل دون الزاد وكم من تارك للزاد وقلبه
مع الزاد دون الله عز وجل فالشان اذن فى القلب فافهم
هذه الاصول تكف المونة ان شاء الله تعالى فان قيل فالنبى
صلى الله عليه واله كان يحمل الزاد وكذلك الصحابة والسلف
الصالح يقال له ولا جرم ان ذلك مباح غير حرام فانما
الحرام تعليق القلب بالزاد وترك التوكل على الله تعالى فافهم
ذلك ثم ما ظنك برسول الله صلى الله عليه واله حيث قال الله
تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت اعصاه فى ذلك وعلق
قلبه بطعام او شراب او درهم او دينار حاشا وكلا ان
يكون ذلك ابدا بل كان قلبه مع الله عز وجل وتوكله على الله
سبحانه فانه الذى لا يلتفت الى الدنيا باسرها ولم يمد يده
الى مفاتيح خزاين الارض كلها وانما كان اخذ الزاد من
السلف الصالح لنيات الخير لا لميل قلوبهم عن الله عز وجل
الى الزاد والمعتبر القصد على ما اعلمناك فاعتبر من وقتك
فان قلت ايهما افضل اخذ الزاد او تركه فاعلم ان هذا يختلف
باختلاف الاحوال ان كان مقيما به تريد ان بين ان اخذ
الزاد مباح وان ينوى به عون مسلم او اعانة ملهوف ونحو

ذلك فالاخذ افضل وان كان منعزدا اقوى القلب بالله تعالى
يشغله الزاد عن عبادة الله تعالى فالترك افضل نتفهم هذه
الجملة واحتفظ بها راشدا وبالله التوفيق العارض الثاني
الاخطار وارادتها وارتكابها وقصدها وانما كفايتها
بالتفويض فعليك بتفويض الامر كله الى الله عز وجل وذلك
لامرين احدهما الطمانينة في القلب في الحال فان الامور
اذا كانت خطيرة مبهمة لا يدري صلاحها من فسادها فتكون
مضطرب القلب قايم النفس لا تدري تقع في صلاح او فساد
فاذا فوضت الامر الى الله عز وجل علمت انك لا تقع الا في صلاح
وخير فتكون امنا من الخطر مطمئن القلب في الحال فهذه الطمانينة
والامن والراحة في القلب غنيمة عظيمة وكان شيخنا يقول
في مجالسه كثيرا دع التدبير على من خلقك تستريح والثاني
من الامرين حصول الصلاح والخير في الاستقبال وذلك
ان الامور بالعواقب مبهمة فكم من شر في صورة خير وكم من
خير في حلية نفع وكم من سم في هيئة شهد وانت الجاهل
بالعواقب والاسرار فاذا اردت الامور قطعا واخذت
فيها باختيارك متحكما فما اسرع ما تقع في هلاك ولا تشعر
ولقد حكى عن بعض العباد انه كان يسال الله تعالى ان يريه

ابليس

ابليس فقيل له سل الله عز وجل العافية فابى الا ذلك
فاظهره الله عز وجل فلما راه العابد قصده بالضرب فقال
له ابليس لولا انك تعيش مائة سنة لعاقبتك واهلكتك
فاغتر بقوله في نفسه وقال ان عمري بعيد فافعل ما اريد
ثم اتوب فوقع في الفسق وترك العبادة فهلك وفي هذا
ما ينبهك على ترك الحكم في ارادتك واللحاح في مطلوبك
ويحذرك طول الامل ايضا فانه الافة العظيمة ولقد صدق
القايل واياك المطامع والاماني فكم امنية جلبت منية
واما اذا فوضت الامر الى الله عز وجل وسالته ان يختار لك
ما هو صلاح لك لم تلق الا الخير والسداد ولا يقع الا على
الصلاح قال عز وجل حكاية عن العبد الصالح و
افوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله
سيات ما مكروا اما ترى كيف اعقب تفويضه الوقاية من
الاسواء والنصر على الاعداء وبلوغ المراد فتامل موفقا فان
قلت بين لنا معنى التفويض وحكمه فاعلم ان ههنا فصلين
بهما يتضح الكلام احدهما موضع التفويض والثاني معناه
وحده وضده اما موضعه فاعلم ان الارادات ثلثة مراد
تعلم يقينا انه فساد وشر لا شك فيه البتة كالنار والعذاب

تحقيق معنى التفويض

وفى الافعال كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل الى
ارادة ذلك والثانى مراد نعلم قطعا انه صلاح كالجنة
والايمان والسنة ونحو ذلك فلك ارادتها بالحكم لا موضع
للتفويض فيه اذ لا خطر فيه ولا شك انه خير وصلاح والثالث
مراد لا نعلم يقينا ان لك فيه صلاحا ام فسادا وذلك نحو
النوافل والمباحات فهو موضع التفويض وليس لك ان
تريدها قطعا بل بالاستثناء وبشرط الخير والصلاح
ان التعليق بالمشية الله
فان قيدت ارادتك بالاستثناء فهو التفويض وان اردت
دون الاستثناء فهو طمع مذموم منهى عنه موضع التفويض
اذا كل مراد فيه الخطر وهو ان لا يستيقن صلاحك فيه و
اما معنى التفويض فقد قال شيخنا هو ترك اختيار ما فيه
مخاطرة الى المختار المدبر العالم بمصلحة الخلق وعبارة الشيخ
ابى محمد السجزى هو ترك اختيارك المخاطرة الى المختار لك
لك ما هو خير لك وقال الشيخ ابو عمر هو ترك الطمع والطمع
ارادة الشى المخاطر بالحكم فهذه عبارات المشايخ والذى
نقوله ان التفويض ارادة ان يحفظ الله عز وجل عليك
مصالحك فيما لا تامن فيه الخطر وضد التفويض الطمع والطمع
فى الجملة يجرى على وجهين احدهما فى معنى الرجاء تريد شيئا لا

خط

خطر فيه او مخاطرة بالاستثناء وذلك ممدوح غير مذموم
كما قال الله تعالى والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين
انا نطمع ان يغفر لنا خطايانا وهذا القسم ليس مما نحن
فيه بسبيل ههنا والثانى الطمع المذموم قال النبى صلى الله
عليه واله اياكم والطمع فانه فقر حاضر وقيل هلاك الدين
وفساده الطمع وملاكه الورع قال شيخنا الطمع المذموم
شيأن سكون القلب الى منفعة مشكوكة والثانى ارادة الشى
المخاطر بالحكم وهذه الارادة يقابل التفويض لا غير فاعلم
ذلك واما حض التفويض فهو ذكر خطر الامور وامكان
الهلاك والفساد فيها وحض حضه ذكر عجزك عن
الاعتصام عن ضروب الخطر والامتناع عن الوقوع فيها بجهلك
وغفلتك وضعفك فالمواظبة على هذين الذكرين يحملك
تفويض الامور كلها الى الله عز وجل والحفظ عن الحكم فيها
والامتناع عن ارادتها الا بشرط الخير والصلاح فهذه
هذه وبالله التوفيق فان قيل فما هذا الخطر الذى توجبون
التفويض لاجله فى الامور فاعلم ان الخطر فى الجملة خطران
خطر الشك بانه يكون اولا يكون وانك تصل اليه او لا تصل و
هذا يحتاج الى الاستثناء ويقع فى باب النية والامل و

الطمع المذموم

الثاني خطر الفساد لان لا يستيقن فيه الصلاح بنفسك
وهذا الذي يحتاج فيه الى التفويض ثم اختلف عبارات
الايمة في الخطر فعن بعضهم ان الخطر في الفعل ان يكون دونه
نجاة ويمكن ان يجامعه ذنب كالايمان والسنة والاستقامة
لا خطر فيها اذ لا يمكن دون الايمان والسنة نجاة والاستقامة
لا يجامعها ذنب فاذن يصح ارادة الاستقامة والايمان
بالحكم وقال الاستاد الخطر في الفعل ما يمكن ان يعترض
فيه ما يكون الاشتغال بالعارض اولى من الاقدام على ذلك الفعل
وذلك يقع في المباحات والسنن والفرايض الا ترى ان من
تضيق عليه وقت الصلوة وقصد اداها حريق او غريق يمكنه
انقاذه فالاشتغال بانقاذه اولى من الاقبال على صلوته فلا
يصح اذن ارادة المباحات والنوافل واكثر من الفرايض
بالحكم فان قيل كيف يصح ان يفترض الله عز وجل على عبده شيئا
ويتوعده على تركه ثم لا يكون له صلاح في فعله فاعلم ان
شيخنا قال ان الله تعالى لا يامر العبد بشي الا وفيه صلاحه
اذا تجرد عن العوارض ولا يضيق عليه فعلا فرضا بحيث لا معدل
له عن ذلك الا وله فيه صلاح وانه ربما يسبب الله عز وجل
له عذرا لاجله يكون العدول عن احد المامورين او في زمن

الاشتغال بالاخر كما ذكرنا فيكون العبد في ذلك [illegible]
بل ماجورا الا يترك هنا الفرض بل يفعل الفرض الذي هو
اولى ولقد سمعت الامام في هذه المسئلة يقول ان الذي
افترض الله عز وجل على عباده من الصلوة والصوم والحج
ونحوه ففيها صلاح لا محالة للعبد وصحة ارادتها بالحكم
فاتفق راينا على ذلك ففي المباحات والنوافل اذن
في هذا الحكم فاعلم ذلك فانه من غوامض هذا الباب
وبالله التوفيق فان قيل هل باين المفوض الهلاك و
الفساد والدار دار محنة فاعلم ان في الاغلب لا يفعل
بالمفوض الا الصلاح وقد يفعل به في النادر غير الصلاح
وذلك بما يخذله الله عز وجل فيقع عن منزلة التفويض
والاصلاح للعبد في الخذلان والوقوع عن منزلة التفويض
وبه قال شيخنا ابو عمر وقيل لا يفعل بالمفوض الا ما
فيه صلاحه فيما فوض الى الله سبحانه والخذلان والتقصير
عن منزلة التفويض مما لا يقع فيه التفويض اذ لا شك
في فساد ذلك والتفويض انما يقع فيما شك في فساده
وصلاحه وهذا اولى القولين عند شيخنا اذ لولا ذلك
لما قويت الباعثة على التفويض فان قيل هل يجب ان يفعل

بالمفوض ماهو الافضل فاعلم ان الايجاب يستحيل في حق الله
ولا يجب لعباده عليه شي وقد يفعل بالعبد الاصلح دون
الافضل حكمة من فعله الا ترى انه قدر على النبي صلى الله عليه
واله وعلى اصحابه ان ناموا طول الليل حتى فاتتهم صلاة
الليل وصلاة الفجر والصلوة افضل من النوم وربما يقدر
للعبد الغنى والنعمة وان كان الفقر افضل ويقدر له
الاشتغال بالازواج والاولاد وان كان التجرد للعبادة
افضل فانه بعباده خبير بصير وهذا كما ان الطبيب الحاذق
الناصح يختار للمريض ماء الشعير وان كان ماء السكر افضل
وانفس لما علم ان صلاحه في ماء الشعير والمقصود للعبد
النجاة من الهلاك لا الفضل والشرف مع الفساد والهلاك
فان قيل فهل يكون المفوض مختارا فاعلم ان الصحيح عند
علمائنا انه يكون مختارا ولا يقدح في تفويضه وذلك
ان المعنى فيه اذا كان صلاحه في المفضول والافضل وهو
يريد من الله عز وجل ان يسبب له الافضل كما ان المريض
يقول للطبيب اجعل دوائي ماء السكر دون ماء الشعير اذا كان
لي صلاح في كليهما ليحصل له الفضل والصلاح جميعا وكذلك
العبد اذا سال الله عز وجل ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل

لعباده

في بعض الاسفار

ويسبب له ذلك ليجمع له الفضل والصلاح جميعا ولكن
بشرط انه ان اختار الله تعالى الصلاح في غير الافضل ان
يكون بذلك راضيا فان قيل فلم كان للعبد ان يختار الافضل
وليس له ان يختار الاصلح فاعلم ان الفرق بينهما ان
العبد لا يعرف الصلاح من الفساد لديه في الحكم ثم معنى
اختياره الافضل ان يريد من الله عز وجل ان يجعل صلاحه
فيما هو الافضل ويختار له ذلك ويقدره لا ان للعبد
تحكما في شيء من ذلك فاعلمه فهذه جملة من دقيق هذا
العلم واسراره ولولا ان الحاجة مست اليه لما تعرضنا
لايراده لانه تلاطم بحار المكاشفة مع اني اقتصرت على النكت
المقنعة في هذا الكتاب وقصدت الايضاح لينتفع به
فحول العلماء والمبتدئون ان شاء الله والله تعالى ولي
التوفيق **العارض الثالث القضاء ووروده انواعه** وانما كفايته في
الرضاء به فعليك ان ترضى بقضاء الله عز وجل وذلك
لامرين احدهما للتفرغ للعبادة لانك اذا لم ترض
بالقضاء فتكون مهموما مشغول القلب ابدا بانه لم كان
كذا ولماذا لا يكون كذا فاذا اشتغل القلب بشيء من هذه
الهموم فكيف يتفرغ للعبادة اذ ليس لك الا قلب واحد

الافضل من المفضول ولا يعرفه

قض

وقد ملاته من الهموم وما كان من امر الدنيا فاى موضع بقى
فيه لذكر الله عز وجل ولذكر العبادة وفكر الاخرة ولقد
صدق شقيق رحمه الله حيث قال ان حسرة الامور الماضية
وتدبير الاتية قد ذهبت ببركة ساعتك هذه والثانى
من الامرين خطر ما فى السخط من غضب الله تعالى ولقد
روينا فى الاخبار ان نبيا من الانبيا شكا بعض ما ناله من
المكروه الى الله عز وجل فاوحى الله تع اليه تشكونى ولست
باهل ذم ولا شكوى كذا بدو شانك فى علم الغيب فلم تسخط
قضاى عليك اتريد ان اغير الدنيا لاجلك وابدل اللوح
المحفوظ بسببك فاقضى ما تريد دون ما اريد ويكون
ما تحب دون ما احب فبعزتى حلفت لان تلجلج هذا فى
صدرك مرة اخرى لاسلبنك ثوب النبوة ولاوردنك
النار ولا ابالى قلت فليستمع العاقل هذه السياسة العظيمة
والوعيد الهايل مع انبيائه واصفيائه فكيف مع غيرهم ثم
استمع ما يقول لان تلجلج هذا فى صدرك مرة اخرى فهذا
فى حديث النفس وتردد القلب فكيف بمن يصيح ويستغيث
ويشكو وينادى بالويل والصراخ من ربه الكريم المحسن على
روس الملا ويتخذ له اعوانا واصحابا وهذا لمن سخط مرة

فكيف

فكيف بمن هو فى سخط على الله عز وجل جميع عمره وهذا لمن
شكا اليه فكيف بمن شكا الى غيره نعوذ بالله من شرور انفسنا
وسيات اعمالنا ونسأله ان يعفو عنا ويغفر ذنوبنا
وسوء ادبنا ويصلحنا بحسن نظره انه ارحم الراحمين
فان قيل فما معنى الرضا بالقضاء وحقيقة ذلك وحكمه
فاعلم ان علمائنا قالوا ان الرضا ترك السخط والسخط ذكر
غير ما قضى الله تعالى بانه اولى به واصلح له فيما لا يستيقن
فساده وصلاحه هذا شرط فيه فاعلم ذلك فان قلت
اليس الشرور والمعاصى بقضاء الله عز وجل وقدره فكيف
يرضى العبد الشر ويلزمه ذلك فاعلم ان الرضا انما يلزم
بالقضاء وقضاء الشر ليس بشر وانما الشر هو المقضى
فلا يكون رضا بالشر وقد قال شيوخنا ان المقضيات اربعة
نعمة وشدة وخير وشر فالنعمة يجب الرضا فيها بالقضاء و
القاضى والمقضى ويجب عليها الشكر من حيث انه نعمة والشدة
يجب الرضا فيها بالقاضى والقضاء والمقضى ويجب عليه ذكر
المنة من حيث انه خير وفقه له والشر يجب الرضاء فيه بالقاضى
والقضاء والمقضى من حيث انه مقضى لا من حيث انه شر
وكونه مقضيا يرجع الى القضاء والقاضى بالحقيقة وهذا كما

[Margin: اربعة م]

[Margin: الصبر من حيث انه شر والخير يجب الرضا فيه بالقاضى والقضاء والمقضى ويجب عليه م]

انك ترضى مذهب المخالف ان يكون معلوما لك لا ان يكون
مذهبا لك ثم كونه معلوما يرجع الى العلم والرضا والمحبة انما
يكون بالحقيقة للعلم بمذهب المخالف لا المذهب فكذلك هذا
فان قيل فالراضي هل يكون مستزيدا قيل نعم بشرط الخير و
الصلاح دون الحكم فلا يخرجه ذلك عن الرضا بل يدل على انه راضٍ
هو اولى لان من اعجب بشي ورضي ذلك استزاد منه وكان
النبي صلى الله عليه وآله اذا احضر اللبن يقول اللهم بارك
لنا فيه وزدنا منه وفي غيره وزدنا خيرا منه وفي موضع من
الموضعين لم يدل على انه غير راض بما قدر الله تعالى له في ذلك
فان قلت فلم يذكر عن النبي صلى الله عليه وآله الاستثناء
وشرط الخير والصلاح فاعلم ان هذه الامور انما يكون
بالقلب وانما يقال باللسان عبارة عن ذلك فلا معتبر
بترك عبارته مع حصوله بالقلب فاعلم ذلك العارض الرابع
الشدايد والمصايب وانما كفايتها بالصبر في المواطن وانما
ذلك لامرين احدهما الوصول الى العبادة وحصول المقصود
منها فان امر العبادة مبنى كله على الصبر واحتمال المشاق
فمن لم يكن صبورا لم يصل الى شي منها بالحقيقة وذلك
ان من قصد عبادة الله تعالى وتجردها استقبلته شدايد

ومحن

الشدايد والمصايب

ومحن ومصايب من وجوه احدها انه لا عبادة الا في نفسها
مشقة ولذلك اكد الترغيب فيه ووعد الثواب عليه اذ لا
تتاتى فعل العبادة الا بقمع النفس اذ هي زاجرة عن الخير
ومخالفة الهوى وقهر النفس من اشد الامور على الانسان
وثانيها ان العبد اذا فعل الخير مع المشقة لزمه الاحتياط له
حتى لا تفسد عليه والابقاء على العمل اشد من العمل وثالثها
ان الدار دار محنة فمن كان فيها لا بد له من الابتلاء بشدايدها
ومصايبها وذلك اقسام المصيبة في الاهل والقرابات والاخوان
والاصحاب بالموت والفقر والفراق وفي النفس بانواع
الامراض والاوجاع وفي العرض بقتال الناس اياه والطعن
فيه والازدراء به والغيبة له والكذب عليه وفي المال
بالذهاب والزوال ولكل واحدة من هذه المصايب لذعة
وحرقة من نوع اخر فيحتاج الى الصبر عليها كلها والا فيمنعه
الجزع والتلهف من التفرغ للعبادة ورابعها ان
طالب الاخرة اشد ابتلاء واكثر محنة ابدا ومن كان الى الله
عز وجل اقرب فالمصايب له في الدنيا اكثر والبلاء عليه اشد
اما تسمع قوله صلى الله عليه وآله اشد الناس بلاء الانبياء ثم
الشهداء ثم الامثل فالامثل فاذن من قصد الخير وتجرد لطريق

الاخرة استقبلته هذه المحن فان لم يصبر عليها ولا يكون بحيث
لا يلتفت اليها انقطع عن الطريق واشتغل عن العبادة فلا يصل
الى شيء من ذلك ولقد اعلمنا الله عز وجل بالتقاء المحن والمصائب
وابتلائنا بها وحقق ذلك واكده فقال تعالى لتبلون في اموالكم
وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن
الذين اشركوا اذى كثيرا قال وان تصبروا وتتقوا فان ذلك
ذلك من عزم الامور فكانه يقول وطنوا انفسكم على انه لابد
من انواع البلايا وان تصبروا فانتم الرجال وعزايمكم عزايم
الرجال فاذن من عزم على عبادة الله عز وجل يجب اولا ان
يعزم على الصبر الطويل ويوطن نفسه على احتمال المشاق
العظيمة المتوالية الى الموت والا فقد قصد الامر بغير آلته واتاه
من غير وجهه ولقد ذكر عن الفضيل رحمه الله انه قال من عزم
على قطع طريق الاخرة فليجعل في نفسه اربعة الوان من الموت
الابيض والاحمر والاسود والاخضر فالموت الابيض الجوع والاسود
ذم الناس والاحمر مخالفة الشيطان والاخضر الوقايع
بعضها على بعض والثاني من الامرين ما في الصبر من خير الدنيا
والاخرة من ذلك النجاة والنجاح قوله تعالى ومن يتق الله يجعل
له مخرجا من الشدايد معناه من يتق الله تعالى بالصبر يجعل له

مخرجا

مخرجا من الشدايد ومنها الظفر على الاعداء قال الله عز
جل وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقيل
كتب يوسف في جواب يعقوب عليهما السلم ان اباك صبروا
فظفروا فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا وقيل في هذا المعنى
لا تياسن وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا
ومنها التقدم على الناس والامامة قال الله عز وجل
جعلناهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا ومنها الثناء من الله
تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد ومنها البشارة والصلوة
والرحمة قال الله عز وجل وبشر الصابرين الى قوله تعالى اولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة الاية ومنها المحبة من الله تعالى
ان الله يحب الصابرين ومنها الدرجات العلى في الجنة قال
الله تعالى اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ومنها الكرامة
العظيمة قوله تعالى سلام عليكم بما صبرتم ومنها ثواب بلا غاية
ولا نهاية خارج عن اوهام الخلق واعدادهم قوله تعالى
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فسبحانه من سيد ماجد
ما اكرمه كل هذه الكرامات في الدنيا والاخرة يعطي عبده
على صبر ساعة فبان لك ان خير الدنيا والاخرة في الصبر قال

صلى الله عليه وآله ما اعطى احد عطاء خيرا واوسع من الصبر وعن
عمر جميع خير المومنين في صبر ساعة واحدة ولقد احسن القائل
الصبر مفتاح ما يرجى وكل خير به يكون اصبر وان طالت الليالي
فربما امكن الحرون وربما نيل باصطبار ما قيل هيهات لا يكون
صبرت فكان الصبر مني سجية وحسبك ان الله اثنى على الصبر
فعليك باعتصام هذه الخصلة الشريفة وبذل المجهود فيها
تكن من الفايزين والله ولي التوفيق فان قلت ما حقيقة الصبر
اللغة
وحكمه فاعلم ان لفظة الصبر من طريق اللغة الحبس قال الله عز وجل
واصبر نفسك اي احبس وانما يوصف الله تعالى بالصبر
على معنى حبسه العذاب عن المجرمين فلا يعجلهم به ثم المعنى الذي
هو من مساعي القلب سمي صبرا لانه حبس النفس عن الجزع والجزع
فيما قاله العلماء ذكر اضطرابك في الشدة وقيل بل ارادة
الخروج عن الشدة بالحكم والصبر تركه وحسن الصبر ذكر مقدار
الشدة ووقتها وانها لا تزيد ولا تنقص ولا تتقدم ولا تتأخر
ولا فايدة في الجزع بل فيه الضرر والخطر وحسن هذا الحسن
ذكر حسن عوض الله تعالى عليه وكريم الذخر لديه فهذه هذه
وبالله تعالى التوفيق فصل فعليك بقطع هذه العقبة
الشديدة المنيعة بدفع هذه العوارض الاربعة واراحة عليها

واذ

والا فلا تدعك تذكر مقصودك من العبادة ولا تتفكر فيها
فضلا عن ان تذكرها وتحصلها فان لكل واحد منها شغلا شاغلا
عاجلا واجلا ثم اعظمها واعضلها امر هذا الرزق وتدبيره
فان البلية الكبرى لعامة الخلق اتعبت نفوسهم وشغلت قلوبهم
واكثرت غمومهم وعظمت تبعاتهم واوزارهم وضيعت اعمارهم
وعدلت بهم عن باب الله تعالى وخدمته الى خدمة الدنيا وخدمة
المخلوقين فعاشوا في الدنيا في غفلة وظلمة وتعب ونصب و
مهانة وذل وقدموا الاخرة مفاليس بين ايديهم الحساب والعذاب
ان لم يرحم الله عز وجل بفضله وانظر كم آية في ذلك انزل الله
تعالى وكم ذكر من وعده وضمانه وقسمه على ذلك وكم نزل
الانبياء والعلماء يعظون الناس ويبينون لهم الطريق ويصنفون
يصنفون
لهم الكتب ويضربون لهم الامثال ويخوفونهم بالله عز وجل
وهم مع ذلك لا يهتدون ولا يثقون ولا يطمئنون بل هم في
غمرة من ذلك لا يزالون يخافون ان يفوتهم غداء وعشاء
واصل ذلك كله قلة التدبر لآيات الله تعالى وقلة التفكر في
صنايع الله تعالى وترك التذكر لكلام رسول الله صلى الله عليه
وسلم وترك التامل لاحوال الصالحين مع الاسترسال لوساوس
الشيطان والاصغاء الى كلام الجاهلين والاغترار بعادات

الغافلين حتى تمكن الشيطان منهم ورسخت العادات في
قلوبهم فادى لهم ذلك الى ضعف القلب ورقة اليقين واما
الاخيار الذين هم اولوا البصاير وارباب الجد والاجتهاد
ابصروا طريق السماء فلم يغتروا باسباب الارض واعتصموا
بحبل الله تعالى فلم يكترثوا بعلايق الخلق وتيقنوا بآيات الله
تعالى وابصروا طريقه فلم يلتفتوا الى وساوس الشيطان والخلق
والنفس فاذا وسوس لهم شيطان او نفس او انسان بشيء قاموا
بالمناقشة والمدافعة والمخالفة حتى ولى عنهم الخلق وانعزل
عنهم الشيطان وانقادت لهم النفس واستقامت لهم الطريق
المستقيم على ما ذكر عن ابراهيم ادهم رحمه الله انه لما اراد ان
يدخل البادية اتاه الشيطان فخوفه بان هذه بادية مهلكة
لا زاد معك ولا سبب فعزم على نفسه رحمه الله ان يقطع البادية
على تجرده ذلك وان لا يقطعها حتى يصلي تحت كل ميل من
اميالها الف ركعة وقام بما عزم عليه وبقي في البادية اثنى
عشر سنة حتى ان الرشيد حج في بعض السنين فرآه تحت ميل
يصلي فقيل له هذا ابراهيم بن ادهم فاتاه فقال كيف
تجدك يا ابا اسحق فانشا ابراهيم بن ادهم يقول
نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ◦ فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع ◦

فطوبى لعبد اثر الله ربه ◦ وجاد بدنياه لما يتوقع ◦
وعن بعض الصالحين رحمه الله انه كان في بعض البوادي
فوسوس اليه الشيطان بانك متجرد وهذه بادية مهلكة
لا عمران فيها ولا ناس فعزم على نفسه ان يمضي على تجرده و
ان يترك الطريق حتى لا يقع باحد من الناس وان لا ياكل شيئا
حتى يقع في فيه العسل والسمن ثم عدل عن الشارع ومر
على وجهه قال رحمه الله فسرت ما شاء الله عز وجل فاذا
بقافلة قد اضلت الطريق وهم يسيرون فلما ابصرتهم رميت
بنفسي الى الارض لعلهم لا يبصروني فيسرهم الله تعالى حتى وقفوا
علي فغمضت عيني فدنوا مني وقالوا هذا منقطع اغشي عليه من الجوع
والعطش فهاتوا سمنا وعسلا نجعله في فيه لعله يفيق فاتوا
بسمن وعسل فسددت فمي واسناني فاتوا بسكين يعالجون
فمي حتى يفتحوه فضحكت وفتحت فاي فلما راوا ذلك قالوا مجنون
انت قلت لا والحمد لله واخبرتهم ببعض ما جرى لي مع الشيطان
وعن بعض مشايخنا قال نزلت في بعض اسفاري ايام التعليم
مسجدا وكنت متجردا على عادة اوايلنا فوسوس لي الشيطان
بان هنا مسجد بعيد من الناس لو صرت الى مسجد بين الناس
لا دراك اهله وقاموا بكفايتك فقلت لا ابيت الا ههنا

وعلى عهد الله عز وجل ان لا اكل شيا الا الحلو ولا اكله الا

حتى يوضع فى فمى لقمة لقمة وصليت عشاء الاخرة واغلقت على

الباب فما مضى صدر من الليل حتى اتانى انسان يدق الباب

ومعه سراج فلما اكثر الدق فتحت الباب واذا بعجوز قد دخلت

فوضعت بين يدى طبقا من الخبيص وقالت هذا الشاب ولدى

ومعها ابن

صنعت له هذا الخبيص وجرى بينى كلام فحلف الا ياكل

حتى ياكل معه رجل غريبا وقالت هذا الغريب الذى فى المسجد

فكل رحمك الله تعالى واخذت تضع فى فمى لقمة وفى فى ولدها

لقمة فهذه وامثالها من مجاهدات الصالحين ومناقضاتهم

للشيطان فان لك فى ذلك فوايد ثلث احدها ان تعلم ان

الرزق لا يفوت من قدر له بحال والثانية ان تعلم ان امر الورع

والتوكل لمهم جدا وان للشيطان فيه غوايل ووساوس

عظيمة حتى ان مثل اولئك الايمة الزهاد لم يتخلصوا من ذلك

ولم ييأس عنهم الشيطان بعد تلك الرياضات وكثرة

المجاهدات التى سبقت لهم حتى يحتاجوا الى دفعه بهذه المناقضات

ولعمرى ان من جاهد النفس والشيطان سبعين سنة لا

يأمن ان يوسوس له كما يوسوس للمبتدى فى العبادة بل

لغافل لم يجتهد ساعة فى الرياضة ولو ظفر به لفضحه و

اهلكه

واهلكاه هلاك الغافلين المغترين وفى ذلك عبرة لاولى

الابصار والثالثة ان تعلم ان الامر لا يتم الا بالجد المحض والمجاهدة

البالغة فانهم كانوا الحما ودما وبدنا وروحا مثلك

بل كانوا اخف ابدانا واضعف اركانا وادق عظاما منك

بل كانت لهم قوة العلم ونور اليقين وهمة امر الدين حتى

قووا على تلك المجاهدات والقيام بحق تلك المقامات

فانظر لنفسك رحمنا الله واياك وداوها من هذا الداء

المعضل لعلك تفلح انشاء الله تعالى فصل ثم اعلم

بعد هذه الجملة انى محرر لك نكتا وحدها بحيث تنكت فى

القلب اذا تذكرتها تكفيك مونة هذا الباب وتدلك على واضحة الحق

الموفق الاولى

اذا سلكت وعلمتها والله ان تعلم ان الله تعالى قد ضمن رزقك فى كتابه

وتكفل لك به وما تقول لو وعدك ملك من ملوك الدنيا

ان يضيفك ليلة او يعشيك وانت حسن الظن به انه صادق

لا يكذب ولا يخلف الوعد بل لو وعدك سوقى او يهودى او

نصرانى او مجوسى مستور عندك بظاهره عفيف فى معاملته

الست تثق بوعده وتطمئن الى قوله ولا تهتم بعشائك تلك

الليلة اتكالا عليه فما لك قد وعدك الله تعالى وضمن

لك رزقك وتكفل بل اقسم عليه فى غير موضع وانت لا تطمئن

بوعده ولا تسكن الى قوله وضمانه ولا تنظر الى قسمه بل تضطرب

قلبك وتهتم فيالها من مصيبة لو رايت ويالها من فضيحة

لو علمت وعن امير المومنين وامام المتقين اسد الله الغالب

علي بن ابي طالب عليه السلم اتطلب رزق الله من عند غيره

وتصبح من خوف العواقب آمنا وترضى بصراف وان كان مشركا

ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا ولهذا المعنى يجر هذا الامر الى

الشك والشبهة ويخاف على صاحبه والعياذ بالله عز وجل

سلب المعرفة والدين ولهذا قال الله سبحانه وعلى الله

فتوكلوا ان كنتم مومنين وعلى الله فليتوكل المومنون

فحسب المومن المهتم لامر دينه هذه النكتة الواحدة ولا حول

ولا قوة الا بالله العلي العظيم والثانية ان تعلم ان الرزق

مقسوم صح ذلك من كتاب الله تعالى واخبار رسول الله

صلى الله عليه وسلم وتعلم ان قسمته لا يتغير ولا يتبدل وان

انكرت القسمة او جوزت نقصها فذلك باب الكفر تقرعه

نعوذ بالله تعالى وان علمت انه حق لا يتغير فاي فايدة في

الاهتمام والطلب الا الذل والهوان في الدنيا والشدة و

الحسران في الاخرة ولذلك قال صلى الله عليه وآله مكتوب

على ظهر الحب والنوى رزق فلان بن فلان فلا يزداد الحريص

الا

قال بعض العارفين نعت الغضب السكون عند العدم والبذل عند الوجود شكر عند وجود البلاء

٨٥

الاجهدا وفي ذلك يقول شيخنا رحمه الله ان ما قدر لماضغيك

ان يمضغاه لا يمضغه غيرك فكل ويحك رزقك بالعز ولا تاكل

بالذل وهذه نكتة مقنعة للرجال والثالثة ما سمعت شيخي

الامام يحكي عن الاستاذ انه كان يقول ان مما نفعني في امر

الرزق اني تذكرت وقلت لنفسي اليس هذا الرزق للحياة و

العيش والميت ما يصنع بالرزق واذا كان حياة العبد

في خزانة الله تعالى وبيده ان شاء يعطيني وان شاء يمنعني

وهو غيب عني موكل الى الله تعالى يدبره كيف يشاء فانا ساكن

النفس بذلك وهذه نكتة لطيفة مقنعة لاهل التحقيق

والنكتة الرابعة مما ذكرنا ان الله عز وجل ضمن رزق

العبد ولم يضمن الا الرزق المضمون الذي هو الغذاء والتربية

وفيه القوام والعدة واما الاسباب من الطعام والشراب

فالعبد اذا تجرد لعبادة الله عز وجل وتوكل عليه سبحانه

وتعالى فربما تحتبس عنه الاسباب فلا يعبان بذلك ولا يتحير

لما علم من حقيقة الضمان لقوام البنية فالتوكل على الله تعالى

انما هو في هذا المعنى وان الله تعالى يمده لا محالة بالقوة ليقوم

بحق العبادة والخدمة ما دام له اجل وتكليف بالعبادة وهذا

وهذا هو المقصود والله سبحانه قادر على ما يشاء ان شاء

في الفصل

لا غير والمنتظر من الله عز وجل هذا المعنى

او بطين وتراب ان يقيم بنيه عبده بطعام وشراب او بتسبيح وعبادة وتهليل كالملائكة

وان شاء بدون هذا كله فليس مطلوب العبد الا القيام

والقوة للعبادة لا الاكل والشرب وشدة الشهوة ونيل

اللذة فلا اعتبار بالاسباب اذن ولهذا قويت الزهاد

والعباد على الاسفار وطى الليالى والايام فمنهم من لم ياكل

عشرة ايام ومنهم من لم ياكل شهرا او شهرين وهو على

قوته ومنهم من كان يستف الرمل فيجعله الله تعالى غذاء

له كما ذكر عن الثوري رحمه الله انه نفدت نفقته بمكة فمكث

خمسة عشر يوما يستف الرمل وقال ابو معوية الاسود رايت

ابراهيم بن ادهم ياكل الطين عشرين يوما وعن الاعمش

قال قال ابراهيم التيمي رحمه الله ما اكلت منذ شهر قال

ولا شهرين الا ان انسانا ناشدني على عنقود من عنب

فاكلته فانا اشتكي بطني قلت فلا تعجبن من ذلك فان لله

تعالى القدرة على ما يشاء وهذا المريض تراه لا ياكل شهرا

وهو حي يعيش والمريض على كل حال اضعف نفسا وارق

طبعا من القوي فاما الذي يموت جوعا فذلك اجل حضر

كالذي يموت شبعا وتخمة ولقد بلغنا عن ابي سعيد الخراز

رضوان الله عليه انه قال حالي مع الله تعالى ان يطعمني في كل

ثلثة ايام فدخلت البادية فمضت لي ثلثة ايام ما طعمت فلما كان

اليوم الرابع وجدت ضعفا فجلست مكاني فاذا هاتف

يقول يا ابا سعيد ايهما احب اليك سبب او قوى قلت لا

الا القوي فقمت من وقتي وقد استقللت فاقمت اثنى عشر يوما

ما طعمت ولا وجدت الما لذلك فاذا راى العبد احتباس

الاسباب عنه وعلم من نفسه التوكل على الله تعالى فليستيقن ان

الله عز وجل يمده ولا يحزن لذلك بل حقه ان يشكر الله

تعالى على ذلك شكرا كثيرا فان له المنة والصنع اللطيف اذ

دفع عنه المؤنة واعطاه المعونة وحصل له الاصل والمقصود

ودفع عنه الثقل والواسطة وخرق له علايق العادة واراه

طريق القدرة ان شبه حاله بحال الملائكة ورفعه عن حال البهايم

والعامة في تلك الكرامة فتامل هذا الاصل الكبير تغنم الربح

العظيم ان شاء الله تعالى قلت ولعلك ان تقول لي انك

اطنبت في هذا الفصل خلاف شرط الكتاب فاقول لعمري

ان القليل في جنب ما يحتاج اليه في هذا المعنى اذ هو اهم شان

في العبادة بل عليه مدار امر الدين والدنيا والعبودية فمن

لا همة في هذا الشان فليستمسك بذلك وليراعه حقه والا

فهو عن المقصود بمعزل والذي يدلك على بصيرة علماء الاخرة

العارفين بالله عز وجل انهم بنوا امرهم على التوكل على الله
سبحانه والتفرغ لعبادة الله تعالى وقطع العلايق كلها
فكم صنفوا من كتاب وكم اوصوا بوصية وقيض الله سبحانه
لهم اعوانا من السادة واصحابا فتمشى لهم من الخير المحض ما لم تمش
لطايف الائمة الا زهادا الكرامية على اصول غير مستقيم وما زلنا
اعزة على منهاج ائمتنا يخرج من معابدنا ومدارسنا كل حين
اما امام في العلم كالاستاد ابي اسحاق وابي حامد وابي بكر
بن الطيب وابن فورك وشيخنا الامام وامثالهم من السادة
واما صديق في العبادة كابي اسحق الشيرازي وابي سعيد
الصوفي ونصر المقدسي وغيرهم ممن فاق الائمة علما وزهدا
حتى ضعفت القلوب من تعصبنا وتلطخنا بشي من العلايق
التي ضررها اكثر من نفعها وتراجعت الامور وتقاعدت
الهمم وطارت البركات وزالت اللذات والحلاوات فلا يكاد
تصفوا لاحد عبادة او يحصل له علم وحقيقة وان اللمعة
التي تظهر منا الان لسيت ممن بقي على منهاج اسلافنا
وشيوخنا المتقدمين كالحرث المحاسبي ومحمد بن ادريس الشافعي
والمزني وحرملة وغيرهم من ائمة الدين فهم كما قيل
فما صحبوا الايام الا تعففا . وما وجدوا من حب سيدهم بدا

افاضل

افاضل صديقون اهل ولاية الى سيد السادات قد جعلوا القصدا
ولكننا لا نسقط عن الطريق بمرة والله المستعان على
المصايب والمسؤول ان لا يسلبنا هذا الرمق انه جواد كريم
منان رحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واما
التفويض فتامل فيه اصلين احدهما انك تعلم ان الاختيار لا يصلح الا
لمن كان عالما بالامور بجميع جهاتها ظاهرها وباطنها
حالها وعاقبتها والا فلا يامن ان يختار الهلاك والفساد
على ما فيه الخير والصلاح الا ترى انك لو قلت لبدوي
او قروي غتم انتقد لي هذه الدراهم وميز بين جيدها و
رديها فانه لا يهتدي لذلك ولو قلت لسوقي غير صيرفي فربما
يغتر ايضا فلا تامن ايه حتى تعرضها الى الصيرفي الخبير بالذهب
والفضة وما فيهما من الخواص والاسرار وهذا العلم المحيط
بالامور من جميع الوجوه لا يصلح الا لله رب العالمين فلا يستحق
اذن احد ان يكون له الاختيار والتدبير الا الله وحده
لا شريك له ولذلك يقول عز من قايل وربك يخلق
ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ثم قال عز وجل وربك
يعلم ما تكن صدورهم الاية وحكي ان بعض الصالحين قيل
له عن الله عز وجل سل تعط وكان موفقا فقال ان

التفويض

تلطخنا

ان عالما بجميع الوجوه يعول الجاهل من جميع الوجوه سئل فقط
ليس اعلم ما ذا يصلح لي فاساله ولكن اختر لي انت فهذه
هذه والاصل الثاني ما يقول لو ان رجلا قال لك اني
اقوم بجميع امورك وادبر ما تحتاج اليه من مصالحك فوض
الامر كله الي واشتغل انت بشانك الذي يعنيك وهو
عندك اعلم اهل زمانك واحلمهم واقواهم وارحمهم و
واتقاهم واصدقهم واوفاهم الست تغتنم ذلك وتعده
اعظم نعمة وتمتن منه منة وتقدم له اوفر شكر واجل
ثناء ثم اذا اختار لك شيا لا تعرف وجه الصلاح فيه
فلا تضجر لذلك بل تثق وتطمئن الى تدبيره وتعلم انه لا يختار
لك الا ما هو الخير ولا تنظر لك الا الصلاح كيف ما كان الامر
بعد ما وكلت الامر اليه وضمن ذلك فما لك اذن لا تفوض
الامور الى رب العالمين سبحانه هو الذي يدبر الامر من السماء
الى الارض اعلم كل عالم واقدر كل قادر وارحم كل راحم
واغنى كل غني ليختار لك بلطيف علمه وحسن تدبيره ما
لا يبلغه علمك ولا يدركه فهمك وتشتغل انت بشانك
الذي يعنيك في عاقبتك واذا اختار لك امرا لا تعلم وجه
سره رضيت بذلك واطمانت اليه كيف ما كان فهو الصلاح

والخير فتامل واشار ان شاء الله تعالى وبالله سبحانه التوفيق
واما الرضا بالقضا فتامل فيه اصلين مقنعين لا مزيد عليهما
احدهما ما في الرضا من الفايدة في الحال اما الفايدة العاجلة
ففراغ القلب وقلة الهم من غير فايدة ولذلك قال بعض الزهاد
اذا كان المقدور حقا فالهم فضل واصله الخبر الماثور عن
عن النبي صلى الله عليه واله انه قال لابن مسعود رضي الله عنه
ليقل همك ما قدر يكن وما لم ترزق لم ياتك هذا هو الكلام
الجامع النبوي البالغ في قلة اللفظ وكثرة المعنى واما الفايدة
في المال فثواب الله عز وجل ورضوانه قوله تعالى رضي الله عنهم
ورضوا عنه وفي السخط من الضجر والهم في الحال والوزر والعقوبة
في الاخرة بلا فايدة اذ القضاء نافذ فلا ينصرف بهمك وسخطك
كما قيل ما قد قضي يا نفس فاصبري له ولك الامان من الذي لم يقدر
فالعاقل لا يختار الهم بلا فايدة مع الوزر والعقوبة على راحة
القلب وثواب الجنة والاصل الثاني ما في السخط من عظيم
الخطر والضرر والكفر والنفاق الا ان يتداركه الله عز وجل
برحمته وتامل قوله عز وجل فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت و
يسلموا تسليما نفى الايمان واقسم عن سخط قضاء رسول الله

والمالم
والكفر
اي يوقع الموت ان لم يقدر اليوم

صلى الله عليه واله فكيف حال من يسخط قضاه جل جلاله و
روينا ان الله عز وجل يقول من لم يرض بقضاى ولم
يصبر على بلاى ولم يشكر نعماى فليتخذ الها سواى قيل كانه
يقول هنا من لا يرضانا ربا حتى يسخط فليتخذ ربا اخر يرضاه
وهذا شانه الوعيد والتهديد لمن عقل ولقد صدق بعض
السلف حيث سئل ما العبودية والربوبية فقال الرب
يقضي والعبد يرضى فاذا قضى الرب ولم يرض العبد فما هناك
عبودية فتامل هذا الاصل وانظر لنفسك لعلك تسلم
بعون الله تعالى وتوفيقه **واما الصبر** فانه دوا مر و
شربة كريهة مباركة يجلب كل فايدة وتدفع كل مضرة فاذا كان
هذا الدوا بهذه الصفة فالانسان العاقل يكره نفسه على
شربه ويتجرعه ويغض عن مرارته وحدته ويقول مرارة
ساعة راحة سنة فاعلم ان الصبر اربعة
صبر على الطاعة وصبر عن المعصية وصبر عن فضول الدنيا
وصبر عن المحن والمصايب واذا احتمل مرارة الصبر وصبر
في هذه المواطن الاربعة تحصلت له الطاعات ومنازلها
من الاستقامة وثوابها الجزيل في العاقبة ثم لا يقع في
المعاصي وبلياتها في الدنيا وتبعاتها في الاخرة ثم لا يبتلى

بطلب

بطلب الدنيا وما لها من الشغل في الحال والتبعة في المال
ثم لا يحبط اجره على ما ابتلى به وذهب فحصل اذن بسبب
الصبر الطاعة ومنازلها الشريفة وثوابها والتقوى و
الزهد والعوض والثواب الجزيل من الله عز وجل وتفصيل ذلك
امر لا يعلمه الا الله تعالى واما دفع المضار فيريحه او لا من الجزع
ومقاساته في الدنيا ثم وزره وعقوبته في العقبى واما انه هو
ضعف عن الصبر وسلك طريق الجزع فانه ترك كل منفعة ولحقه كل
مضرة اذ لا يصبر على المواظبة عليها فلا يصل الى منزلة شريفة
فيها من درجات الاستقامة او لا يصبر عن معصية فيقع فيها
او عن فضول فيشتغل به او لا يصبر على مصيبة فيحرم ثواب الصبر
وربما يكثر الجزع حتى يفوت العوض بسبب ذلك فيكون له مصيبتان
فوت الشي وفوت الاجر والعوض وحلول المكروه وحرمان الصبر
ولقد قيل حرمان الصبر على المعصية اشد
من المصيبة واى فايدة في شي يذهب بالحاصل الموجود ولا
يرد عليك الذاهب المفقود واذا فاتك احدهما فلا يفوتك
الاخر ومن الكلام الجامع ما ذكر ان امير المومنين عليا عليه السلم عزى رجلا
فقال ان صبرت جرت عليك المقادير وانت ماجور وان جزعت
جرت عليك المقادير وانت مازور ثم اقول فجملة الامر ان

على مشقة الطاعة فلا
يفعل الطاعة او لا يصبر
على حفظها فيحبطها
او لا يصبر م م

ان قطع القلب عن العلايق المالوفة ومنع النفس عن العادات
الراسخة بالتوكل المحض على الله تعالى وترك التدبير في الامور
وتفويضها الى الله عز وجل من غير علم بما هو السر فيها وكشح
النفس عن السخط والجزع مع تسرع النفس اليه واكراهها على
لجام الرضا وتجرع شربة الصبر مع نفورها عن ذلك الامر و
علاج شديد وحمل ثقيل ولكنه تدبير سديد وطريق مستقيم
وله عاقبة محمودة واحوال سديدة مسعودة وما يقول في الوالد
المشفق الغني اذا منع ولده العزيز رطبة او تفاحة ياكلها وهو
ارمد ويسلمه الى المعلم الغليظ السايس ويحبسه طول النهار
عنده ويضجره ويحمله الى الحجام يحجمه فيوجعه ويقلقه اترى انه
منع ذلك لبخل به كيف وهو يعطي الاجانب ويوسع عليهم او
هوان بهذا الولد كيف وهو يكتب له جميع ما في يديه او قصد بذلك
اتعابه وايذاه لبغض له كيف وهو قرة عينه وثمرة فواده ولو
هبت عليه ريح لعز عليه كلا ولكن لما علم ان صلاحه في ذلك
وان بهذا التعب القليل يصل الى خير كبير ونفع عظيم وما يقول
في الطبيب الحاذق الناصح المحب اذا منع المريض الدنف شربة ماء وهو
ظمآن تغلي كبده وسقاه شربة اهليلج كريهة يجزع عن ذلك
نفسه وطبعه اترى ان ذلك منه معاداة وايذاء كلا بل نصح واحسان

الكشح الاعراض عن الشيء

لما يعلم يقينا ان في اعطائه شهوته ساعة هلاكه وعطبه
وساو منع ذلك شفاؤه وبقاؤه فتامل ايها الرجل اذا حبس
الله عنك رغيفا او درهما فتعلم يقينا انه عليك ما ترده و
يقدر على ايصاله اليك وله الجود والفضل ويعلم حالك
فلا يخفى عليه شيء ولا ثم عدم ولا عجز ولا خفاء تعالى وتقدس
عن ذلك علوا كبيرا فانه اغنى الاغنياء واقدر القادرين واعلم
العلماء واجود الاجودين فتعلم اذن بالحقيقة انه لا يمنعك الا
لصلاح واختيار كيف وهو الذي يقول خلق لكم ما في
الارض جميعا كيف وهو الذي جاد عليك بمعرفته وهي التي
لا شيء في جنبها الدنيا باسرها وفي الخبر المشهور ان الله
عز وجل يقول اني لاذود اوليائي عن نعيم الدنيا كما
يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك الغرة واذا ابتلاك
بشدة فاعلم يقينا انه غني عن امتحانك وابتلائك عالم بحالك
بصير بضعفك وهو بك رؤوف رحيم اما تسمع قوله صلى الله عليه و
سلم ان الله عز وجل ارحم بعبده المومن من الوالدة الشفيقة
بولدها فاذا علمت هذا علمت انه لم ينزل بك هذا المكروه
الا لصلاح لك جهلته انت وهو عالم بذلك ولهذا المعنى
كثر ابتلاء اوليائه واصفيائه الذين هم اعز عباده حتى

يقول صلى الله عليه وآله اذا احب الله قوما ابتلاهم ويقول
اشد الناس ابتلاء الانبياء ثم الشهداء ثم الامثل فالامثل
فاذا رايت الله عز وجل يحبس عنك الدنيا ويكثر عليك
الشدايد والبلوى فاعلم انك عنده عزيز وانك عنده بمكان
وانه يسلك بك طريق اوليائه فانه يراك ولا يحتاج الى
ذلك اما تسمع قوله تع فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا بل اعرف
منته عليك فيما يحفظ عليك من صلاحك ويكثر من اجرك
وثوابك وينزلك منازل الابرار والاعزة عنده فكم ترى
من عواقب حميدة ومواهب كريمة والله تعالى ولى التوفيق
بمنه وفضله فصل وبالجملة اذا علمت يقينا ان الله عز
وجل المتلى بضمان رزقك الذى لابد لك منه فى بقائك وقيامك

لكم

بعبادته وانه القادر على ما يشاء كيف يشاء هو البصير
بحاجتك حالا فحالا ساعة فساعة اتكلت على ضمانه الحق
ووعده الصدق وسكن قلبك واضربت عن ذكر العلايق
والاسباب وتعليق قلبك بها اذا العلايق لا تغنيك دون
الله عز وجل فانه تعالى مسير اكلها وشربها ثم هو الذى يعطيها
ويهيئها ثم هو الذى يلحقك قوتها ونفعها ويدفع عنك
ثقلها وضرها وهو تعالى يعينك ويدها اذا شاء فالامر

كله

كله اليه وحده لا شريك له فتوكل عليه لا غيره وكذلك
تترك التدبير فى امورك على من يدبر السماء والارض
وتريح نفسك عن شئ لا يبلغه عملك ونظرك فى امر يكون
غدا او لا يكون بانه كيف يكون وتكف عن لعل ولو اذ
ليس فيه الا شغل القلب وتضييع الوقت ولعله يكون ذلك
امور لم يخطر ببالك فيكون ما سبق من فكرك وتدبيرك
وتضييعك الوقت العزيز فيه لغوا بلا فايدة بل حسرانا
يندم عليه ويغبن فيه لمكان شغل القلب وتضييع العمر
وفى هذا المعنى لبعض الزهاد   سبقت مقادير الاله وحكمه
فارح فؤادك من لعل ولو   وقال اخر
سيكون ما هو كاين فى وقته ؛   واخو الجهالة متعب محزون ؛
ولعل ما تخشاه ليس بكاين ؛   ولعل ما ترجوه سوف يكون ؛
ويقول لنفسك فى الجملة يا نفس لن تصيبنا الا ما كتب الله
لنا هو مولينا وهو حسبنا ونعم الوكيل اذ هو قدير لا نهاية
لقدرته حكيم لا نهاية لحكمته رحيم لا نهاية لرحمته ومن
كان بهذه الصفة لحقيق ان يتكل عليه ويفوض الامر كله
اليه فعليك بالتفويض وكذلك توطن قلبك على ان ما
يقضى الله سبحانه لك هو الاوفق والاصلح وان ذلك لا

يبلغ علمنا كيفيته وسره ويقول يا نفس المقدور كاين لا محالة
والهم فاضل فلا فايدة في السخط والحيرة فيما يصنع الله تعالى فلاوجه
للسخط الست تقولين رضيت بالله ربا فكيف لا ترضين بقضا
والقضاء من شان الربوبية وحقها فعليك بالرضاء و
كذلك اذا اصابتك مصيبة وحل بك مكروه فتراعي نفسك
عند ذلك وتضبط قلبك حتى لا يجزع ولا تظهر منك شكاية
وقلق لا سيما عند الصدمة الاولى فان الشان هنالك والنفس
متسارعة جدا الى عادة الجزع عند ذلك ويقول يا نفس
هذه قد وقعت فلا حيلة لدفعها وقد دفع الله عز وجل ما هو
اكثر منها فان انواع البلاء في خزاينه لكثيرة وان هذه ستنقضي
فلا تبقى وانها سحابة ستنقشع فتجلي يا نفس قليلا يجري لذلك سرورا
طويلا وثوابا جزيلا بعد ان لا دفع للنازل ولا فايدة في الجزع فلا
مصيبة في الحقيقة مع العزاء والصبر فتشغل لسانك بالاسترجاع
وقلبك بذكر ما يحصل لك على الله عز وجل من الاجر وتذكر صبر اولي
العزم على المصايب العظام من الانبياء والاولياء الاعزة على الله تعالى
واذا احتبس الدنيا عنك في وقت فتقول يا نفس هو اعلم بالحال
وارحم بك واكرم فانه الذي يطعم الكلب في خسته ويطعم الكافر
في عداوته وانا عبده العارف الموحد اساوي عنده رغيفا

ايضا فاعلمي الحقيقة انه لم يحبس ذلك عنك الا لنفع عظيم وسيجعل الله
بعد عسر يسرا فاصبري قليلا ترى العجب من لطيف صنعه اما
سمعت قول القايل توقع صنع ربك سوف ياتي بما تهواه من فرج قريب
ولا تياس اذا ما ناب خطب فكم في الغيب من عجب عجيب
الا ايها المرء الذي الهم به برح اذا اشتدت بك العسرى ففكر في الم نشرح
فان العسر مقرون بيسرين فلا تبرح فعسر بين يسرين اذا ذكرته فافرح
فاذا اجريت هذه الاذكار ونحوها على قلبك وواظبت عليها
بالتكرير والتمرير فان ذلك سيهون عليك اذا كانت لك
همة واجتهاد زمانا غير طويل وقد دفعت هذه العوارض
الاربعة عن نفسك وكفيت مونتها وصرت عند الله عز وجل
من المتوكلين المفوضين الراضين بقضائه الصابرين على
بلائه وحصلت لنفسك راحة القلب والبدن في الدنيا و
عظيم الثواب والذخر في العقبى وجليل القدر والمحبة عند
رب العالمين جل جلاله فيجتمع لك خير الدارين ويستقيم طريق
العبادة اذ لا عايق ولا شاغل وكنت حينئذ قد قطعت هذه
العقبة العسرة والله سبحانه المسئول ان يمدك وايانا بحسن
توفيقه فان الامر كله بيده وهو ارحم الراحمين

العقبة الخامسة وهي عقبة البواعث ثم عليك يا اخي

بالسير اذا استقام لك الطريق وسهلت السبيل وارتفعت
للطريق وسهلت السبيل وارتفعت العوايق وزالت
العوارض ولا يحصل لك السير المستقيم الا باستشعار الخوف
والرجاء والتزامهما حقهما على حدهما اما الخوف فانما
يجب التزامه لامرين احدهما للزجر عن المعاصي فان هذه
النفس امارة بالسوء ميالة الى الشر طامحة الى فتنة ولا
تنتهي عن ذلك الا بتخويف عظيم وتهديد بالغ ولسيما هي في
طبعها حرة يهمها الوفا ويمنعها الحياء عن الجفا واغا هي
كما قال الشاعر العبد يُقرَعُ بالعصا والحرُّ تكفيه الملامة
والتدبير في امرها ان تقرعها ابدا بسوط التخويف قولا وفعلا
وفكرا نحو ما ذكر عن بعض الصالحين ان نفسه دعته الى معصية
فانطلق ونزع ثيابه وجعل يتمرغ في الخضاء ويقول لنفسه
ذوقي فنار جهنم اشد حرا من هذه اي جيفة بالليل بطالة
بالنهار والثاني لئلا تعجب بالطاعات فتهلك بل تعمها
بالذم والعيب والنقص من الاسوآء والاقذار التي فيها
ضروب الاخطار وذلك نحو ما ذكر عن النبي صلى الله عليه و
اله انه قال لو اني وعيسى اخذنا بما كسبت هاتان
لعذبنا عذابا لم يعذب احد واشار باصبعيه وعن الحسن

انه كان يقول ما يومن احدنا ان يكون قد اصاب ذنبا فطبق
باب المغفرة دونه فهو يعمل في غير معمل وعن ابن السماك فيما
يعاتب نفسه تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين
وفي الجنة تطمعين هيهات هيهات ان للجنة قوما اخرين ولهم اعمال
غير ما تعملين فهذه وامثالها مما يلزم العبد تذكيرها للنفس
وتكريرها عليها لئلا تعجب بطاعة او تقع في معصية وبالله التوفيق
واما الرجاء فانما يلزمك استشعاره لامرين احدهما البعث على
الطاعات وذلك ان الخير ثقيل والشيطان عنه زاجر والهوى
الى ضده داع وحال اهل الغفلة من عامة الخلق في النفس
منطبع مشاهدة والثواب الذي يطلب عن العين غايب والامد والوصول
اليه فيما يحسبه بعيد واذا كان الحال على هذه الحالة فلا تنبعث النفس للخير
ولا ترغب فيه ولا توفيه قدر حقه ولا تهتز الا بامر هذه يقابل
الموانع ويسا ويها بل يزيد عليها وذلك الامر هو الرجاء
القوي في رحمة الله عز وجل والترغيب البالغ في حسن
ثوابه وكريم اجره ولقد قال شيخنا الحزن يمنع من الطعام
والخوف يمنع من الذنوب والرجاء يقوي على الطاعات
وذكر الموت تزهد في الفضول والثاني ليهون عليك احتمال
الشدايد والمشاق واعلم ان من عرف ما يطلب هان عليه

الرجاء

ما يبذل ومن طاب له شيء ورغب فيه حق رغبته احتمل شدته
ولم يبال بما يلقى من مؤنته ومن احب احدا حق محبته احب ايضا
احتمال محنته حتى انه ليجد في تلك المحنة ضربا من اللذة الا
ترى مشتار العسل لا يفكر بلسع النحل لما يتذكر من حلاوة
العسل والاجير لا يعبا بارتقاء السلم الطويل مع الحمل
الثقيل طول النهار الصايف لما يتذكر من اخذ الدرهمين
بالعشي وان الفلاح لا يفكر بمقاساة الحر والبرد ومباشرة الشقاء
والكد طول السنة لما يتذكر من البيدر او الغلة وكذلك الاخ
العباد الذين هم اهل الاجتهاد اذا ذكروا الجنة في طيب مقيلها و
انواع نعيمها وقصورها وطعامها وشرابها وحليها وحللها
وسائر ما اعد الله تعالى لاهلها هان عليهم ما احتملوه من
تعب في عباده او ما نالهم في الدنيا من ذل ونقمة او نالهم من ضر
مشقة ولقد حكى ان اصحاب سفيان الثوري رحمه الله كلموا فيما
كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورثوا له فقالوا يا استاذ لو
نقصت من هذا الجهد نلت مرادك ايضا ان شاء الله تعالى فقال
سفيان كيف لا اجتهد وقد بلغني ان اهل الجنة يكونون في
منازلهم فيتجلى لهم نور تضيء له الجنان الثمانية فيظنون ان ذلك نور
وجه الرب تعالى فيخرون ساجدين فينادوا ان ارفعوا رؤوسكم

وسودها

ليس الذي تظنون انما هو نور جارية تبسمت في وجه زوجها ثم
انشا يقول يا ضرة من كانت الفردوس مسكنه ماذا تحمل من بؤس
واقتار تراه كئيبا خائفا وجلا الى المساجد تمشي بين اطمار
يا نفس ما لك من صبر على النار قد حان ان تقبلي من بعد ادبار قلت
انا فاذا كان مدار العبودية على الامرين القيام بالطاعة والانتهاء
عن المعصية وذلك لا يتم مع هذه النفس الامارة بالسوء الا بترغيب
وترهيب وترجيه وتخويف فان الدابة الحرون تحتاج الى قايد يقود
والى سايق يسوقها واذا وقعت في مهواة فربما يضرب بالسوط
من جانب ويلوح لها بالشعير من جانب اخر حتى تنهض وتتخلص
مما وقعت فيه وان الصبي العرم لا يمر الى الكتاب الا بترجية من
الوالدين وتخويف من المعلم وكذلك هذه النفس دابة حرون وقعت في مهواة
الدنيا فالخوف سوطها وسائقها والرجاء شعيرها وقائدها
وانها الصبي العرم لحمل الى كتاب العبادة والتقوى فتذكر النار
والعقاب تخويفه وتذكر الجنة وثوابها ترجيته وترغيبه
فلذلك يلزم العبد الطالب للرياضة ان يشعر النفس بالامرين
اللذين هما الخوف والرجاء والا فلا يساعد النفس الجموح على
ذلك ولهذا المعنى تعالى اتى الذكر الحكيم بمجموع الامرين الوعد
والوعيد والترغيب والتهديد وبالغ في كل واحد منهما فذكر من

يمشي
ها
والعبادة

من الثواب الكريم ما لا صبر عنه وذكر من العقاب الاليم ما لا صبر
عليه فعليك اذن بالالتزام هذين المعنيين يحصل لك مرادك ويسهل
عليك احتمال المشقة والله تعالى ولي التوفيق بفضله فان قلت
فما حقيقة الرجاء والخوف وحكمهما فاعلم ان الخوف والرجاء عند
علمائنا رحمهم الله يرجعان الى قبيل الخواطر والمقدور للعبد
مقدماتهما قالوا والخوف رعدة تحدث في القلب عند ظن مكروه
يناله والخشية نحوها لكن الخشية تقتضي ضربا من الاستعظام
والمهابة وضد الخوف الجرأة ولكن قد يقابل بالامن يقال خائف
وآمن ومخوف وامن لان الآمن الذي يجترئ على الله عز وجل في الحقيقة
ان الجرأة تضاده ومقدمات الخوف اربع الاولى ذكر الذنوب الكثيرة
التي سبقت وكثرة الخصوم الذين مضوا الى المظالم وانت مرتهن لهم
يتبين لك الخلاص بعد والثانية ذكر شدة عقوبة الله عز وجل
لا طاقة لك بها والثالثة ذكر ضعف نفسك عن احتمالها والرابعة
ذكر قدرة الله تعالى عليك متى شاء وكيف شاء واما الرجاء فهو
ابتهاج القلب بمعرفة فضل الله عز وجل واسترواحه الى سعة رحمة
الله تعالى وهذا من جملة الخواطر غير مقدور للعبد ورجاء هو مقدور
وهو تذكر فضل الله عز وجل وسعة رحمته وقد سمي ايضا ارادة الخاطرة
بالاستثناء رجاء والمراد من هذا الباب هو الاول وهو التذكر

على حسب الابتهاج والاسترواح وضده الياس وهو تذكر فوات
رحمة الله تعالى وفضله وقطع القلب عن ذلك وهو معصية محضة
وهذا الرجاء فرض اذ لم يكن للعبد سبيل الى الامتناع عن الياس
الابد والامن وهو نقل بعد اعتقاد الجملة في فضل الله تعالى وسعة رحمته
ومقدمات الرجاء اربع الاولى ذكر سوابق فضله اليك من غير
قدم او شفيع والثانية ذكر ما وعد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته
على حسب فضله وكرمه دون استحقاقك اياه بالفعل اذ لو كان على
حسب الفعل لكان اقل شيء واصغر والثالثة ذكر نعمة الله تعالى
عليك في امر دينك ودنياك في الحال من انواع الامداد والالطاف
من غير استحقاق او سؤال والرابعة ذكر سعة رحمة الله تعالى و
سبقها غضبه وانه الرحمن الرحيم الغني الكريم الرؤوف بعباده
المؤمنين فاذا واظبت على هذين الامرين من الاذكار افضى بك
الى الاستشعار الخوف والرجاء والله ولي التوفيق بفضله وكرمه

فصل فعليك ايها الرجل بقطع هذه العقبة
في تمام الاحتياط والتحرز وحسن الرعاية فانها عقبة دقيقة المسلك
خطيرة الطريق وذلك ان طريقها بين طريقين مخوفين مهلكين
احدهما طريق الامن والثاني طريق الياس وطريق الرجاء والخوف
هو الطريق العدل بين الجائرين فان غلب الرجاء عليك حتى

فقدت الخوف البتة وقعت في طريق الامن ولا يامن مكر الله
الا القوم الخاسرون وان غلب الخوف عليك حتى فقدت
الرجاء البتة وقعت في طريق الياس ولا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون فاذا انت ركبت بين الخوف والرجاء واعتصمت
بهما جميعا فهو الطريق العدل المستقيم الذي هو سبيل اولياء الله
عز وجل واصفيائه الذين وصفهم بقوله تعالى انهم كانوا
يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا
لنا خاشعين فاذا ظهرت لك في هذه العقبة طريق الامن
والجراة وطريق الياس والقنوط وطريق الخوف والرجاء
ممتد بينهما فان ملت عنه بقدم الى يمينك او يسارك وقعت
في المهلكتين وهلكت مع الهالكين ثم الشان ان الطريقين
الجائرين المهلكين اوسع مجالا واكثر داعيا واسهل سلوكا من
الطريق العدل لانك اذا نظرت من جانب الامن رايت من سعة
رحمة الله تعالى وكبر فضله وغاية جوده ما لا يبقى معه خوف
فتتكل على ذلك بمرة وتامن وان نظرت من جانب الخوف
رايت من عظيم سياسة الله تعالى وكبرة هيبته ودقة امره
وغاية مناقشته مع اوليائه ما لا يكاد يبقى معه رجاء فتياس
بمرة وتقنط فتحتاج اذن الى ان تنظر الى سعة الرحمة فقط
حتى تتكل وتامن ولا الى عظيم الهيبة والمناقشة فقط حتى
تقنط وتياس بل تنظر الى هذا والى هذا جميعا تاخذ من هذا بعضا
وتاخذ م
ومن هذا بعضا فتركب بينهما طريقا دقيقا وتسلك ذلك لتسلم
فان طريق الرجاء المحض سهل واسع وعاقبته يؤدي الى الامن
والخسران وطريق الخوف المحض واسع عريض وعاقبته يؤدي بك
الى الضلال والطريق العدل بينهما طريق الخوف والرجاء
وان كان دقيقا عسرا فانه سبيل سالم ومنهج بين يؤدي الى
الغفران والاحسان ثم الى الجنان والرضوان ولقاء الملك
الرحمن سبحانه ما اعظمه من ديان او ما تسمع قوله سبحانه
في ابناء هذه السبيل يدعون ربهم خوفا وطمعا ثم قال عز وجل
ولا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون
فتامل هذه الجملة وشمر وتنبه للامر فانه لا يجيء بالهوينا والله
عز وجل الموفق ثم اعلم انه لا يتاتى لك سلوك هذه الطريق
وحمل هذه النفس الجموح الكسلى على الخير باجتناب المحبوب
عنها واكتساب الطاعات الثقيلة عليها الا بالتحفظ بثلاثة
اصول والتذكر لها على سبيل الدوام من غير فترة ولا غفلة
احدها ذكر الائه عز وجل في الترغيب والترهيب والثاني ذكر افعاله
في الترغيب م
سبحانه في الاخذ والعفو والثالث ذكر جزائه للعباد في المعاد

من الثواب والعقاب وتفصيل كل اصل منها يحتاج الى صحف
كثيرة ولاجله صنفنا كتاب تنبيه الغافلين ونحن نشير في
هذا الكتاب الى كلمات توقفك على المقصود ان شاء الله
تعالى **الاصل الاول** انه سبحانه وتعالى تدبر ايها الرجل
ما في الكتاب العزيز من ايات الترغيب والترهيب والترجية
والتخويف فمن ايات الرجاء قوله عز وجل لا تقنطوا من رحمة الله
ان الله يغفر الذنوب جميعا ومن يغفر الذنوب الا الله غافر
الذنب وقابل التوب وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو
عن السيات كتب ربكم على نفسه الرحمة وسعت كل شيء فساكتبها
للذين يتقون ان الله بالناس لرؤف رحيم وكان بالمومنين
رحيما فهذه ونحوها ايات الرجاء ومن ايات التخويف والسياسة
قوله تعالى يا عباد فاتقون افحسبتم انما خلقناكم عبثا ايحسب
الانسان ان يترك سدى ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب
من يعمل سوءا يجز به وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا نسال الله تعالى ان يسلمنا برحمته ومن الايات
اللطيفة الجامعة بين الخوف والرجاء قوله عز وجل نبئ عبادي
اني انا الغفور الرحيم ثم قال في عقبه وان عذابي هو العذاب

الاليم لئلا يستولي عليك الرجاء بمرة وقوله عز وجل شديد
العقاب ثم قال في عقبه ذي الطول لئلا يستولي عليك
الخوف بمرة واعجب من ذلك قوله تعالى ويحذركم الله نفسه
ثم قال في عقبه والله رؤف بالعباد واعجب منه قوله عز
وجل من خشي الرحمن بالغيب علق الخشية باسم الرحمن دون
اسم الجبار والمنتقم والمتكبر ونحوه لتكون الخشية مع ذكر الرحمة
ولا تكون الخشية تطير قلبك بمرة فيكون تخويفا في تاسيل وتحريكا
في تسكين كما تقول اما تخشى الوالدة الرحيمة اما تخشى الوالد الشفوق
اما تحذر الامير الكريم والمراد من ذلك ان يكون الطريق عدلا فلا
يذهب الى امن ولا قنوط جعلنا الله واياكم من المتدبرين لهذا
الذكر الحكيم العاملين بما فيه انه هو الجواد الكريم **والاصل الثاني**
في افعاله ومعاملاته اما من جانب الخوف فلولا ان ابليس عبد الله
عز وجل ثمانين الف سنة فلم يترك موضع قدم الا وسجد لله تعالى
فيه سجدة ثم ترك له امرا واحدا فطرده عن بابه وضرب بوجهه
عبادة ثمانين الف سنة ولعنه الى يوم الدين واعد له عذابا
اليما ابد الابدين حتى روي ان الصادق الامين صلوات الله عليه و
سلامه راى جبريل عليه السلم متعلقا باستار الكعبة وهو يصيح
الهي لا تغير اسمي ولا تبدل جسمي ثم ادم عليه السلم صفيه ونبيه الذي

خلقه بيده واسجد له ملائكته وحمله على اعناقهم الى جواره
انبسط فاكل اكلة واحدة لم توذن له فيها فنودي لا يجاورني
من عصاني وامر الملائكة الذين حملوا سريره يزجونه من
سماء الى سماء حتى اوقعوه الى الارض ولم يقبل توبته فيما
روي حتى بكى على ذلك مائتي سنة ولحقه من الهوان والبلاء
ما لحقه وبقيت ذريته في تبعات ذلك الى الابد ثم ان نوحا شيخ
المرسلين صلوات الله عليهم اجمعين الذي احتمل في امر دينه
ما احتمل لم يقبل الا كلمة واحدة على غير وجهها اذ نودي
فلا تسئلن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين
حتى روي في بعض الاخبار انه لم يرفع راسه الى السماء حياء
من الله عز وجل اربعين سنة ثم ان ابراهيم خليل الله عز وجل لم
يكن من الا هفوة واحدة فكم خاف وتضرع وقال والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين حتى روي انه كان يبكي من
شدة الخوف فيرسل الله عز وجل جبرئيل عليه السلم فيقول
يا ابراهيم هل رايت خليلا يعذب خليله بالنار فيقول يا
جبرئيل اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلته ثم موسى بن عمران
عليه السلم لم يكن منه الا لطمة على خده كم خاف وتضرع واستغفر
وقال رب ظلمت نفسي فاغفر لي ثم في زمانه بلعم بن باعوراء

كان

الرجم سنان نيزه بكسر زدن

وكان بحيث اذا نظر يرى العرش وهو المعنى بقوله تعالى واتل
عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها ولم يكن له الا زلة
واحدة مال الى الدنيا واهلها ميلة واحدة وترك لولي من
اوليائه حرمة سلبه معرفته وجعله بمنزلة الكلب المطرود فقال
عز وجل فمثله كمثل الكلب فاوقعه في بحار الضلال والهلاك
الى الابد حتى سمعت بعض العلماء يقول انه كان في اول امره
بحيث يكون في مجلسه اثنا عشرة الف محبرة للمتعلمين
الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث كان اول من صنف كتابا بان
ليس للعالم صانع نعوذ بالله عز وجل من سخطه وعذابه الاليم
وقطيعة خذلانه الذي لا طاقة لنا به فانظر حب الدنيا وشومها
ماذا يجلب للعلماء خاصة فتنبه فان الامر خطير والعمر قصير
والناقد بصير فان ختم بالخير اعمالنا واقال الناعثراتنا فما ذلك
عليه بعسير ثم داود عليه السلم خليفته في ارضه اذنب ذنبا واحدا
فبكى حتى نبت العشب في الارض من دموعه وقال الهي اما ترحم
بكاي وتضرعي فاجيب يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاك
ولم يقبل توبته اربعين سنة ثم يونس عليه السلم غضب غضبة واحدة
في غير موضعها فسجنه في بطن الحوت تحت قعر قرار البحار اربعين
يوما وهو ينادي لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين

يوما وقيل اربعين

وسمعت الملائكة صوته فقالوا الهنا وسيدنا صوت معروف
في موضع مجهول فقال عز وجل عبدي يونس فشفعت فيه الملائكة
ثم مع ذلك كله غير اسمه فقال وذا النون ونسبه الى سجنه
ثم قال فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث
في بطنه الى يوم يبعثون ثم ذكر نعمته ومنته فقال
عز وجل لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم
فانظر الى هذه السياسة ايها المسكين وكذلك هلم جرا
الى سيد المرسلين اكرم خلقه عليه السلم يقول فاستقم
كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير
حتى كان عليه السلم يقول شيبتني سورة هود واخواتها قيل
عن هذه الاية واشكالها في القران وقال عز وجل واستغفر
لذنبك الى ان من الله عز وجل عليه بالغفران فقال عز
من قايل ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك و
قال عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
وكان بعد ذلك عليه الصلوة والسلم يصلي حتى تورمت
قدماه فيقولون اتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فيقول افلا اكون عبدا شكورا
وكان صلى الله عليه واله يقول لو اني وعيسى اخذنا

بما كسبت هاتان لعذبنا عذابا لم يعذبه احدا من العالمين
وكان صلى الله عليه واله يصلي الليل ويبكي ويقول اعوذ
بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك واعوذ بك منك
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ثم الصحابة الذين
هم خير قوم من خير امة كان يبدو منهم شي من المزاح ونزل
قوله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الاية
ثم وضع في هذه الامة مع كونها مرحومة الحدود والسياسات
العظيمة والاداب حتى كان يونس بن عبيد يقول الامان من قطع
في خمسة دراهم خير عضو منك ان يكون هكذا عند الله غدا انسا الله
الكريم الرحيم ان لا يعاملنا الا بمحض كرمه وانه ارحم الراحمين
واما جانب الرجاء فحدث عن رحمة الله تعالى الواسعة ولا حرج
ومن الذي يعرف غايتها او يحسن وصفها فانه الذي يهب كفر
سبعين سنة بايمان ساعة قال تعالى قل للذين كفروا ان
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اما ترى ان السحرة الذين جاءوا الحرب
وحلفوا بعزة عدوه فما قالوا الا امنا عن صدق القلوب
كيف قبلهم ووهب جميع ما سلف ثم كيف جعلهم رؤس الشهداء في
الجنة ابد الابدين فهذا مع عرفه وحده ساعة بعد ذلك الكفر
والضلال والفساد فكيف من افنى في توحيده عمره لا يرى لذلك

اهلا في العادين غيره اما ترى اصحاب الكهف وما كانوا عليه
من الكفر طول اعمارهم اذا قاموا فقالوا ربنا رب السموات
والارض فالتجوا اليه كيف قبلهم ثم اعزهم واكرمهم فقال عز من
قال وَنُقَلِّبُهُم ذات اليمين وذات الشمال وكيف اعظم لهم الحرمة
والبسهم المهابة والحشمة حتى يقول لاكرم الخلق عليه السلم
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولمليت منهم رعبا بل
كيف اكرم كلبا تبعهم حتى ذكره في كتابه العزيز مرات ثم جعله
معهم في الدنيا مصحوبا ويدخله الجنة في الاخرة مكرما فهذا فضله
مع كلب خطا خطوات مع قوم عرفوه ووحدوه اياما معدودة
من غير عبادة وخدمة فكيف فضله مع عبده المؤمن الذي
خدمه ووحده وعبده سبعين سنة ولو عاش سبعين
الف سنة كان قاصدا للعبودية اما سمعت كيف عاتب
ابراهيم عليه السلم في دعائه على المجرمين بالهلاك وكيف
عاتب موسى عليه السلم في امر قارون فقال استغاث بك
قارون فلم تغثه فو عزتي لو استغاث بي لاغثته وعفوت
عنه وكيف عاتب يونس في شان قومه بلك الحزن على شجرة
يقطين في انبتها في ساعة وايبستها في ساعة ولا تحزن على
مائة الف او يزيدون ثم كيف قبل عذرهم وصرف عذابه الاليم

عنهم

عنهم بعدما اظلهم ثم كيف عاتب سيد المرسلين فيما روي
انه دخل من باب بني شيبة فراى قوما يضحكون حتى اذا
كان عند الحجر رجع اليهم القهقرى فقال جاءني جبرئيل
فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك تقنط عبادي من
رحمتي نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وهذا رسول
الله صلى الله عليه واله يقول لله ارحم بعبده المؤمن
من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر المشهور عن النبي
صلى الله عليه واله ان لله عز وجل مائة رحمة فواحدة منها
قسمها بين الجن والانس والبهائم فبها يتعاطفون وبها يتراحمون
وذخر منها تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة
واذ قد اعطاك من هذه الواحدة كل هذه العطايا الكريمة
العزيزة من معرفته سبحانه والكون من هذه الامة المرحومة
ثم معرفة السنة والجماعة التي الى ساير ما لديك من النعم
الظاهرة والباطنة فنرجو من فضله العظيم ان يتم ذلك
فان من بدا بالاحسان فعليه الاتمام ويجعل مع تسع وتسعين
رحمة لك الحظ الاوفر لنا، لان الله سبحانه ان لا يخيب آمالنا
من فضله العظيم انه السيد الكريم الجواد الرحيم **واما الاصل**
الثالث في ذكر ما وعدوا وعيدوا في المعاد فلنذكر

فقال لم تضحكون الا
اريكم تضحكون م

في ذلك الاحوال الاربعة الموت والقبر والقيامة والجنة و
النار وما في كل مقام منها من الخطر العظيم للمطيعين
والمقصرين والمجتهدين اما الموت فنذكر فيه حال رجلين
احدهما ما روى عن ابن شبرمة انه قال دخلت مع
الشعبي على رجل مريض نعوده وهو لما به وله وعنده رجل يلقنه
لا اله الا الله فقال الشعبي ارفق به فتكلم المريض ان تلقني
او لم تلقني فاني لا ادعها ثم قرا والزمهم كلمة التقوى وكانوا
احق بها واهلها فقال الشعبي الحمد لله الذي نجا صاحبنا
واما الاخر ما حكى ان تلميذ الفضيل بن عياض حضرته الوفاة
فدخل عليه الفضيل وجلس عند راسه وقرا سورة يس
فقال يا استاد لا تقرا فسكت ثم لقنه فقال لا اله الا الله
فقال لا اقولها فاني منها بري ومات على ذلك فدخل الفضيل
منزله وجعل يبكي اربعين يوما لم يخرج من البيت ثم راه في
المنام وهو يسحب به الى جهنم فقال باي شي نزع الله
المعرفة عنك وكنت اعلم كل تلامذتي فقال بثلاثة اشياء
اولها بالنميمة فاني قلت لاصحابي بخلاف ما قلت لك والثاني
بالحسد حسدت اصحابي والثالث كانت بي علة فجئت الى الطبيب
فسالته فقال تشرب في كل سنة قدحا من خمر فان لم تفعل

تبقى بك العلة فكنت اشربه نعوذ بالله تعالى من سخطه الذي
لا طاقة لنا به ثم اذكر حال رجلين احدهما ما حكى عن
عبد الله بن المبارك انه لما احتضر نظر الى السماء فضحك
فقال لمثل هذا فليعمل العاملون وسمعت امام الحرمين
رضي الله عنه يحكي عن الاستاد ابي بكر انه قال كان لي صاحب
ايام التعلم وكان مستعدا كثير الجهد في التعلم تقيا متعبدا
وكان لا يحصل له مع الاجتهاد الا القليل وكنا نتعجب من
حاله فمرض فلزم مكانه بين الاولياء في الرباط ولم يدخل الى
بيت المرضى وكان يجتهد مع مرضه فاشتدت به الحال وانا حاضر
فبينا هو كذلك اذ شخص بصره الى السماء ثم قال لي يا ابن فورك
لمثل هذا فليعمل العاملون وتوفي عند ذلك رحمه الله واما
الاخر فنحو ما ذكر عن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على
جار له احتضر فقال له يا مالك جبلان من نار بين يدي
اكلف الصعود عليهما فسالت اهله فقالوا كان
له مكيالان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر فدعوت بهما
وضربت احدهما بالاخر حتى كسرتهما ثم سالت الرجل
فقال ما ازداد الامر علي الا عظما واما القبر والحال بعد الموت

الاخر

واما القبر والحال بعد الموت

فاذكر فيه حال رجلين احدهما ما ذكر عن بعض الصالحين
انه قال رايت سفيان الثوري رحمه الله في النوم بعد موته
فقلت كيف حالك يا ابا عبد الله فاعرض عني وقال
ليس هذا زمان الكنى فقلت كيف حالك يا سفيان فانشا
يقول نظرت الى ربي عيانا فقال لي هنيئاً رضاي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما اذا الليل قد دجى بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر تريده وزرني فاني عنك غير بعيد
والرجل الثاني ما ذكر ان بعضهم راى في النوم شاحب
مغلولة يداه الى عنقه فقيل له ما فعل الله تعالى بك فانشأ
يقول تولى زمان لعبنا به وهذا زمان بنا يلعب
وحال اخرين احدهما ما روي ان بعض الصالحين قال
كان لي ابن واستشهد فلم اره في المنام الا ليلة توفي
عمر بن عبد العزيز اذ يرى في تلك الليلة فقلت يا بني الم تك
ميتا فقال لا ولكني استشهدت وانا حي عند الله عز وجل
ارزق فقلت ما جاء بك فقال نودي في اهل السماء
الا يبقى نبي ولا صديق ولا شهيد الا وحضر الصلوة على عمر
بن عبد العزيز فجئت لاشهد الصلوة ثم جئتكم لاسلم عليكم و
اما الاخر فيما روي عن هشام بن حسان انه قال مات

وحال اخرين

لي ابن حدث فاريته في النوم فاذا هو اشيب فقلت يا بني
ما هذا الشيب فقال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم لقدومه
زفرة فلم يبق احد منا الا شاب نعوذ بالله الرحيم من عذابه
الاليم واما القيامة فتامل قوله عز وجل يوم نحشر المتقين
الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فواحد يخرج
من قبره فاذا البراق على راس القبر والتاج والحلل فيلبس
ويركب الى جنات النعيم لا يخلي لعزه يمشي الى الجنة برجله واخر
يخرج من قبره فاذا الزبانية والاغلال والانكال لا يخلون
الشقي ان يمشي الى النار برجليه بل يسحب الى سواء الجحيم على
وجهه نعوذ بالله العظيم من سخطه ولقد سمعت بعض العلماء يروي
صلى الله عليه واله انه قال اذا كان يوم القيامة يخرج من قبورهم
لهم نجب يركبونها لها اجنحة خضر فتطير بهم في عرصات القيامة
حتى ياتوا على حيطان الجنة فاذا راتهم الملائكة قال بعضهم
لبعض من هولاء فيقولون لا ندري لعلهم من امة محمد صلى الله عليه و
اله فياتيهم بعض الملائكة فيقولون من انتم ومن اي الامم انتم
فيقولون نحن من امة محمد صلى الله عليه واله فيقول الملائكة هل
حوسبتم فيقولون لا فيقولون هل وزنتم فيقولون لا فيقولون
هل قراتم كتبكم فيقولون لا فيقول الملائكة ارجعوا وكل ذلك

عن النبي

وراكم فيقولون هل اعطيتمونا شيا فحاسب عليه وفي خبر آخر
ما ملكنا فنعدل او نجور ولكنا عبدنا ربنا حتى دعانا فاجبنا
فينادي مناد صدق عبادي ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم اما تسمع قوله تعالى افمن يلقى في النار خير امن
ياتي امنا يوم القيامة فاعظم برجل يشاهد تلك الاهوال
والزلازل والوقايع وهو امن لايدخل قلبه فزع ولايكون على
قلبه ثقل نسال الله عز وجل ان يجعلنا واياكم من اولئك السعداء
وما ذلك على الله بعزيز **واما الجنة والنار** فنسال فيهما ايتين
من كتاب الله احداهما قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا
ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا وقال عز
وجل حكاية عن اخرين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون
قال اخسؤا فيها ولاتكلمون فروي انهم يصيرون عند ذلك
كلابا يتعاوون في النار نعوذ بالله الروف الرحيم من عذابه
الاليم فان الامر كما قال يحيى بن معاذ لاندري اي المصيبتين
اعظم افوت الجنان ام دخول النيران اما الجنة فلا صبر عنها و
اما النار فلا صبر عليها وعلى كل حال فوات النعيم ايسر من مقاسات
الجحيم ثم الطامة الكبرى والمصيبة العظمى هي الخلود اذ لو كان
الامر على كل حال منقطعا لكان الامر هينا ولكن الشان في

ابدا بلا اخر فاي قلب يحتمل ذلك واي نفس تصبر على ذلك ولذلك
قال عيسى عليه السلم ذكر الخالدين يقطع قلوب الخايفين
وذكر عن الحسن ان اخر من يخرج من النار رجل يقال له هناد
عذب الف سنة ينادي ياحنان يامنان فبكى الحسن وقال
ياليتني كنت هنادا فتعجبوا منه فقال ويحكم اليس يوما يخرج
قلت فرجع الامر كله الى اصل وهي النكتة التي تقصم الظهور
وتصفر الوجوه وتقطع القلوب وتذيب الاكباد وتدمي
العيون من العباد وهي خوف نزع المعرفة فهذه الغاية التي ينتهي
اليها خوف الخايفين ويبكي عليها اعين الباكين ولقد قال
بعضهم ان الهموم ثلثة غم الطاعة ان لاتقبل وغم المعصية
ان لاتغفر وغم المعرفة بان تسلب وقال المحصّلون بل كله هو
الواحد بالحقيقة وهو غم المعرفة ان يسلب وكل غم دونه اذا له
انقضاء ولقد بلغنا عن يوسف ابن اسباط رحمه الله انه قال دخلت
على سفيان فبكى ليله اجمع فقلت بكاؤك هذا على الذنوب
قال فحمل تبنا وقال الذنوب اهون على الله عز وجل من هذا
انما اخشى ان يسلبني الله تعالى الاسلام نسال الله ربنا المنان
سبحانه ان لايبتلينا بمصيبة وان يتم علينا بفضله كبير نعمه
وان يتوفينا على ملة الاسلام انه ارحم الراحمين وقد ذكرنا سبب

التقصم شكستن

المحصّلون

سوء الخاتمة ومعناها في كتاب احياء العلوم الدين فتأمله
هناك فان الخوض فيه هاهنا خروج الى الاكثار فتأمل
هذه الجملة واشدد فان التفصيل اكثر من ان ياتي عليه الوهم
والذكر فلعلك تفلح انشاء الله بعونه وحسن توفيقه فان
قلت فاي الطريقين اسلك طريق الخوف ام طريق الرجاء
فيقال لك بل المركب بينهما فمن غلب عليه الرجاء صار
مرجيا بل ربما يخاف عليه ان يصير خرميا ومن غلب عليه الخوف
صار حروريا والمراد ان لا ينفرد باحدهما دون الاخر فان
بالحقيقة الرجاء الحقيقي لا ينفك عن الخوف الحقيقي والخوف
الحقيقي لا ينفك عن الرجاء الحقيقي ولذلك قيل الرجاء كله
لاهل الخوف الا الامن والخوف كله لاهل الرجاء الا الياس
فان قلت فهل يكون احدهما ارجح واكثر ذكرا الحال فاعلم
ان العبد اذا كان صحيحا قويا فالخوف اولى به واذا مرض و
ضعف لا سيما اذا اشرف على الاخرة فالرجاء اولى به كذا سمعت
العلماء يقولون وذلك لما روي ان الله عز وجل يقول انا عند
المنكسرة قلوبهم من مخافتي فتصير رجاءه اولى في ذلك الوقت
لانكسار قلبه وخوفه المتقدم وزوال العجز والقوة والامكان
ولذلك يقال لهم لا تخافوا ولا تحزنوا فان قلت ابليس قد جاء

٧

الاخرة

الاخبار الكثيرة في حسن الظن بالله عز وجل والترغيب في
ذلك فاعلم ان من حسن الظن بالله عز وجل الحذر من
معصيته والخوف من عقابه والاجتهاد في طاعته واعلم
ان ههنا اصلا اصيلا ونكتة عزيزة يغلط فيها الكثير من
الناس وهو ان الفرق بين الرجاء والامنية ان الرجاء يكون
على اصل والتمني لا يكون على اصل مثاله من زرع واجتهد وجمع
بيدرا ثم يقول ارجو ان يحصل لي منه مائة قفيز فذلك منه رجاء
واخر لا يزرع زرعا ولا يعمل يوما فذهب ونام واغفل سنته
فاذا جاء وقت البيادر يقول ارجو ان يحصل لي مائة قفيز
فيقول له من اين لك هذا الرجاء وانما ذلك امنية بلا اصل
فكذلك العبد اذا اجتهد في عبادة الله عز وجل والانتهاء عن
معصية الله تعالى يقول ارجو ان يتقبل الله سبحانه هذا
اليسير ويتم هذا التقصير ويعظم الثواب ويعفو عن الزلل
واحسن الظن فهذا منه رجاء واما اذا اغفل وترك الطاعات
وارتكب المعاصي ولم يبال بسخط الله تعالى ورضاه ووعده و
وعيده ثم اخذ يقول ارجو من الله الجنة والنجاة فهذا
منه امنية لا حاصل تحتها سماها رجاء وحسن ظن وذلك
خطاء وضلال قلت ومما بين هذا الاصل ما روينا عن النبي

الفرق بين الرجاء والامنية

بيدر خرمن

صلى الله عليه وآله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق
من يتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى في ذلك يقول
الحسن البصري ان اقواما الهتهم الاماني في المغفرة حتى خرجوا
من الدنيا وليست لهم حسنة يقول اني لحسن ظني بربي وكذب
لو احسن ظنه بربه لاحسن العمل له ثم تلا قوله تعالى فمن كان يرجوا
لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وقوله عز وجل وذلكم ظنكم الذي
ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وعن جعفر الضبعي
قال رايت ابا ميسرة العابد وقد بدت اضلاعه من الاجتهاد
فقلت رحمك الله ان رحمة الله تعالى واسعة فغضب وقال هل
رايت ما يدل على القنوط ان رحمة الله قريب من المحسنين قال
جعفر فابكاني قوله فاذا كان الرسل والابدال والاولياء مع الاجتهاد
في الطاعة والحذر عن المعصية فاي شيء يقول ما كان لهم حسن
ظن بالله عز وجل بلى فانهم كانوا اعلم الناس لسعة رحمة الله تعالى
واحسن ظنا بجوده منك ولكن علموا ان ذلك دون الاجتهاد
امنية وغرور فاعتبر بهذه النكتة وتامل حالهم واعتبر بها تلك
والله تعالى ولي التوفيق فصل وجملة الامر انك اذا تذكرت
سعة رحمة الله عز وجل التي سبقت غضبه ووسعت كل شيء
ثم كنت من هذه الامة المرحومة الكريمة على الله عز وجل ثم غاية

فضله العظيم وكمال جوده القديم ان جعل عنوان كتابه اليك
بسم الله الرحمن الرحيم ثم كثرة اياديه اليك ونعمه عليك ظاهرة
وباطنة من غير شفيع او قدم سابقة لك ثم تذكرت من جانب
اخر كمال جلاله وعظمته وعظم سلطانه وهيبته ثم شدة
غضبه الذي لا يقوم له السموات والارض ثم غاية غفلتك
وكثرة ذنوبك وجفوتك مع دقة امره وخطر معاملته في احاطة
علمه وبصره بالعيوب ثم حسن وعده وثوابه الذي لا يبلغ كنهه
الاوهام وشدة وعيده واليم عقابه الذي لا يحتمل ذكره
القلب تارة تنظر الى فضله وتارة تنظر الى رحمته ورفقه وطورا
تنظر الى نفسك في جفواتها وخياناتها يؤدي بك جميع ذلك الى
الخوف والرجاء وكنت قد سلكت السبيل الشارع القصد
وعدلت عن الجائرين المهلكين الامن والياس ولا تتيه منهما
مع التائهين ولا تهلك مع الهالكين وشربت الشراب الممزوج
بالاعتدال فلا اهلكك برودة الرجاء ولا حرارة الخوف الصرف وكانني
بك قد وصلت الى المقصود غانما وشفيت من العلتين سالما
ووجدت النفس قد انبعثت للطاعة ودابت في الخدمة ليلا
ونهارا من غير فترة ولا غفلة واجتنبت المعاصي والمخازي و
هجرتها بمرة كما قال نوف ان نوفا اذا ذكر الجنة طال شوقه واذا

ذكر النار طار نومه وصرت من الاصفياء الخواص العابدين
ووصفهم الله عز وجل بقوله انهم كانوا يسارعون الى الخيرات
ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وكنت
قد خلفت هذه العقبة الخطرة باذن الله تعالى وحسن توفيقه
فكم لك من الحلاوة والصفوة في الدنيا وكم لك من ذخر كريم
واجر عظيم في العقبى والله سبحانه المسئول ان يمدك و
ايانا بحسن توفيقه وتسديده انه ارحم الراحمين واجود الاجودين
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **العقبة السادسة**
وهي عقبة القوادح ثم عليك يا اخي امدك الله عز وجل واياناً
بحسن توفيقه بعدما استبان لك السبيل واستقام لك
المسير بتمييز سعيك وصيانته عما تفسده ويضيع عليك
وانما الزمك ذلك باقامة الاخلاص وذكر المنة لله عز وجل و
الاحتساب عن ضده لامرين احدهما ما فعله من الفايدة وهو حسن
القبول من الله عز وجل ووفور الثواب عليه والا فيكون مردودا
ذاهب الثواب كلا او بعضا على ما روي في الخبر المشهور عن النبي
صلى الله عليه وآله ان الله سبحانه يقول انا اغنى الاغنياء عن
الشريك من عمل عملا فاشرك فيه غيري فنصيبي له فاني لا اقبل
الا ما كان لي خالصا وقيل ان الله تعالى يقول لعبده يوم القيامة

اذا التمس ثواب عمله الم اوسع لك في المجالس الم تكن الموسوم
في الدنيا الم ارخص بيعك وشراءك الم تكرم هذا واشباهه
من الحظ والضرر قلت ومن خطر الرياء فضيحتان ومصيبتان
اما الفضيحتان فاحدهما فضيحة السر وهي اليوم على رؤس
الملائكة وذلك ما روي ان الملائكة يصعد بعمل العبد مبتهجين
فيقول الله تعالى ردوه الى سجين فانه لم يردني به فيفتضح
ذلك العمل والعبد والثانية فضيحة العلانية وهي يوم القيامة
على رؤس الخلائق روي عن النبي صلى الله عليه وآله ان المرائي
ينادى يوم القيامة باربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا خاسر يا غادر
ضل سعيك وبطل اجرك فلا خلاق لك التمس الاجر ممن
كنت تعمل له يا مخادع وروي انه ينادي مناد يوم القيامة يسمع
الخلائق اين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا خذوا
اجوركم ممن عملتم له فاني لا اقبل عملا خالطه شيء **فاما
المصيبتان** فاحديهما فوت الجنة وذلك ما روي عن النبي صلى الله
عليه وآله ان الجنة تكلمت وقالت انا حرام على كل بخيل ومرائي
والخبر يحتمل معنيين احدهما ان هذا البخيل من بخيل باحسن
قول وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا المرائي من
يرائي باقبح رياء وهو المنافق الذي يرائي باعمانه وتوحيده

وفي هذا القول ترجيه والثاني انه من لم يحتشه عن البخل والرياء
ولم يراع نفسه ففيه خطر ان يلحقه شوم ذلك فيقع في الكفر
فيفوته الجنة راسا والعياذ بالله عز وجل والمصيبة الثانية
دخول النار وذلك لما روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه واله ان اول من يدعى يوم القيامة رجل قد جمع القران و
رجل قاتل في سبيل الله عز وجل ورجل كثير المال فيقول الله عز
وجل للقاري الم اعلمك ما انزلت على رسولي فيقول بلى يا رب
فيقول ما عملت فيما علمت فيقول يا رب قمت به اناء الليل والنهار
فيقول الله عز وجل كذبت ويقول الملائكة كذبت ويقول
الله تعالى بل اردت ان يقال فلان قاري وقد قيل ذلك ويوتى
بصاحب المال فيقول الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج
الى احد فيقول بلى يا رب فيقول عز وجل فما عملت مما اتيتك
فيقول كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله عز وجل كذبت
ويقول الملائكة كذبت فيقول الله عز وجل بل اردت ان
يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ويوتى بالذي قتل في سبيل
الله فيقول الله تعالى ما فعلت فيقول امرت بالجهاد في سبيلك
فقاتلت حتى قتلت فيقول الله عز وجل كذبت ويقول الملائكة كذبت
بل اردت ان يقال فلان جري وقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله

صلى الله عليه واله بيده على ركبتي وقال يا ابا هريرة اولئك
اول خلق الله تعالى يسعر بهم نار جهنم وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول ان النار
واهلها يعجون من اهل الريا قيل يا رسول الله وكيف يعج
النار قال من حر النار التي يعذبون بها وفي هذه القضا يح
بلاغ لاولي الابصار والله سبحانه ولي الهداية بفضله فان قلت
فاخبرنا عن حقيقة الاخلاص والريا وحكمهما وتاثيرهما في
العمل فاعلم ان الاخلاص عند علمائنا اخلاصان اخلاص
العمل واخلاص طلب الاخرة فاما اخلاص العمل فهو ارادات
التقرب الى الله تعالى وتعظيم امره واجابة دعوته والباعث
عليه الاعتقاد الصحيح وضد هذا الاخلاص النفاق وهو التقرب
الى من دون الله سبحانه وقال شيخنا رحمه الله النفاق
هو الاعتقاد الفاسد الذي هو للمنافق في الله عز وجل وليس هو
من قبيل الارادات لعلة ذكرناها في موضعها واما الاخلاص في طلب
الاخرة فهو ارادة نفع الاخرة بعمل الخير وكان شيخنا يقول
ان ارادة نفع الاخرة لم يرد انه قد رحيره بحيث يرجى به تلك
المنفعة وقد شرحنا هذه الشرايط وقال الحواريون لعيسى عليه
السلم ما الخالص من الاعمال قال الذي يعمل لله لا يحب ان يحمده

عليه احد وهذا تعريض لترك الدنيا وانما خصه بالذكر لانه
اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص
تصفية الاعمال من الكدورات وقال الفضيل رحمه الله الاخلاص
دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل
والاقاويل في هذا كثيرة ولا فايدة في تكثير النقل بعد انكشاف
الحقيقة وقد قال سيد الاولين والاخرين محمد صلى الله عليه
واله اذا سئل عن الاخلاص فقال يقول ربي الله ثم استقم كما امرت
اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك واستقم في
عبادتك كما امرت وهذا اشارة الى قطع كل ما سوى الله عز و
جل عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا وضد الاخلاص الريآء
وهو ارادة نفع الدنيا بعمل الاخرة ثم الريا ضربان ريا محض
وريا مختلط فالمحض الذي تريد به نفع الدنيا لا غير والمختلط
ان تريدهما جميعا نفع الدنيا ونفع الاخرة هذا حدها واما
تاثيرها فان اخلاص العمل ان يجعل الفعل قربة واخلاص طلب
الاخرة ان يجعله مقبولا وافر الاجر العظيم والنفاق يحبط
العمل ويخرجه عن كونه قربة مستحقا عليه الثواب بالوعد من
الله عز وجل والريا المحض لا يكون من العارف عند بعض العلمآء
وان كان ابطل بضعف الثواب وعند اخرين قد يكون الريآء

المحض

المحض من العارف وان يذهب بضعف الاضعاف والتخليط
يذهب بربع الاضعاف والصحيح عند شيخنا ان الريا المحض
لا يكون من العارف مع تذكره الاخرة ويكون مع السهو المختار
ان من تاثير الريآء رفع القبول والنقصان من الثواب وان
لا تقدير له بضعف ولا ربع وشرح هذه المسايل يطول وقد
شرحناها شرحا مستقصى في كتاب الاحياء واشبعنا القول
في اسرار معاملات الدين فان قلت فما موضع الاخلاص وفي
اي طاعة يقع ويجب فاعلم ان الاعمال عند بعض العلمآء
ثلثة قسم يقع فيه الاخلاصان جميعا وهو العبادات الظاهرة
الاصلية وقسم لا يقع فيه شي منهما وهو الاعمال الباطنة الاصلية
وقسم يقع فيه اخلاص طلب الاخرة دون اخلاص العمل
هو المباحات الماخوذة للعدة قال شيخنا ان كل عمل يحتمل
الصرف الى غير الله عز وجل من العبادات الاصلية يقع فيه
اخلاص العمل فالعبادات الباطنة اكثرها يقع فيه اخلاص
العمل واما اخلاص طلب الاخرة قال مشايخ الكرامية لا
يقع في العبادات الباطنة اذ لا يطلع عليها احد الا الله سبحانه
وتعالى فامتنع منها دواعي الريآء فلم يحتج الى اخلاص طلب الاخرة
وكان شيخنا يقول اذا اراد من الله تعالى بالعبادات الباطنة

نفع الدنيا فهو ايضا رياء قلت انا فلا يبعد اذن ان يقع في كثير
من العبادات الباطنة الاخلاصان وكذلك النوافل يجب
فيهما الاخلاصان جميعا عند الشروع فيها واما المباحات
الماخوذة للعدة فيقع فيها اخلاص طلب الاخرة دون اخلاص
طلب العمل اذ هي لا يصلح ان يكون بنفسها قربة بل هي عدة على
القربة فان قلت هذا موضعها فبين لنا وقتها في العمل فاعلم
ان اخلاص العمل مع الفعل يقارنه لا محالة ولا يتاخر عنه
واما اخلاص طلب الاخرة ربما يتاخر عنه وعند بعض العلماء
يعتبر فيه وقت الفراغ من العمل فاذا فرغ على الاخلاص او رياء
فقد انقضى الامر فلا يمكنه استدراكه بعد وعند غيرنا من
مشايخ الكرامية ما لم ينل المنفعة المطلوبة بالرياء يمكنه اقامة
الاخلاص في ذلك العمل فاذا نال المطلوب فقد فات قال
بعض العلماء ان الفريضة يمكن اقامة الاخلاص فيها الى الموت
واما النوافل فلا سبيل الى ذلك قال والفرق بينهما ان
الله عز وجل ادخل العبد في الفريضة فاسول منه التفضل
والتيسير فيها واما النفل فالعبد الذي ادخل نفسه فيه و
تكلفه فطولب بحق ما تكلف قلت وفي هذه المسئلة فايدة
وهي ان من سبق منه الرياء او ترك الاخلاص في عمل فيمكنه استدراكه

حذر

ذلك وتلافيه على احد الوجوه التي ذكرنا والمقصود من نقل
مذاهب الناس في هذه الدقايق علمنا بقلة العاملين الآن وقلة الرغبة
في سلوك هذه الطريق والترتيب على المبتدي في العبادة
فان لم يجد لعلته دواء في هذا القول وجد في الاخر لاختلاف
الاعراض وعلل الاعمال وافاتها فافهم راشدا ان شاء الله
تعالى فان قلت اكل عمل يحتاج الى اخلاص مفرد فاعلم انه قد
اختلف في ذلك فقيل انه يجب لكل عمل اخلاص مفرد وقيل
يجوز تناول اخلاص بجملة من العبادات فالعمل ذو الاركان
كالصلوة والوضوء يكفيه اخلاص واحد لان بعضها يتعلق ببعض
صلاحا وفسادا فصارت كشيء واحد فان قلت هذا اراد بعمله
الخير نفعا من الله عز وجل ولا يريد من الناس شيا من مدح او
سمعة او منفعة ايكون ذلك رياء فاعلم ان ذلك محض الرياء
قال علمائنا الاعتبار في الرياء بالمراد لا بالذي يريد منه
فان كان مراده من عمل الخير نفعا دنيويا فانه رياء سواء اراده
من الله تعالى او من الناس قال الله عز وجل ومن كان يريد
حرث الدنيا نوته منها وما له في الاخرة من نصيب وليس الاعتبار
بلفظة الرياء واشتقاقها من معنى الروية وانما سميت هذه
الارادة الفاسدة بهذا الاسم لانها اكثر ما يقع من قبل الناس

ورويتهم ما منهم ذلك فان قلت اذا كان القصد في الدنيا
التي يريدها من الله عزوجل التعفف عن الناس والعدة
على عبادة الله تعالى ايكون ذلك ريا فاعلم ان التعفف
ليس في كثرة المال والجاه وانما هو في القناعة والتقرب الى
الله تعالى واما العدة على عبادة الله تعالى فاذا كان مراده
ذلك فلا يكون ريا وكذلك ما يتصل بامر الاخرة واسبابها
ويصير لفظا لذلك فان اريد بعمل الخير هذا النوع فلا تكون
تلك الارادة ريا لان هذه الامور تصير بتلك النية خيرا فتصير
في حكم الاعمال الاخروية ولا يكون ارادة الخير ريا وكذلك
ان اردت ان يكون لك تعظيم عند الناس او محبة عند المشايخ
والائمة يكون قصدك من ذلك عند الناس التمكن من تاييد
مذهب الحق والرد على اهل البدع والنشر للعلم او حض الناس
على العبادة ونحو ذلك دون ان تقصد بذلك شرف نفسك
من حيث هي او دنيا تنالها فان هذه كلها ارادة سديدة
ونيات محمودة لا يدخل شيء منها في باب الريا اذ المقصود بها
امر الاخرة بالحقيقة واعلم اني سالت بعض مشايخنا عما يقصد
اوليا وناس من قراءة سورة الواقعة في ايام العشر اليس المراد
ان يدفع الله عزوجل تلك الشدة عنهم ويوسع عليهم بشيء من

الدنيا

الدنيا على ما جرت به العادة فكيف يصح ارادة متاع الدنيا
بعمل الاخرة فقال في جوابه كلاما معناه ان المراد منهم
ان يرزقهم الله عزوجل قناعة وقوة يكون لهم عدة على عبادة الله
عزوجل وقوة على درس العلم وهذه من جملة ارادة الخير دون
الدنيا واعلم ان هذه السيرة اعني قراءة هذه السورة عند
الشدة في امر الرزق والخصاصة انما هو شيء وردت به الاخبار
الماثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الصحابة رضي الله عنهم
حتى ان ابن مسعود رضي الله عنه حين عوتب في امر ولده اذ لم
يترك لهم شيئا من الدنيا قال لقد خلفت لهم سورة الواقعة
ومن ذلك الاصل في السنة جرت هذه الخصلة في سير علمائنا
والائمة السالفين رحمهم الله تعالى بشدة في امر الدنيا او سعة وهم الذين
يغتنمون ضيق العيش وشدتها ويعدونها فيما بينهم ويعدونه من الله تعالى
منة عظيمة ويخافون اذا بدا لهم سعة من الدنيا التي لا يجدها اكثر
الناس الا الاحسان والنعمة ان يكون ذلك استدراجا من الله
عزوجل ومصيبة كيف وبطانتهم الاسفار والطي في عموم
الاحوال وكثير منهم يقولون ان الجوع راس مالهم فهذا وضع
مذهب اهل التصوف وهو مذهبي ومذهب اشياخي وبذلك
جرت سيرة سلفنا واما تقصير بعض المتاخرين فلا اعتبار

وانما ذكرنا هذا الفصل لئلا يغتر فيه مخالف جهلا منه بمقاصد
القوم في امورهم او يغلط فيه مبتدي سليم الصدر لم ياخذ من
العلم حقه فيقول كيف يليق هذا الحال باهل الزهد والتجرد
وارباب الصبر والرياضه ولم يعلم ان هذا شيا ماخوذا من السنة
ثم المقصود حصول القناعة والعدة لا اتباع الشره والشهوة
او الضعف عن احتمال العسرة والشدة واكثر ما ترى في عقيب
ذلك قناعة في القلب وفقد الجوع وضعفه وسلوه عن الطعام
ونهمته علم ذلك من محنته فاعلم هذه الجمله موفقا انشا الله
تعالى القادح الثاني العجب وانما يلزمك اجتنابه لامرين
احدهما انه يحجب عن التوفيق والتاييد من الله تعالى فان المعجب
مخذول فاذا انقطع عن العبد التاييد والتوفيق فما اسرع ما يهلك
ولذلك قال النبي صلى الله عليه واله ثلث مهلكات شح مطاع
وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والثاني انه يفسد العمل الصالح
ولذلك قال المسيح عليه السلم يا معشر الحواريين كم من سراج قد
اطفاه الريح وكم عابد افسده العجب واذا كان المقصود والفايدة
العبادة وهذه الخصلة تحرم العبد حتى لا يحصل له خير فان
حصل فقليل من ذلك يفسده حتى لا يبقى بيده شي فحقيق ان يحذر
من ذلك ويتحفظ والله عز وجل ولي التوفيق و[illegible] العصمة فان

فز

قلت فما حقيقة العجب ومعناه وما تاثيره وحكمه فبين لنا ذلك فاعلم
ان حقيقة العجب استعظام العمل الصالح وتفضيله عند علمائنا
ذكرا لعبد حصول شرف العمل الصالح بشي دون الله عز وجل
كالنفس او الناس او الشي قالوا وقد يكون العجب مثلثا بان
يذكر ذلك من هذه الثلثة جميعا النفس والخلق والشي و
مثنى بان يذكر من اثنين وموحدا بان يذكر من واحد وهذا
الذكر فرض عند دواعي العجب نفل في ساير الاوقات واما تاثير
العجب في العمل قال بعض علمائنا ينظر الاحباط فان تاب
قبل موته سلم والا احبط واليه ذهب محمد بن صابر من شيوخ
الكرامية والاحباط عنده ان يذهب عن العمل جميع الاسماء الحسنة
حتى لا يستحق بذلك ثوابا ولا مدحة البته وفي قول غيره هو ذهاب
الاضعاف لا غير فان قلت كيف يلتبس على العبد العارف ان الله عز و
جل هو الذي وفق للعمل الصالح وعظم قدره واكثر ثوابه بمنه و
فضله فاعلم ان ههنا نكته لطيفه وذخيره شريفه وهي ان
الناس في العجب ثلثة اصناف صنف منهم هم المعجبون بكل
حال وهم المعتزله والقدرية الذين لا يرون لله عز وجل عليهم منة
في افعالهم وينكرون العون والتوفيق الخاص واللطف وذلك
لشبهة استولت عليهم وصنف هم الذاكرون المنة بكل حال

وضد العجب ذكر المنة وهو ان يذكر
انه توفيق الله عز وجل وان الله
شرفه وعظم ثوابه وقدره

وهم المستقيمون لا يعجبون بشيء من الاعمال وذلك لبصيرة اكرموا
بها وتاييد خصوا به والصنف الثالث المختلطون وهم عامة
اهل السنة تارة ينتبهون وتارة يغفلون فيعجبون وذلك
لمكان الغفلة العارضة والفترة في الاجتهاد والنقص في
البصيرة فان قلت كيف حال القدرية والمعتزلة في اعمالهم فاعلم
ان في ذلك اختلافا فقيل انه محبط لمكان اعتقادهم وقيل
لا يحبط عمل باعتقاد الجملة من فرق الاسلام حتى يخص كل عمل
باعجاب كما ان اعتقاد اهل السنة لا يمنع العجب في كل عمل حتى يخصه
بذكر المنة فان قيل فهل سوى العجب والرياء من قادح في العمل
قيل له اجل ان فيه لقوادح سواهما لكنا خصصناهما بالذكر
لانهما الاصل الذي يدور عليهما معظم الباب وقد قال
بعض المشايخ ان خوف العبد ان يحفظ في العمل من عشرة اشياء
النفاق والرياء والتخليط والمن والاذى والندامة والعجب
والحسرة والتهاون وخوف ملامة الناس ثم ذكر شيخنا ضد
كل خصلة منها واضرارها بالعمل فضد النفاق والرياء الاخلاص العمل
وضد التخليط التربيط وضد المن تسليم العمل لله تعالى وضد
الاذى تحصين العمل وضد الندامة تثبيت النفس وضد العجب
ذكر المنة وضد الحسرة اغتنام الخير وضد التهاون تعظيم التوفيق

وضد

وضد خوف الملامة الخشية واعلم ان النفاق يحبط العمل
والرياء يوجب رده والمن والاذى يحبطان الصدقة
اصلا في الوقت وعند بعض المشايخ يبطلان اضعافها
واما الندامة فانها تحبط العمل في قولهم جميعا والعجب يذهب
اضعاف العمل والحسرة والخوف الملامة والتهاون يخف
العمل فيذهب رزانته قلت فالقبول والرد عند التحصيل يرجعان
الى ضروب من التعظيم والاستخفاف والاحباط ابطال
منافع تكون بالفعل وبسببه ثم تارة تكون ابطال الثواب
واخرى ابطال التضعيف والثواب منفعة يقتضيها الفعل
بعينه وقرائنه واحواله والتضعيف زيادة على هذا والرزانة
زيادة تحصل بمقتضى قراين واحوال اخر كالاحسان الى
احسن من اهل الخير ثم الى الوالدين ثم الى نبي من الانبياء فهي
السر يكون رزانة ولا يكون تضعيفا فهذا تهذيب ما تحقق
في هذه المعاني فافهم ذلك وبالله التوفيق فصل
فعليك بقطع هذه العقبة المخوفة ذات المقاطع والمتالف
في غاية التحرز فان صاحب بضاعة الطاعات قد قطع تلك
العقبات وتحمل تلك المشقات حتى حصلت له بضاعة من
العبادة عزيزة شريفة فانه لا يخاف على بضاعته تلك الا في هذه

العقبة فان فيها مقاطع يحذر ان يسلب فيها بضاعته ومتاع الف يحذر ان يبدو منها افات تفسد عليه طاعته ثم اعظمها خطرا

واعمها وقوعا هذان المقطعان اللذان هما الرياء والعجب

فلنذكر في كل واحد منهما اصولا مقنعة في تجريدها لك العلك تكفي مونتهما باذن الله تعالى اما الرياء فاذكر فيه اولا الاول

ان الله عز وجل الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط

بكل شيء علما كان الله عز وجل يقول اني خلقت السموات والارض وما بينهما في كل هذه الصنايع والبدايع واكتفيت بنظرك

لتعلم اني قادر عالم وانت تصلي ركعتين مع ما فيهما من المعايب والتقصير ولا تكتفي بنظري اليك وعلمي بك وثنائي عليك

وشكري لك حتى تحب ان يعلم الخلق ليمدحوك بذلك ايكون ذلك عقلا ارضاه احد لنفسه ويحك افلا تعقل **الاصل**

الثاني من كان له جوهر نفيس يمكنه ان ياخذ في ثمنه الف الف مثقال فباعه بفلس اليس يكون ذلك خسرانا عظيما

وعيبا فظيعا ودليلا بينا على خسة الهمة وقصور العلم وضعف الراي ورقة العقل فما ينال العبد بعمله من الخلق من مدحة وحطام بالاضافة الى رضا رب العالمين وشكره وثنائه

لا اقل من فلس في جنب الف الف دينار وما بينهما واكثر ان لا يكون (بل في جنب الدينار)

ذلك من الخسران المبين ان تفوت نفسك تلك الكرامات

العزيزة الشريفة بهذه الامور الحقيرة الدنية ثم ان كان ولا بد لك من هذه الخسيسة فاقصد انت الاخرة يتبعك الدنيا

بل اطلب الرب وحده يعطك الدارين اذ هو مالكهما جميعا

وذلك قوله عز وجل من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة قال النبي صلى الله عليه واله ان الله

يعطي الدنيا بعمل الاخرة ولا يعطي الاخرة بعمل الدنيا فاذا انت اخلصت النية وجردت الهمة للاخرة حصلت لك الدنيا

والاخرة جميعا وان انت اردت الدنيا ذهبت عليك الاخرة في الوقت وربما لا ينال الدنيا كما تريد وان نلتها فلا يبقى لك

فتكون قد خسرت الدنيا والاخرة فتامل ايها العاقل

الاصل الثالث ان المخلوق الذي لاجله تعمل ورضاه تطلب لو علم انك تعمل لاجله لابغضك وسخط عليك واهانك

واستخف بك فكيف يعمل العاقل العمل لاجل من لو علم بانه يطلب رضاه لسخط عليه واهانه فاعمل يا مسكين لاجل

من اذا عملت لاجله وقصرت بسعيك وطلبت رضاه بذلك احبك واكرمك واعطاك حتى ارضاك واغناك

(اشارة الى الاية الشريفة من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب ومن كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه)

فافطن

عن الكل وكفاك فهذه هذه فافطن لها ان كنت تعقل

الاصل الرابع ان من حصل له سعي يمكن ان يكتسب

به رضاء اعظم ملك في الدنيا فطلب به رضاء كناس خسيس

بين الناس فيكون ذلك دليلا على السفه ورداءة الراي منه

وسوء الحظ له فيقال له ما حاجتك الى رضاء هذا الكناس

مع امكانك من رضاء الملك فكيف وقد سخط الكناس عليك

بسبب سخط الملك ففاتك الجميع فهذا حال المراي فان حاجته

الى رضاء مخلوق حقير ضعيف مهين وهو متمكن من تحصيل

رضاء رب العالمين الكافي عن الجميع فان ضعفت الهمة وكلت

البصيرة حتى طلبت رضاء مخلوق لا محالة فسبيلك ان تجرد

ارادتك وتخلص سعيك لله عز وجل فان القلوب والنواصي

بيده فهو يميل اليك القلوب ويجمع لك النفوس ويسخر لك

الصدور فتنال من ذلك ما لا تناله بجهدك وقصدك وان

لم تفعل وقصدت بعملك رضاء المخلوقين دونه عز وجل فانه

يصرف عنك القلوب وينزع عنك النفوس ويسخط عليك

الخلق فيحصل لك في هذه الامر سخط الله عز وجل وسخط الخلق

جميعا فيا له من خسران وحرمان ولقد ذكر عن الحسن رحمه الله

انه قال كان رجل يقول والله لاعبدن الله تعالى

عبادة

عبادة اذكر بها فكان اول داخل الى المسجد واخر خارج منه

لا يراه احد الصلوة الا قايما يصلي وصايما لا يفطر ويطلب

حسن الذكر فلبث لذي سبعة اشهر فكان لا يمر بقوم الا قالوا

فعل الله بهذا المراي وصنع فاقبل على نفسه فقال اراني

في غير شيء لاجعلن عملي كله لله تعالى فلم يزد على عمله الذي كان

يعمل قبل ذلك الا انه تغيرت نيته الى الخير وكان بعد ذلك

يمر على الناس فيقولون رحم الله فلانا الان قد اقبل على الخير

ثم قرا الحسن رحمه الله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات

سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحبهم ويحببهم الى المومنين ولقد

صدق القايل حيث قال يا مبتغي الحمد والثواب

في عمل تبتغي محالا قد خيب الله ذا رياء وابطل السعي والكلالا

من كان يرجو لقاء ربه اخلص من خوفه الفعالا فالخلد والنار في يديه

فما ايديه يعطل النوالا ما الناس لا يملكون شيا فكيف رايتهم ضلالا

واما العجب فليذكر فيه اصولا احدها ان الفعل انما صار له

قيمة لما وقع من الله عز وجل موقع الرضا والقبول والا فترى

الاجير يعمل طول النهار بدرهمين والحارس يسهر طول الليل

بدانقين وكذلك اصحاب الصناعات والحرف كل واحد يعمل في

الليل والنهار فيكون قيمة ذلك دراهم معدودة فان صرفت

العمل الى الله تعالى فضمت لله عز وجل يوما قال انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب ففى الخبر اعددت لعبادى
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر فهذا يومك الذى قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم
صار له هذه القيمة يباح غدا الى عشاء ولو قمت ليله لله عز
وجل قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين
جزاء بما كانوا يعملون فهذا الذى قيمته دانقان او درهمان
صار له كل هذه القيمة والقدر بل لو جعلت لله تعالى ساعة
تصلى فيها ركعتين خفيفتين بل نفسا قلت لا اله الا الله قال
تعالى ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فاولئك يدخلون
الجنة يرزقون فيها بغير حساب فهذه ساعة من انفاسك
التى لا قيمة لها عند اهل الدنيا ولا عندك فكم تضيعها فى
لا شى ولا تمر عليك بلا فايدة صار لها كل هذا القدر لماذا
لما انها قد وقع مرضيا لله تعالى فعظم قدره وكثرت قيمتها بفضله
نحو اذن للعاقل ان يرى حقارة عمله وقلة مقداره من حيث
هو وان لا يرى الا منة الله تعالى عليه فيما شرف من قدر عمله و
اعظم من جزائه وان يحذر على فعله من ان يقع على وجه لا يصلح
لله عز وجل ولا يقع منه موقع الرضا فيذهب عنه القيمة التى

حصلت له ويعود الى ما كان فى الاصل من الثمن الحقير من دراهم
ودوانيق واحقر واخس من ذلك ومثاله ان العنقود من
العنب والاضبارة من الريحان يكون قيمته فى السوق دانقا
فاذا اهداه واحد الى ملك ذى سماحة فوقع منه موقع
الرضا فيهب له على ذلك الف دينار لما وقع من الملك
موقع الرضا فصار ما قيمته حبة ما بلغ الف دينار فاذا لم يرضه
الملك ورده عليه رجع الى قيمته الخسيسة من حبة او دانق
فكذلك ما نحن فيه فتنبه وابصر منة الله عز وجل وصن فعلك
عما يشينه عند الله تعالى والثانى ما يعلم ان الملك فى
الدنيا اذا اجرى على احد جراية من طعام او كسوة او دراهم
او دنانير معدودة فانية فانه سيخدمه بضروب الخدمة اناء
الليل والنهار مع ما فى ذلك من الذل والصغار ويقوم على
راسه حتى تخدر رجلاه ويسعى بين يديه اذا ركب وربما احتاج
ان يكون على بابه طول الليل حارسا وربما يبدو له عدو فيحتاج
ان يقاتل عدوه فيبذل روحه التى لا خلف عنها لاجله كل
هذه الخدمة والكلف والخطر والضرر لاجل تلك المنفعة
الحقيرة النكدة مع انها بالحقيقة من الله عز وجل وانما هو
بمنزلة سبب فى ذلك فربك الذى خلقك ولم تك شيئا ثم رباك

باحسن التربية ثم انعم عليك من النعم الظاهرة والباطنة في
دينك ونفسك ودنياك ما لا يبلغ كنهها فهمك ووهمك
قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انك تصلي
ركعتين مع ما فيهما من المعايب والآفات ومع ما وعد عليها
في المستقبل من حسن الثواب وضروب الكرامات حتى تستعظم
ذلك وتعجب فليس هذا من شان عاقل اذا ابصرت فهذه هذه
والاصل الثالث ان الملك الذي من شانه ان يخدمه
الملوك والامراء ويقوم على راسه السادات العظماء ويرجى
الالباء والحلماء ويطلب مدحه العقلاء والعلماء ويمشي
بين يديه الاكابر والرؤساء اذا اذن لسوقي او دهقان او قروي بمقتضى البراءة
وعناية له في بابه حتى زاحم اولئك الملوك والسادات و
الاكابر والافاضل في خدمته ومدحته ويجعل له مقاما من حضرته
معلوما وينظر الى خدمته بعين الرضا وان كانت مشوشة معيوبة
اليس يقال لقد كثرت على هذا الحقير المنة من الملك وعظمت
عناية فان اخذ هذا الحقير يمن على الملك بتلك الخدمة المعيوبة
ويستعظم ذلك ويعجب به الا يقال ان ذلك لسفيه جدا
ومجنون لا يعقل شيئا ولما تقرر هذا فان الهنا عز وجل
هو الملك الذي تسبح له السموات والارضون ومن فيهن

وان من شيء الا يسبح بحمده والمعبود الذي يسجد له من في
السموات والارض طوعا وكرها فمن الخدم على بابه جبرئيل و
ميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والكروبيون
والروحانيون وساير الملائكة المقربين الذين لا يحصى عددهم
الا رب العالمين في منازلهم الرفيعة وانفسهم الطاهرة و
عباداتهم العظيمة ثم من خدامه الذين على بابه آدم ونوح و
ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد خير العالمين مع ساير الانبياء
والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين في مراتبهم المنيفة و
مناقبهم العزيزة ومقاماتهم الكريمة وعباداتهم الجليلة
الخطيرة ثم من العلماء والائمة الابرار والزهاد في مراتبهم العظيمة
الفاخرة وابدانهم النقية الطاهرة وعباداتهم الكثيرة الخالصة
المتظاهرة واذل الخدم على بابه ملوك الدنيا وجبابرتها يخرون
له على الاذقان ساجدين ويعفرون الوجوه في التراب خاضعين
ويرضون له بالعبودية والنقص عانين صاغرين حتى ربما ينظر
اليهم نظرة ويقضي لهم بفضله حاجة ويتجاوز عنهم بكرمه زلة
مع هذه العظمة والجلال والملك والكمال قد اذن لك
في حقارتك وعيوبك وانت الذي لو استاذنت على رئيس
بلدك فربما لا ياذن لك وان كلمت امير ناحيتك فربما لا

بكليك وان تجدت لسلطان بلدك بالارض فزعا الا التفت
اليك اذن لك جل جلاله حتى تعبده وتثني عليه وتخاطبه
بل تدل عليه بالمسئلة وتباسطه فتستقضي حاجتك
وتستكفيه مهماتك ثم انه يرضى بركعتك في مناجاتهما بل يعدّ لك
الثواب عليهما ما لا يخطر بقلب بشر وانت مع ذلك يعجب بهاتين
الركعتين وتستكثر ذلك وتستعظمه ولا ترى منة الله عز و
جل في ذلك فما اشوك عن عبد وما اجهلك من انسان
والله المستعان واليه المشتكا من هذه النفس الجاهلة و
عليه التكلان فهذه هذه فصل وعلى وجه اخر
الملك العظيم اذا اذن بادخال الهدايا اليه فيدخل بحضرته
من الامراء والكبراء والروسا والنبلاء والاغنياء بانواع الهدايا
والجواهر الثمينة والذخاير النفيسة والاموال الجليلة فان جاء
بقال بباقة بقل او فروه دسبله خبز يساوي دانقا او حبة
فيدخل في حضرته ويزاحم اولئك الاكابر الاغنياء بهداياهم
الكثيرة الشريفة وهذا الملك يتقبل من هذا الفقير هديته
وينظر اليه بنظر القبول والرضا ويامر له بانفس خلعة وكرامة
الا يكون ذلك من غاية الفضل والكرم فان اخذ هذا الفقير
يمن بذلك على الملك ويعجب به ويستعظمه ويثني ذكر منه

سفينه

الملك الا يقال ان هذا مجنون مضطرب العقل او سفيه سيئ
الادب عظيم الجهل والان انك اذا قمت ليلة وصليت ركعات
فاذا فرغت فتفكر كم قام لله تعالى في هذه الليلة من الخدم في
اقطار الارض برها وبحرها وجبالها وبلادها من اصناف
المستقيمين والصديقين والخايفين والمشتاقين والمجتهدين
والمتضرعين وكم حضرت في هذه الساعة بباب الله تعالى
من عبادة صافية وخدمة خالصة عن انفس خاشعة والسن
ظاهرة وعيون باكية وقلوب عامرة وصدور نقية واركان
تقية وصلاتك ان كنت بذلت المجهود في تحسينها واحكامها
واخلاصها فلا تكاد تصلح بحضرت هذا الملك العظيم ولا
تثبت في جنب تلك العبادات التي تعرض هناك كيف وقد
كانت منك عن قلب غافل مختلط بانواع العيوب وبدن
نجس باقذار الذنوب ولسان متلطخ بانواع المعاصي والفضول
فكيف تصلح ان تحمل الى تلك الحضرة وكيف تستحق ان تهدى الى
رب العالمين قال شيخنا انظر ايها العاقل هل وجهت صلاة
قط من صلاتك الى السماء كابرة قد بعثتها الى بيوت الاغنياء
وكان ابو بكر الوراق يقول ما فرغت من صلوة الا واستحييت
حين فرغت منها اشد من حياء امراة فرغت من الزنا ثم از الرب

...زة

الكريم بمحض كرمه وفضله عظم قدر هاتين الركعتين ووعد
عليهما من جزيل الثواب ما وعد وانت عبده وفي جرايته وعملت
ما عملت بتوفيقه وتيسيره ثم مع ذلك تعجب بك وتمنى نعمة الله
عز وجل عليك هنا والله العجب لا يكاد يذهب بمثله الا عن
جاهل لا فكر له وغافل لا ذهن له وقلب ميت خاو لا خير فيه
فهذه هذه نسئل الله عز وجل حسن الكفاية بمنه وفضله

فصل ثم اقول بعد هذا الجملة تيقظ من رقدتك
ايها الرجل في هذه العقبة اشد واشق واضر وامر عقبة
استقبلتك في هذه الطريق اذ اليها ينتهي ثمرة كل ما مضى من العقاب
فان سلمت غنمت وربحت وان كانت الاخرى فقد ضاع السعي كله
وخاب الامل وبطل العمل ثم الشان كله انه قد اجتمع في هذه العقبة
ههنا ثلثة امور الاول ان الامر دقيق جدا والغبن شديد
والخطر عظيم اما دقة الامر فان مجاري الرياء والعجب في الاعمال
خفية دقيقة بالغاية فلا يكاد يتنبه لذلك الا كل نحرير في امر الدين
بصير يقظان القلب متحرز واني يطلع عليه الجاهل المغرور الغافل
النوم ولقد سمعت بعض علماء نيسابور يحكي ان عطاء السلمي رحمه الله
نسج ثوبا فاحكمه وحسنه جدا ثم حمله الى السوق فعرضه فاسترخصه
البزاز وقال ان فيه عيوبا كيت وكيت فاخذه عطاء وجلس يبكي

بكا

بكاء شديدا فندم الرجل على ذلك وجعل يعتذر اليه ويبذل له
في ثمنه ما يريد فقال عطاء ليس ذلك ما تظن انما انا عامل في
هذه الصناعة وقد اجتهدت في احكام هذا الثوب واصلاحه
وتحسينه حتى لا يوجد به عيب فلما عرض على البصير بعيوبه اظهر
فيه عيوبا كنت عنها غافلا فكيف اعمالنا هذه اذا عرضت غدا
على الخبير البصير كم يبدو فيها من العيوب والنقصان الذي
نحن اليوم عنها غافلون وعن بعض الصالحين قال كنت ليلة
في وقت السحر في غرفة لي ساعة اقرا سورة طه فلما ختمتها غفوت
غفوة فرايت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين
يدي فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة
الا كلمة واحدة فاني رايت مكانها محوا ولم ار تحتها شيا فقلت
والله لقد قرات هذه الكلمة ولا ارى لها ثوابا ولا اراها
اثبت فقال الشخص صدقت قراتها وكتبناها الا انا سمعنا
مناديا ينادي من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها فبكيت
في منامي وقلت لم فعلتم ذلك قالوا مر رجل فرفعت بها صوتك
لاجله فذهب ثوابها فهذه هذه واما شدة الغبن فلان الرياء
والعجب افة عظيمة يقع في لحظة فربما يفسد عليك عبادة سبعين
سنة وحكي ان رجلا اضاف سفيان الثوري واصحابه وقال

لاهله هاتوا الطبق لا الذي اتيت به في الحجة الاولى بل الذي
اتيت به في الحجة الثانية فنظر اليه سفيان وقال مسكين
قد افسد عليه هذا تحسينه ووجه اخر في الغبن ان اقل طاعة
سلمت عن هذا الرياء والعجب يكون لها من الله عز وجل من القيمة
ما لا نهاية لها واكثر طاعة اذا اصابتها هذه الآفة بقيت بلا قيمة
الا ان يتداركها الله عز وجل على ما روي عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب
عليه السلام انه قال لا يقل عمل مقبول البته وكيف يقل عمل مقبول
وسئل النخعي عن عمل كذا وكذا ما ثوابه فقال اذا قبل لا
يحصى ثوابه وعن وهب قال كان قبلكم رجل عبد الله عز وجل
سبعين عاما صايما يفطر من سبت الى سبت فطلب الى الله
تعالى حاجة فلم تقض فاقبل على نفسه وقال من قبلك اتيت لو
كان عندك خير لقضيت حاجتك فانزل الله عز وجل ملكا
فقال يا ابن ادم ساعتك التي ازريت نفسك خير من عبادتك
اي عيرتها واعتبت عليها
التي مضت قلت فلينظر العامل الى هذا الكلام اليس من الغبن
ان واحدا يكدح ويتعب سنه واخر يتفكر ساعة واحدة
فيكون فكره ساعة واحدة افضل من عبادة سبعين سنة
اليس من الغبن العظيم انك متمكن من ساعة خير من سبعين سنة
فتترك ذلك من غير حاجة بلى والله انه لاعظم الغبن وان

عن امير المؤمنين و امام المتقين و يعسوب م

سبعين م

الخطا

اشتغاله لاشد خسرانا وان الخصلة التي بها هذه القيمة والخطر يجب
ان يحذر من فواتها ويجتنب ولمثل هذا المعنى انما وقع نظر اولي
الابصار من العباد في مثل هذه الدقايق واهتموا لمثل هذه الاسرار
واشتغلوا اعمارهم فيها اولا ثم رعايتها والتحفظ عنها ثانيا ولم تغنهم
كثرة الاعمال بالظاهر وقالوا الشان في الصفوة لا في الكثرة و
قالوا جوهرة واحدة خير من الف خرزة واما الذين قل علمهم وكل
في هذا الباب نظرهم جهلوا المعاني واغفلوا ما في القلوب من
العيوب واشتغلوا باتعاب النفس من الركوع والسجود والامساك
عن الطعام والشراب ونحوه فغرهم العدد والكثرة ولم ينظروا
الى ما فيها من المخ والصفوة وما يغني عدد الجوز ولا لب فيه و
ما ينفع رفع السقوف ولم تحكم مبانيها وما يعقل هذه الحقايق
الا العالمون بالله عز وجل المكاشفون والله عز وجل ولي
الهداية بفضله واما عظم الخطر فمن وجوه احدها ملك لا نهاية لجلاله
وعظمته وله عليك نعم لا يعد ولا يحصى ولك بدن معيوب بعيوب
خفية مؤوف بآفات كثيرة والا مخوف ان وقع ذلك مع تسارع
النفس اليه فتحتاج ان تستخرج عملا صافيا سالما من بدن معيوب
ونفس مايلة الى الشر امارة بالسوء على وجه يصلح لرب العالمين
في جلالته وعظمته وكثرة اياديه ومننه ويقع منه موقع الرضا و

القبول والا فيفوتك الربح العظيم الذي لا تسمح النفس بفوته
بل ربما يصيبك فيه مصيبة لا طاقة لك بها فهذا والله شان
عظيم وخطب جسيم اما جلال الملك وعظمته بحيث ان الملائكة المقربين
الابرار قايمون له بخدمته اناء الليل والنهار حتى ان منهم من هو
من خلقه الله تعالى في قيام ومنهم من هو في ركوع ومنهم من هو
في سجود ومنهم من هو في تسبيح وتهليل فلا يتم القايم قيامه ولا
الراكع ركوعه ولا الساجد سجوده ولا المسبح تسبيحه مادّا به
صوته الى نفخة الصور ثم لما فرغوا من هذه الخدمة العظيمة نادوا باجمعهم
سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وهذا سيد المرسلين وخير
العالمين اعلم الخلق وافضلهم محمد صلى الله عليه وسلم يقول
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك يقول الا لا اقدر
ان اثني عليك بما انت له اهل فضلا ان اعبدك كما انت
له اهل وهو الذي يقول ليس احد يدخل الجنة بعمله قالوا
او لا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته
واما النعم والايادي فكما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها وعلى ما روي انه يحشر الناس على ثلثة دواوين ديوان
الحسنات وديوان السيئات وديوان النعم فيقابل الحسنات
بالنعم فلا تفي بنعمة حتى تتم الحسنات وتبقى السيئات والذنوب

فلله

فلله عز وجل منها المشية واما عيوب النفس وافاتها فقد قدمناها
في بابها والامر المخوف ان العبد يكدح ويداب سبعين سنة غافلا
عن عيوبه وافاته فربما لا يكون واحد منها مقبولا وربما تعب
اعواما فيفسده بساعة واحدة واعظم خطرا من ذلك كله
انه ربما ينظر الله تعالى الى العبد وهو يري الناس بعبادته ويرد
خدمته وجعل ظاهره لله تعالى وباطنه وقلبه للخلق فيطرده طردا
لا مرد له والعياذ بالله سبحانه ولقد سمعت بعض العلماء يحكي
عن الحسن البصري انه رأى في المنام بعد موته فسئل عن حاله
قال اقامني الله تعالى بين يديه وقال يا حسن اتذكر يوما كنت
تصلي في المسجد اذ رمقك الناس بابصارهم فزدت في صلاتك
حسنا فلولا ان اول صلوتك كان خالصا لطردتك اليوم عن
بابي مرة واحدة ولما كان الامر في الجملة من الدقة والصعوبة الى
حد عظيم نظر اولوا الابصار فيه فخافوا على انفسهم حتى ان منهم
من لا يلتفت الى جميع ما يظهر للناس من اعماله حتى حكي عن رابعة
انها قالت ما ظهر من اعمالي لا اعده شيا وقال آخر اكتم حسناتك
كما تكتم سيئاتك واخر يقول ان امكنك ان تجعل خبيئا من الخير
فافعل ولقد حكي انه قيل لرابعة بم ترجين اكثر ما ترجين قالت
بياسي من جل عملي وحكي انه اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار

فقال ما لك اما طاعة او النار فقال محمد بن واسع اما رحمة
الله تعالى او النار فقال ما لك ما احوجني الى معلم مثلك
وعن ابي يزيد البسطامي رحمه الله قال كابدت العبادة ثلاثين
سنة فرايت قايلا يقول يا ابا يزيد خزاينه مملوة من العبادة ان
اردت الوصول اليه فعليك بالذلة والافتقار وسمعت الاستاد
ابا الحسن يحكي عن الاستاد ابي الفضل انه كان يقول اني اعلم
ان ما اعمله من الطاعات غير مقبول عند الله عز وجل فقيل له في
ذلك فاجاب اني اعلم ما يحتاج اليه العمل حتى يكون مقبولا واعلم
اني لست اقوم بذلك فعلمت انه غير مقبول قيل له فلم تفعله قال عسى
ان يصلحه الله عز وجل فيكون النفس متعودة لعمل الخير فلا احتاج الى
ان اعودها ذلك من الراس فهذا حال هولاء الاعلام ذوي
المجاهدات والافتقار فاطلب لنفسك صحبة من عزمهم وقع الاياس
وخابت الامال هيهات تدرك بالتواني سادة كدوا النفوس
وساعدوا الاقبال ثم رايت ان اثبت هنا الخبر الماثور عن الصادق
المصدق صلوات الله عليه وسلامه وقد ذكرناه في غير كتاب روى
ابن المبارك عن رجل هو خالد بن معدان انه قال لمعاذ حدثني
حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه واله والى لقائه ثم قال
بينما انا عند رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذ ركب واردفني

وحفظه وذكره في كل
يوم من شدته ودقته
قال نعم ثم بكا طويلا ثم قال
واشوقاه الى رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم

ثم

ثم سرنا فرفع بصره الى السماء وقال الحمد لله الذي يقضي في خلقه ما
يشاء يا معاذ قلت لبيك يا سيد المرسلين قال احدثك حديثا
ان انت حفظته نفعك واقول انا عبد العلي لما كان هذا الحديث
هو امر كلام الكتاب الاحمق واسقاط الحديث من فعل
الى اخره مذكورا في عدة الداعي وغيره تركت كتابته هناك ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم وبعد ناظر وجملة الامر انك اذا
احسنت النظر فرايت قدر طاعة الله عز وجل ورايت عجز الخلق
وضعفهم وجهلهم فلا تلتفت اليهم بقلبك وكن زاهدا في ثنا
ومدحهم وتعظيمهم الذي لا فايدة تحته ولا تريد بطاعتك
شيا من ذلك ورايت خسة الدنيا وحقارتها وسرعة زوالها
فلا تريدها ايضا بطاعتك من الله عز وجل وتقول يا نفس
ثناء رب العالمين وشكره واعزازه خير من ثناء المخلوقين العاجزين
الجاهلين الذين لا يعرفون قدر عملك بالحقيقة وما تحملت فيه
وما يبلغون حقك فيما عملت بل ربما يفضلون عليك من هو
ادون حالا منك بالف درجة ويضيعونك في احوج الاوقات
ويحسونك وان لم يفعلوا ذلك فماذا عسى ان يكون بايديهم
والى ماذا يبلغ قدرتهم في قبضة الله عز وجل يصرفهم كيف
يشاء والى ما يشاء فاعقلي ايتها النفس ولا تضيعي طاعتك
العزيزة لله ولا يفوتك ثناء من ثناؤه فخر وعطاء من عطاؤه

نهم
ثم هم

كل دخرٍ ولقد صدق القائل سهر العيون لغير وجهك باطل
وبكاؤهن لغير فقدك ضايع وقل يا نفس اجنة الخلد خير ام
لطخة من حرام الدنيا وحطامها النكد الفاني وانتِ متمكنة
من ان تحصلي بطاعتك هذا النعيم المقيم فلا تكوني خسيسة
الهمة ودنية الارادة دنية الافعال اما ترين الكمام اذا كان سمائيا
كيف تغلو قيمته ويزداد قدره فارفعي همتك كلها الى السماء
وجردي قلبك لله تعالى الواحد الذي بيده الامر كله ولا
تضيعي ما ظفرتِ به من طاعتك بلا شيء وكذلك اذا احسنت
التامل فرايت ايادي الله تعالى ومننه العظام عليك في هذه
الطاعة اذ امكنك منها واعطاك الالة اولا ثم ازاح
العوائق حتى تفرغت لهذه الطاعة ثانيا ثم خصك بالتوفيق
والتاييد ويسرها عليك وزينها في قلبك حتى عملتها ثالثا
مع جلاله وعظمته واستغنائه عنك وعن طاعتك وكثرة
نعمه عليكِ اعدّ لكِ على هذا العمل اليسير الثناء الجزيل
والثواب العظيم الذي لا يستحقه رابعا ثم شكرك على ذلك
واثنى عليك واحبك بذلك خامسا هذه كلها بفضله
العظيم والا فباي استحقاق لك الحقير المعيوب فاذكري
ايتها النفس منة ربك الكريم الرحيم سبحانه فيما احسن

اليك في هذه الطاعة واستحيي من ان تلتفتي الى عمل بل
الفضل والمنة لله عز وجل علينا بكل حال ولا يكون لك
شغل بعد حصول هذه الطاعة الا التضرع والابتهال
الى الله سبحانه بان يتقبلها اما تسمعين قول خليله ابراهيم
صلى الله عليه واله لما فرغ من خدمته في بناء بيته كيف
ابتهل اليه في ان يتفضل عليه بالقبول فقال ربنا تقبل
منا انك انت السميع العليم ولما فرغ من دعائه قال
ربنا وتقبل دعاي ولئن من عليك بقبول هذه البضاعة
المزجاة فلقد كمل الله عز وجل المنة واعظم النعمة ويا لك
من سعادة ودولة وعز ورفعة وكم ترين لذلك من نعمة و
خلعة وذخر وكرامة وان يكون (يكن) الاخرى فيا لك من خسران
مبين وغبن وحرمان فاهتمي واشتغلي بهذا الشان فاذا
واظبت على مثل هذا وكررته على قلبك عند الفراغ من
طاعتك واستعنت بالله عز وجل صرفك عن الالتفات
الى الخلق والنفس وشغلك عن رياء واعجاب وبعثك
على محض الاخلاص لله عز وجل في الطاعات والتمسك
بذكر منة الله تعالى عليك في جميع الحالات ويحصل لك بها
طاعات طاهرة لا عيب فيها وخيرات خالصة لا شوب

فيها وعبادات مقبولة لا نقص فيها بل مثل هذه الطاعة
وان حصلت في العمر مثلا مرة واحدة لا غير فانها بالحقيقة
لكثيرة لعمري انها وان قلّ عددها لقد كثر معناها و
عظم قدرها وكثر نفعها وطاب عقباها وان التوفيق
لمثلها لعزيز والفضل به لله عز وجل على العبد لكثير واي
هدية اجل من هدية تقبلها رب العالمين واي سعي اكرم من
سعي يثني عليه ويشكره رب العالمين واي بضاعة اعز من
بضاعة اختارها ورضيها رب العالمين فتامل ايها المسكين
واياك ان تكون من المغبونين واذا جرى الامر على هذه الجملة
كنت من المخلصين لله تعالى الخالصين الذاكرين لمننه وكنت
خلفت هذه العقبة المخوفة وسلمت من افاتها وسبقت
بخيراتها وثمراتها فايزا على الابد بكراماتها وسعاداتها والله
سبحانه ولي التوفيق والعصمة بمنه ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم **العقبة السابعة** وهي عقبة الحمد و
الشكر ثم عليك وفقك الله وايانا بحسن توفيقه بعد قطع
هذه العقبات والظفر بالمقصود من العبادة السالمة
من الافات بالحمد والشكر لله سبحانه على هذه النعمة العظيمة
والمنة الكريمة وانما يلزمك ذلك لامرين احدهما لدوام النعمة

والثاني

والثاني لحصول الزيادة اما دوام النعمة فان الشكر قيد النعمة
به تدوم وتبقى وبتركه تزول وتحول قال الله تعالى لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال تعالى فكفرت بانعم الله
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون و
قال سبحانه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وقال
صلى الله عليه واله ان للنعم اوابد كاوابد الوحش فقيدوها
بالشكر واما حصول الزيادة فلما كان الشكر هو قيد النعمة
فهو عين الزيادة قال الله سبحانه لئن شكرتم لازيدنكم و
الذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا فالسيد الحكيم اذا راى العبد قد قام بحق نعمة
عليه ما جرى ويراه اهلا لها والا قطع ذلك عنه ثم ان
النعمة قسمان دنيوية ودينية فالدنيوية ضربان نعمة نفع
ونعمة دفع فنعمة النفع ان اعطاك المصالح والمنافع وهي
ضربان الخلقة السوية في سلامتها وعافيتها والملاذ الشهية
من المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغيرها من فوائدها
ونعمة الدفع ان صرف عنك المفاسد والمضار وهي ضربان
احدهما في النفس بان سلمك من زمانتها وساير افاتها و
عللها والثاني دفع ما يحصل به من ضرر من انواع العوايق

او يقصدك بسوء من انس او جان او سباع او هوام ونحوها
واما النعمة الدينية فضربان نعمة التوفيق ونعمة العصمة فنعمة التوفيق
ان وفقك اولا للاسلام ثم السنة ثم الطاعة ونعمة العصمة
ان عصمك اولا عن الكفر والشرك ثم عن البدعة والضلالة
ثم ساير المعاصي وتفصيل ذلك لا يحصى ولا يحصيه الا السيد
العالم الذي انعم عليك كما قال وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها وان دوام هذه النعم كلها بعد ما من بها عليك
والزيادة عليها من كل باب منها مما لا يبلغه وهمك كلها
متعلق بشيء واحد وهو الشكر والحمد وان خصلة تكون
لها هذه القيمة ويكون فيها كل هذه لحقيق ان تتمسك بها
من غير اغفال وانه جوهر ثمين وكيميا عزيز والله ولي التوفيق
بفضله فان قيل فما حقيقة الحمد والشكر وما معناهما وحكمهما
فاعلم ان العلماء فرقوا بين الحمد والشكر عند التحصيل بان الحمد
من اشكال التسبيح والتهليل فيكون من المساعي الظاهرة
والشكر من اشكال الصبر والتفويض فيكون من المساعي الباطنة
ولان الشكر يقابل الكفران والحمد يقابل اللوم ولان الحمد
اعم واكثر والشكر اخص واقل قال الله عز وجل وقليل من
عبادي الشكور فثبت انهما معنيان متميزان ثم الحمد هو الثناء

على احد بالفعل الحسن وهذا مقتضى كلام شيخنا واما الشكر
فتكلموا في معناه واكثروا وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال
الشكر هو طاعة بجميع الجوارح لرب الخلايق في السر والعلانية
والى نحوه ذهب بعض مشايخنا فقال الشكر هو اداء الطاعات
في الظاهر والباطن ثم رجع الى انه اجتناب المعاصي ظاهرا
وباطنا وقال غيره الشكر الاحتراس عن اختيار معاصي
تحترس على قلبك ولسانك واركانك حتى لا تعصي الله عز و
جل بشيء من هذه الثلثة بوجه من الوجوه والفرق بين قوله وبين
قول الشيخ الاول انه جعل الاحتراس معنا ثانيا زايدا على
الاجتناب عن المعاصي واما الاجتناب عن المعصية ما هو الا
ان لا يفعل المعصية عند دواعيها ولا يكون في نفسه معنى
محصلا يكون العبد به مشتغلا وعن الكفران معتصما
وقال شيخنا ان الشكر هو تعظيم المنعم وكفرانه ولو قلت
تعظيم المحسن على مقابلة احسانه ليصح ان يكون من الله عز و
جل الشكر للعبد المحسن وفيه تفاصيل قد شرحناها في كتاب احياء
علوم الدين وغيره ولكن التحصيل ان الشكر من العبد تعظيم
يمنع من جفاء من احسن اليه وذلك بتذكر احسانه وحسن حال
الشاكر في شكره وقبح حال الكافر في كفرانه قلت ان قال

على مقابلة نعمة على حد يمنع عن جفاء المنعم

ما يستوجبه المنعم بنعمة ان لا يتوصل بها الى معصية وما اقبح حال
من جعل النعمة من المنعم سلاحا على عصيانه فعلى العبد اذن
من فرض الشكر في حقيقته ان يكون له من تعظيم الله سبحانه ما يحول
بينه وبين معاصيه على حسب تذكر نعمه فاذا اتى بذلك
فقد اتى بما هو الاصل فيه ثم يقابل ذلك بجد من الطاعة وجهد في
القيام بالخدمة اذ هو من حقوق النعمة فلا بد من الاحتراس
عن المعصية بالله التوفيق فان قلت فما موضع الشكر فاعلم ان موضعه
النعم الدينية والدنيوية على اقدارها واما الشدائد والمصائب
في الدنيا في نفس ارا اهل او مال تكلموا في ذلك هل يلزم العبد الشكر
عليها قال بعضهم لا يلزم العبد الشكر عليها من حيث هي
وانما يجب فيها الصبر واما الشكر فهو على النعمة لا غير وقالوا
لا شدة الا وفي ضمنها نعم الله تع فيلزمه الشكر على تلك النعمة
المقترنة بها دون نفس الشدة وتلك النعم ما قال ابن عمر ما ابتليت
ببلية الا كان لله تعالى علي فيها اربع نعم اذ لم تكن في ديني واذ لم
تكن اعظم منها واذ لم احرم الرضا واذ رجوت الثواب عليها
وقد قيل ايضا من تلك النعم ان تلك الشدة زايلة غير دائمة
وانها من الله تع دون غيره وان كانت بسبب مخلوق فانها
لك عليه لا له عليك فاذن يلزم العبد الشكر على النعم المقترنة

بالشدة

بالشدة وقال اخرون وهو الاولى عند شيخنا ان شدائد
الدنيا مما يلزم العبد الشكر عليها لان تلك الشدائد نعم بالحقيقة
بدليل انها تعرض للعبد لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة واعواض
كريمة في العاقبة يتلاشى في جنبها مشقة هذه الشدائد واي
نعمة يكون اكبر من هذه ومثال ذلك من يسقيك دواء كريها
مر الداء شديدا او يفصدك او يحجمك لعلة عظيمة مخوفة الخطر
فيؤدي ذلك الى صحة النفس وسلامة البدن وصفوة العيش
فيكون ايلامه اياك بمرارة الدواء وجراحة الفصد والحجامة
نعمة بالغة بالحقيقة ومنة ظاهرة وان كان في صورة مكروهة
ينفر عنه الطبع ويستوحش منه النفس وانت تحمد الذي تولى
منك هذا بل تحسن اليه ما امكنك فلذلك حكم هذه الشدائد
اما ترى النبي صلى الله عليه واله كيف حمد الله عز وجل وشكره
على الشدائد شكره على المسار حيث قال الحمد لله على ما ساء
وسر اما ترى يقول فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا
كثيرا وما سماه الله عز وجل خيرا فهو اكثر مما يبلغه وهمك
ويؤكد هذا القول ان النعمة ليست خيرا عن اللذة وما تشتهيه
النفس بمقتضى الطبع انما هو ما يزيد في نفعها للدرجة ولذلك
يستعمل في معنى الزيادة فان كانت الشدة مما يصير سببا في زيادة

شرف العبد ورفع درجته فتكون نعمة بالحقيقة وان كانت
يعد في الشدايد والمحن بظاهرها فاعلم ذلك موفقا
فان قلت فالشاكر افضل ام الصابر فاعلم انه قد قيل ان الشاكر
افضل بدليل قوله عز وجل وقليل من عبادي الشكور فجعلهم
اخص الخواص وقال في نوح عليه السلم انه كان عبدا شكورا
وقال في ابراهيم عليه السلم شاكرا لانعمه ولانه في مرتبة الانعام
والعافية ولذلك قيل لئن انعم فاشكر احب الي من ان ابتلى
فاصبر وقيل بل الصابر افضل لانه اعظم مشقة فيكون اعظم
ثوابا وارفع منزلة قال تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد
وقال عز وجل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وقال تعالى والله يحب الصابرين قلت انما الشاكر بالحقيقة
لا يكون الا شاكرا لان الشاكر في دار المحنة لا يخلو من محنة
يصبر عليها لا محالة ولا يجزع فان الشكر تعظيم المنعم على حد
يمنع من عصيانه والجزع عصيان والصابر لا يخلو من نعمة
كما ذكرنا ان الشدايد نعم بالحقيقة على المعنى المتقدمة فان شكر
بالحقيقة اذ صبر لانه حبس نفسه عن الجزع تعظيما لله تعالى و
هذا هو الشكر بعينه اذ هو تعظيم يمنع عن العصيان ولان
الشاكر يمنع نفسه عن الكفران فصبر عن المعصية وحمل نفسه

الا صابرا والصابر
بالحقيقة لا يكون

على الشكر وصبر على الطاعة وصار صابرا على الحقيقة والصابر
عظم الله تعالى حتى منعه تعظيمه عن الجزع فيما اصابه وحمله على
الصبر فقد شكر الله تعالى فصار شاكرا بالحقيقة ولان حبس
النفس عن الكفران مع قصد النفس لها شدة يصبر عليها الشاكر
وتوفيق الصبر والعصمة نعمة يشكر عليها الصابر فاحدهما
لا ينفصل عن الاخر ولان البصيرة الباعثة عليهما واحدة وهي
بصيرة الاستقامة في قول بعض علمائنا فمن هذه الوجوه قلنا
ان احدهما لا ينفك عن الاخر فاعرف هذه الجملة وبالله التوفيق

فصل فعليك ايها الرجل ببذل المجهود في قطع
هذه العقبة اليسيرة المونة الكثيرة الجدوى العزيزة العظيمة
العظيمة القدر وتامل اصلين احدهما ان النعمة انما تعطى من يعرف
قدرها وانما يعرف قدرها الشاكر ودليل ما قلناه قوله عز
وجل في الحكاية عن الكفار والرد عليهم اهؤلاء من الله عليهم
من بيننا فاجابهم الله تعالى بهذه النكتة الزاهرة اليس الله باعلم
بالشاكرين ظن اولئك الجهال ان النعمة العظيمة والمنة الكريمة انما
تعطى من يكون اكثرهم مالا واشرفهم حسبا ونسبا فقالوا اما بال
هولاء الفقراء بزعمكم من العبيد والاحرار اعطوا هذه النعمة العظيمة
دوننا فقالوا على سبيل الاستنكار ومعنى الاستهزاء اهولاء من الله

عليهم من بيننا فاجابهم الله عز وجل بهذه النكتة الزاهرة
اليس الله باعلم بالشاكرين تقديرا لكلام ان السيد الكريم
انما يعطي نعمة من يعرف قدرها وانما يعرف قدرها من
اقبل بنفسه وقلبه فاختارها على غيرها ولا يعبأ بما يحمل من
اعباء المونة في تحصيلها ثم لا يزال قائما بالباب يؤدي شكرها
وكان في علمنا السابق ان هولاء الضعفاء يعرفون هذه النعمة
ويقومون بشكرها فكانوا اولى بهذه النعمة منكم فلا اعتبار
بغناكم ولا ثروتكم ولا جاهكم في الدنيا ولا حشمتكم ولا بنسبكم
في الانساب ولا حسبكم انما تحسبون ان النعمة كلها الدنيا وحطامها
والحسب والنسب وعلوه لا الدين والحق ومعرفته وانما تعظمون
ذلك وتتفاخرون به اما ترون انكم لا تكادون تقبلون هذا
الدين والعلم والحق الا بمنة على ما اتاكم به وذلك لاستحقاركم
اياه وقلة مبالاتكم به وان هولاء الضعفاء يقتلون انفسهم
على ذلك ويبذلون مهجهم فيه ولا يبالون بما فاتهم وعن عاداهم
مع ذلك ليعلموا انهم هم الذين عرفوا قدر هذه النعمة ورسخ
في قلوبهم تعظيمها وهان عليهم فوت كل شيء دونها وطاب
لهم احتمال كل شدة يستغرقون جميع العمر في شكره فلذلك استحقوا
هذه المنة الكريمة والنعمة في سابق علمنا وخصصناهم دونكم

فهذه

فهذه هذه ثم اقول وكذلك كل فريق من الناس خصهم الله
عز وجل بنعمة من نعم الدين علم او عبادة فانك تجدهم بالحقيقة
اعرف الناس بقدرها واشدهم تعظيما لها واجدهم في تحصيلها
واعظمهم في اكرامها واقومهم بشكرها والذين حرمهم ذلك
فلقلة احتفاظهم وتعظيمهم لحمتها بعد القدر السابق فلو كان
تعظيم العلم والعبادة في قلوب السوقية والعامة مثل ما هو
في قلوب العلماء والمتعبدين لما اثروا سوقهم عليه وهان عليهم
تركه الا ترى ان فقيها اذا ظفر بتعليم مسئلة كانت ملتبسة
عليه كيف يرتاح قلبه ويعظم سروره ويحل موقعها من قلبه
حتى ربما لو وجد الف دينار لما كان يعدل ذلك وبها يهمه
امر مسئلة في باب الدين فيتفكر فيها سنة بل عشرا بل عشرين واكثر
لا يستكثر ولا يمل حتى ربما رزقه الله عز وجل فهم ذلك بعده
اعظم منة واكثر نعمة ويرى نفسه بذلك اغنى كل غني واشرف كل
شريف ثم ربما يبين لسوقي مثل هذه المسئلة او يتعلم كسلان
يرى نفسه انه مثله في الرغبة في العلم والمحبة له فلا يستمع اليه حقه
وربما ان طال عليه الكلام يمل وينام وان تبين ذلك له فلا بعده
كبير امر وكذلك المنيب الى الله تعالى كم يجتهد ويذاب بالرياضة
وصيانة النفس عن الشهوات واللذات والحلم الاركان في

الحركات والسكنات عسى ان يتم الله عز وجل له ركعتين في
ادب وطهارة وكم يتضرع الى الله عز وجل عسى ان يرزقه ساعة
مناجاة بصفوة وحلاوة ولئن ظفر بذلك في شهر مرة بل
في سنة مرة بل في عمره كله مرة عد ذلك اكثر منة واعظم نعمة فكم
يسر وكم يشكر الله تعالى ولا يكترث بما قاساه من المشقة
وكابد من الليالي وهجر من اللذات فيها ثم ترى الذي يزعم انه
راغب في العبادة يحب ان يحصل منها شيئا لو احتاج احدهم
في تحصيل مثل هذه العبادة الصافية الى نقصان لقمة من عشائهم
او ترك كلمة لا يعنيهم او دفع نوم ساعة عن اعينهم فلا تسمح
انفسهم بذلك ولا تطمئن قلوبهم فان اتفق لهم في النادر صحيح
عبادة في صفوة فلا يعدونه خطيرا امرا ولا يقدمون فيه كبير شكر
انما يعظم سرورهم ويكثر بالظاهر حمدهم اذا حصل لهم درهم و
استقامت لهم كسرة او طابت لهم مرقة او طال لهم في سلامة
البدن رقدة فيقولون عند ذلك الحمد لله هذا من فضل الله فاني
يساوي هؤلاء الغافلون العاجزون اولئك السعداء المجدين
المجتهدين ولذلك صار هؤلاء المؤيدون برظاهرين فايزين و
كذلك قسم الله احكم الحاكمين وهو اعلم العالمين بهذا التفضيل
قوله عز وجل اليس الله باعلم بالشاكرين فنعم وراعه حقه

المساكين من هنا الحين محرومين واولئك م

واعلم انك لم تحرم قط خيرا انت تتمناه الا من قبل نفسك فابذل
المجهود لتعرف قدر نعمة الله وتعظمها حق تعظيمها فتكون اهلا
لها ولا عطائها ثم يمن عليك ببقائها كما من عليك بابتدائها
على ما نذكره في الاصل الثاني انه هو الرؤوف الرحيم **الاصل
الثاني** ان النعمة انما يسلب ممن لا يعرف قدرها والذي لا يعرف
قدرها الكفور الذي كفرها ولا يودي شكرها ودليل ذلك
قوله تعالى واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه
الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها الاية تقدير
الكلام انا انعمنا على هذا العبد بالنعم العظام والايادي الجسام
في باب الدين بما مكناه بذلك من تحصيل الرتبة الكبيرة والمنزلة الرفيعة
على بابنا فيصير رفيعا عندنا عظيم القدر كبير الجاه ولكنه جهل قدر
نعمتنا فمال الى الدنيا الخسيسة الحقيرة واثر شهوة نفسه الدنية
الردية ولم يعلم ان الدنيا كلها لا تزن عند الله تعالى عند ادنى
نعمة من نعم الدين جناح بعوضة فكان في ذلك بمنزلة الكلب
الذي لا يعرف الاكرام من الاهانة والرفعة والشرف من الحقارة
وانما الكرامة كلها عنده في كسيرة يطعم او في عراق مايدة ترمى
اليه سواء يقعد على سرير معك او يقيمه في التراب والقذر بين
يديك فاهانته وكرامته ونعمة كلها في ذلك فهذا العبد السوء

اذا جهل قدر نعمتنا ولم يعرف حق ما اتيناه من كرامتنا وكلت
بصيرته وساء في مقام القرب ادبه بالالتفات الى غيرنا والى
الاشتغال عن ذكر نعمتنا بدنيا حقيرة ولذة خسيسة فنظرنا
اليه نظر السياسة واحضرناه ميدان العدل وامرنا فيه بحكم التجريد
فسلبنا جميع خلعنا وكرامتنا عنه ونزعنا عن قلبه معرفتنا
فانسلخ عاريا عن جميع ما اتيناه من فضلنا فصار كلبا طريدا
وشيطانا مريدا نعوذ بالله من سخطه واليم عقابه فانه بنا
رؤوف رحيم ثم اتبع مثال الملك يكرم عبدا له فيخلع عليه خاصة
ثيابه ويقربه منه ويجعله فوق ساير خدامه وحجابه وامره بملازمة
بابه ثم امر ان يبنى له في موضع اخر القصور ويوضع له الاسرة
وتنصب له الموايد ويزين له الجواري ويقام له الغلمان حتى اذا
رجع من الخدمة اجلس هناك ملكا مخدوما مكرما وما بين حال
خدمته الى ملكه وولايته الا ساعة من نهار او اقل فان ابصر هذا
العبد بجانب باب الملك سايسا للدواب ياكل رغيفا
او كلبا يمضغ عظما فيشتغل عن خدمة الملك بنظره اليه واقباله
عليه ولا يلتفت الى ما له من الخلع والكرامة ويسعى الى ذلك
السايس ويمد يده ويساله كسرة من رغيفه او يزاحم الكلب
على عظمه ويغبطهما ويعظم ما هما فيه اليس الملك اذا نظر اليه

على مثل هذه الحالة يقول هذا السفيه لا يعرف حق كرامتنا
وقدر اعزازنا اياه بخلعنا والتقريب الى حضرتنا ما صرفنا اليه
من عنايتنا وامرنا له من الذخاير وضروب الايادي ما هذا الا
ساقط الهمة عظيم الجهل قليل التميز اسلبوه الخلع واطردوه
عن بابنا فهذا حال العالم اذا مال الى الدنيا والعابد اذا
اتبع الهوى فبعد ما اكرمه الله عز وجل بعبادته ومعرفته
اياته وشريعته واحكامه ثم لم يعرف قدر ذلك فيصير الى احقر
شيء عند الله تعالى واهونه عنده ويرغب فيه ويحرص عليه
ويكون اعظم في قلبه واحب اليه من جميع ما اعطى من تلك النعم
العزيزة من العلم والعبادة والحكم والحقايق وكذلك من
خصه الله عز وجل بانواع توفيقه وعصمته وزينه بانوار خدمته
وعبادته ويديم النظر اليه بالرحمة في اكثر اوقاته ويباهي
به ملائكته واعطاه على بابه الوجاهة والعبادة واحله محل
الشفاعة وانزله منزل الاعزة حتى صار بحيث لو دعاه لاجابه
ولباه ولو ساله لاعطاه واغناه ولو شفع في عالم لشفعه
فيهم وارضاه ولو اقسم عليه لابره واوفاه ولو خطر بباله
شيء لاعطاه قبل ان يساله بلسانه فمن كانت هذه حاله
ثم لم يعرف قدر هذه النعمة ويعدل عن ذلك الى شهوة نفس

ودية لا حياء لها او لعفنة من الدنيا الدنية التى لا بقاء لها

ولم ينظر الى تلك الكرامات والخلع والهدايا والمنن و

العطايا ثم ما وعد واعد له فى الاخرة من الثواب العظيم والنعيم

المقيم فما احقرها من نفس وما اشواه من عبد وما اعظم

خطاه لو علم وما الخسّ صنعه لو فهم نسأل الله عز وجل الكريم الرحيم

ان يصلحنا بعظيم فضله وسعة رحمته انه ارحم الراحمين فعليك

ايها الرجل ببذل المجهود حتى تعرف قدر نعم الله عز وجل عليك

فاذا انعم عليك بنعمة الدين فاياك ان تلتفت الى الدنيا وحطامها و

فان ذلك منك لا يكون الا بضرب من التهاون بما اولاك ربك

تعالى من نعم الدين اما تسمع قوله تع لسيد المرسلين ولقد اتيناك

سبعا من المثانى والقران العظيم لا تمدن عينيك الى ما

متعنا به ازواجا منهم الاية تقديره ان من اوتى القران العظيم

حق له ان لا ينظر الى الدنيا الحقيرة نظرة باستحلاء فضلا عن

ان يكون له فيها رغبة وليلزم الشكر على ذلك فانه الكرامة

التى حرص خليله ابراهيم عليه السلم ان يمن بها على ابيه فلم يفعل

وحرص حبيبه المصطفى صلى الله عليه واله ان يمن بها على عمه فلم يفعل

واما حطام الدنيا فانه يصيبه على كل كافر وفرعون وملحد و

زنديق وجاهل وفاسق الذين هم اهون خلقه عليه حتى غرقوا

فيه ويصرفه عن كل نبى وصديق وصفى وعالم وعابد الذين هم

لعز خلق الله تعالى عليه حتى انهم لا يكادون يصيبون كسرة وخرقة

ويمن عليهم بان لا يلطخهم بقذرها حتى قال عز وجل لموسى

صلى الله على نبينا وعليه لو اشاء ان ازينكما بزينة علم فرعون

حين يراها ان مقدرته تعجز عنها لفعلت ولكنى ازوى

عنكما الدنيا وارغب بكما عنه وكذلك افعل باوليائى وانى لاذودهم

عن نعيمها كما يذود الراعى الشفيق ابله عن مبارك العرة وانى

لاجنبهم شهواتها وعيشها وليس ذلك لهوانهم على ولكن

ليستكملوا حظهم من كرامتى وقال عز وجل ولولا ان يكون

الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا

من فضة الاية فانظر الفرق بين الامرين ان كنت مبصرا وقل

الحمد لله الذى من علينا بمنن اوليائه واصفيائه وصرف

عنا فتنة اعدائه ولنخص بالشكر الاوفر والحمد الاكثر المنة

الكبرى والنعمة العظمى التى هى الاسلام فانها الاولى والاحرى

بان لا تفتر ليلك ونهارك عن شكرها وان كنت عاجزا

عن عرفان قدرها فاعلم بالحقيقة انك لو خلقت من اول

الدنيا واحدث فى شكر الاسلام من اول الوقت الى الابد

لما كنت تقوم بذلك ولما قضيت بعض الحق لما هنا لك من

[illegible]

العوز العظيم قلت واعلم ان الموضع لا يحتمل ذكر ما يبلغه
من قدر هذه النعمة ولو املیت فیه الف ورقة لکان مبلغ
علمی علی فوق ذلك مع اعترافی بان ما اعلمه فی جنب ما لا اعلمه
کنقطة فی بحار الدنیا باسرها اما تسمع ویحك قوله لسید المرسلین
صلی الله علیه وآله ما کنت تدری ما الکتاب ولا الایمان
الی ان قال وعلمك ما لم تکن تعلم وکان فضل الله علیك
عظیما وقال تعالی للقوم بل الله یمن علیکم ان هداکم للایمان
اما تسمع قوله صلی الله علیه وآله قد سمع رجلا یقول الحمد لله علی
الاسلام فقال انك تحمد الله عز وجل علی نعمة عظیمة ولما قدم
البشیر علی یعقوب علیه السلام قال علی ای دین ترکته قال
علی دین الاسلام قال الان تمت النعمة وقیل ما من کلمة احب
الی الله عز وجل ولا ابلغ عنده فی الشکر من ان یقول
العبد الحمد لله الذی انعم علینا وهدانا للاسلام وایاك
ان تغفل عن الشکر وتغتر بما انت علیه فی الحال من الاسلام
والمعرفة والتوفیق والعصمة فان مع ذلك لا موضع للامن
والغفلة فان الامور بالعواقب کان سفیان الثوری
رحمه الله اما امن احد علی دینه الا سلب وکان شیخنا یقول
اذا سمعت بحال الکفار وخلودهم فی النار فلا تامن علی نفسك

النعمة ارسال النبي خوا

يقول رحم

قال

فان الامر علی الخطر ولا تدری ماذا یکون من العاقبة وماذا سبق
لك فی حکم الغیب فلا تغتر بصفاء الاوقات فان تحتها غوامض
الافات وقال بعضهم یا معشر المغترین بالعصم ان تحتها انواع
النقم زین الله عز وجل ابلیس بانواع عصمته وهو عنده فی
لعنته وزین بلعام بن بعور بانوار ولایته وهو عنده فی
حقایق عداوته وعن امیر المومنین وامام المتقین ویعسوب
الدین اسد الله الغالب علی بن ابی طالب علیه الصلوة والسلم
کم من مستدرج بالاحسان وکم من مفتون بحسن
القول فیه وکم من مغرور بالستر علیه وقیل لذی النون ما اخفی
ما یخدع به العبد قال باللطف والکرامات ولذلك
قال سبحانه وتعالی سنستدرجهم من حیث لا یعلمون وقیل
یسبغ علیهم النعم وینسیهم الشکر والیه اشار القایل

احسنت ظنك بالایام اذ حسنت
ولم تخف سوء ما یاتی به القدر
وسالمتك اللیالی فاغتررت بها
وعند صفو اللیالی یحدث الکدر

واعلم انك کلما صرت اقرب فامرك اخوف واصعب والمعاملة
اشد وادق والخطر علیك اعظم فان الشیء کلما کان

حقایق

طارم

ابلغ علوا اذا انقلب كان اصعب وقوعا كما قيل ما طير فارتفع
الا كما طار وقع فاذن لا سبيل الى الامن واغفال الشكر
وترك الابتهال في الحفظ بحال وكان ابراهيم بن ادهم رحمه الله
يقول كيف تامن وابراهيم الخليل صلوات كان يقول
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ويوسف عليه السلم يقول
توفني مسلما والحقني بالصالحين وكان سفيان الثوري رحمه الله

سلم

لايزال يقول اللهم سلم سلم كانه في سفينة يخشى الغرق وبلغنا
عن محمد بن يوسف انه قال تاملت سفيان الثوري ليلة
فبكى الليل اجمع فقلت بكاؤك هذا على الذنوب قال فحمل
تبنا وقال الذنب اهون على الله عز وجل من هذا انما اخشى
ان تسلبني الاسلام والعياذ بالله وسمعت انا بعض العارفين
يقول ان بعض الاولياء سئل الله تعالى عن بلعام وطرده
بعد تلك الايات والكرامات فقال الله تعالى لم يشكرني
يوما من الايام على ما اعطيته ولو شكرني على ذلك مرة
واحدة لما سلبته فتيقظ ايها الرجل واحتفظ بركن
الشكر جدا واحمد الله عز وجل على منته في الدين اعلاها
الاسلام والمعرفة وادناها مثلا توفيق تسبيح او عصمة
عن كلمة لا تعنيك عسى ان يتم نعمته عليك ولا يبتليك

بمرارة

بمرارة الزوال فان امر الامور واصعبها الاهانة بعد الاكرام
والطرد بعد التقريب والفراق بعد الوصال وهو تعالى
الماجد الكريم الرؤف الرحيم فصل وجملة الامر
انك اذا احسنت النظر في منن الله عز وجل العظام عليك
واياديه الكرام الجسام لديك التي لا تحصرها قلبك ولا
تحيط بها وهمك حتى خلفت هذه العقبات الصعبات
فوجدت العلوم والبصاير وتطهرت من الاوزار والكباير
وسبقت العوايق ودفعت العوارض وطرحت البواعث
وسلمت من القوادح فكم حصل لك فيها من خصلة شريفة
ورتبة منيفة اولها التبصير والتعريف واخرها التقريب
والتشريف فتاملت فيها بمقدار عقلك وتوفيقك و
وشكرت الله عز وجل على قدر طوقك بان تشغل لسانك
بحمده وثنائه وتملأ قلبك بعظمته ليمنعك ويحول بينك
وبين عصيانه ويبعثك على الخدمة لربما استكمل او سعة
طاقتك معترفا بالقصور عن حق افضاله واحسانه وكلما
اغفلت شكره او فترت او زللت عاودت او اجتهدت
وتضرعت اليه وتوسلت وقلت يا الله يا مولاي كما بدأت
بالاحسان بفضلك من غير استحقاق فاتممه بفضلك ايضا

من غير استحقاق وشناديد مبناء الاولياء الذين وجدوا تاج
هدايته وذاقوا حلاوة معرفته فخافوا على انفسهم حرقة
الطرد والاهانة ووحشة البعد والضلالة ومرارة العزل
والازالة فتضرعوا بالباب مستغيثين ومدوا اليه الاكف
مبتهلين ونادوا في الخلوات مستصرخين ربنا لا تزغ قلوبنا
بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب
فكنت انا تقديره والله اعلم انا وجدنا منك نعمة فطمعنا
في الخزي لانك انت الجواد الوهاب فكما وهبت مزيد الانعام
في الابتداء فهب لنا رحمة الانتهاء اما تسمع ويحك ان اول
دعاء علمه رب العالمين عبادة المسلمين الذين اصطفاهم
من بين خلقه هذا الدعاء قوله اهدنا الصراط المستقيم اي
ثبتنا عليه وادمه لنا هكذا تتضرع اليه فان الخطر عظيم وقيل
ان الحكماء نظروا وافردوا مصايب العالم وجمعها الى خمس المرض
في الغربة والفقر في الشيب والموت في الشباب والعمى
بعد البصر والنكر بعد المعرفة واحسن من ذلك قول من قال

لكل شيء اذا فارقته عوض — وليس لله ان فارقت من عوض
اذا ابقت الدنيا على المرء دينه — فما فات منها فليس بضاير

وكذلك في كل نعمة انعم بها عليك وتاييد ايده به في قطع

الاتمام فخم

عز

عقبة من العقبات ليثبت عليك ما اعطى ويزيدك فوق
ما تود وتتمنى فاذا فعلت كنت قد خلفت هذه العقبة
الخطيرة وظفرت بالكنزين الكريمين العزيزين اللذين هما
الاستقامة والاستزادة فتدوم لك النعم الموجودة التي
اعطاكها فلا تخشى فواتها وكنت حينئذ من العارفين العلماء
بالدين التائبين الطاهرين الزاهدين في الدنيا المتجردين
للخدمة القاهرين للشيطان المتقين حق التقوى بالقلب
والاركان القاصرين للامل الناصحين الخاشعين المتواضعين
المتوكلين المفوضين الراضين الصابرين الخائفين المخلصين
الذاكرين المنيبين الشاكرين لانعم سيدك رب العالمين ثم
تصير بعد ذلك من المستقيمين المكرمين الصديقين فتامل
هذا الكلام والله عز وجل ولي التوفيق فان قلت اذا
كان الامر كذلك لقد قل من الناس العابد لهذا المعبود
الواصل الى هذا المقصود ومن الذي يقوى على هذه
المؤن وتحصيل هذه الشرايط فاعلم ان الله عز وجل لذلك
يقول وقليل من عبادي الشكور ولكن اكثر الناس لا
يشكرون لا يعقلون لا يعلمون ثم ان ذلك يسير على من يسره
الله عز وجل عليه وعلى العبد الاجتهاد وعلى الله سبحانه الهداية

[illegible]

قال الله عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
واذا كان العبد الضعيف يقوم بما عليه فما ظنك بالرب
القدير الغني الكريم الرحيم فان قلت فالعمر قصير وهذه
عقبات طويلة شديدة فكيف يبقى العمر حتى تكمل هذه الشرايط
وتقطع هذه العقبات فلعمري ان العقبات طويلة والشرايط
فيها شديدة ولكن اذا اراد الله عز وجل ان يجتبي عبده قصر
عليه طولها وهون عليه شديدها حتى يقول بعد قطعها
ما اقرب هذه الطريق واقصرها وما اهون هذا الامر
وايسره وفي مثل ذلك قلت شعر عند وقوفي على هذه الغاية علم
المجد واضح لمريده وارى القلوب عن المجد في عمى ولقد عجبت
لهالك ونجاته موجودة ولقد عجبت لمن نجى حتى منهم من
يقطع هذه العقبات في سبعين سنة ومنهم من يقطعها
في عشرين سنة وفي عشر سنين ومنهم من يحصل له في
سنة ومنهم من يقطعها في شهر بل في جمعة بل في ساعة
حتى ان منهم من يحصل في لحظة بتوفيق خاص وعناية سابقة
اما تذكر اصحاب الكهف كان مدتهم خطيرة حيث راوا التغيير
في وجه ملكهم دقيانوس حتى فقالوا ربنا رب السموات والارض
حصلت لهم المعرفة وابصروا ما في هذا الطريق من الحقايق

وقطعوا هذا الطريق فصاروا معرضين مستقيمين
اذ قالوا فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته و
كل ذلك انما حصل لهم في مقدار ساعة او لحظة اما تذكر
سحرة فرعون ما كان مدتهم الا لحظة حتى راوا المعجزة
موسى عليه السلم فقالوا امنا برب العالمين فابصروا
الطريق وقطعوه حقه فصاروا من ساعة الى ساعة
بل اقل من العارفين بالله عز وجل الراضين بقضائه
الصابرين على بلائه الشاكرين لالائه المشتاقين الى لقائه
فنادوا لا ضير انا الى ربنا المنقلبون ولقد حكينا ان ابرهيم
بن ادهم كان على ما كان عليه من امر الدنيا فعدل عن ذلك
وقصد هذا الطريق فلم يكن الا مقدار مسيره من بلخ الى
مرو الروذ حتى صار بحيث اشار الى رجل سقط من القنطرة
في الماء الكثير هنالك ان قف فوقف الرجل مكانه في الهواء
فتخلص وان رابعة البصرية كانت امة كبيرة يطاف بها
في سوق البصرة لا يرغب فيها احد لكبر سنها فرحمها بعض
التجار فاشتراها بنحو من مائة درهم واعتقها فاختارت هذه
الطريق واقبلت على العبادة فما تمت لها سنة حتى زارها
زهاد البصرة وقراؤها وعلماؤها لعظم منزلتها واما الذي

لم يسبق العناية ولم يعاين بالفضل فيتوكل الى نفسه وربما
يبقى في شعب من عقبة واحدة سبعين سنة ولا
يقطعها وكم يصيح ويصرخ ما اظلم هذا الطريق و
اشكله واعسر هذا الامر واعضله فان الشان كله الى اصل
واحد وذلك تقدير العزيز العليم العدل الحكيم فان قلت
فلم اختص هذا بالتوفيق الخاص وحرم هذا وكلاهما مشتركان
في ربقة العبودية فعند هذا السوال ينادي من سرادق
الجلال ان الزم الادب واعرف سر الربوبية وحقيقة العبودية
فانه لا يسال عما يفعل وهم يسالون قلت اما مثال هذا
هذا الطريق في الدنيا الصراط في الاخرة في عقباتها
ومسافاتها ومقاطعها واختلاف احوال الخلايق فيها
فمنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه كالريح
العاصف ومنهم كالفرس الجواد واخر كالطاير واخر يمشي
واخر يزحف حتى يصير فحمة واخر يسمع حسيسها واخر
يوخذ بالكلاليب فيطرح في جهنم وكذلك حال هذا الطريق
مع سالكيها في الدنيا فهما صراطان صراط الدنيا وصراط
الاخرة فصراط الاخرة للانفس يرى اهوالها اهل
الابصار وصراط الدنيا يرى احوالها ذوو البصاير و

الالباب وانما اختلفت احوال السالكين في الاخرة لاختلاف
احوالهم في الدنيا فتامل ذلك حق فهذه هذه وبالتوفيق

فصل

ثم اعلم ما هو التحقيق في هذا الباب وهو انه ليس هذا الطريق
في طوله وقصره مثل المسافات الفانية التي تسلكها الانفس فتقطعها
على حسب قوة الانفس وضعفها انما هو طريق روحاني تسلكه القلوب
فتقطعها الافكار على حسب العقايد والبصاير واصله نور سماوي
ونظر الهي يقع في قلب العبد ينظر نظرة فيرى بها امر الدارين بالحقيقة
ثم هذا النور يطلبه العبد مائة سنة فلا يجده ولا اثرا منه وذلك
لخطائه في الطلب وتقصيره في الاجتهاد وجهله بطريق ذلك واخر
يجده في خمسين واخر في عشرة واخر في يوم واحد واخر في ساعة واخر
في لحظة بعناية رب العالمين وهو ولي التوفيق لكن العبد مامور بالاجتهاد
فعليه ما امر والامر مقسوم مقدور والرب حاكم عدل يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد فان قلت ما اعظم هذا الخطر واشد هذا الامر وما اكثر
ما يحتاج اليه هذا العبد الضعيف وكل هذا العمل والجهد وتحصيل
هذه الشرايط لماذا فاقول لعمري انك لصادق في قولك ان
الامر شديد والخطر عظيم ولذلك قال الله تعالى لقد خلقنا
الانسان في كبد وقال عز وجل انا عرضنا الامانة على السماوات
الاية ولذلك قال سيد المرسلين صلى الله عليه واله لو علمتم ما

اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وما روي ان المنادي ينادي من
السماء ليت الخلق لم يخلقوا او ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا
ولذلك يقول السلف الصالح فعن ابي بكر رضي الله عنه انه قال وددت
مخافة العذاب وعن عمر عليه اللعنة انه سمع انسانا يقرأ هل اتى على
الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فقال يا ليتها تمت
وقال ابو عبيدة لعنه الله وددت اني كبش لاهلي فيتبرون
لحمي ويحتسون مرقي ولم اخلق وعن وهب بن منبه خلق ابن ادم احمق
ولولا حمقه ما هنا عيش وعن الفضيل اني لا اغبط ملكا مقربا و
لا نبيا مرسلا ولا عبدا صالحا اليس هؤلاء يعاينون القيامة
انما اغبط من لم يخلق وعن عطاء السلمي لو ان نارا اوقدت وقيل
من القى نفسه فيها صار لا شيء لخشيت ان اموت من الفرح قبل ان
اصل الى النار فالامر اذن ايها الرجل شديد كما تقول بل
اشد واعظم مما تظن وتتوهم ولكن امر سبق في العلم القديم وتدبير
اجراه العزيز العليم لا حيلة للعبد الا بذل المجهود في العبودية
والاعتصام بحبل الله عز وجل والابتهال اليه دائما عسى ان يرحمه الله
تعالى فيسلمه بفضله واما قولك كل هذا لماذا فهذا كلام يدل منك
على غفلة عظيمة بل الصواب ان يقول كل هذا في جنب ما يطلبه
العبد الضعيف ماذا الذي يطلب العبد الضعيف اقل ما يطلبه

على

ابي كنت حسيا خضراء يأكلني الدواب م

الغبط حال كسي آرزو كردن

على الجملة شيئان احدهما السلامة في الدارين والثاني الملك
في الدارين اما السلامة فان الدنيا وافاتها وغوائلها بحيث لم
يسلم منها الملائكة المقربون وقد سمعت حديث هاروت وماروت
حتى روي انه اذا عرج بروح عبد الى السماء تقول ملائكة السموات
متعجبين كيف نجا هذا من دار فسد فيها خيارنا وان الاخرة في
اهوالها وشدائدها بحيث يصرخ فيها الانبياء نفسي نفسي
لا اسئلك اليوم الا نفسي حتى روي انه لو كان للرجل عمل
سبعين نبيا لظن انه لا ينجو فمن اراد ان يسلم من فتن هذه فيخرج
منها بالاسلام سالما لا نصيب فتنة اهوالها فيدخل الجنة
سالما لا نصيبه نكبة ايكون ذلك امرا هينا واما الملك
والكرامة فان من الملك نفاذ التصرف والمشية وان
ذلك بالحقيقة في الدنيا لاولياء الله عز وجل واصفيائه
الراضين بقضائه البر والبحر لهم قدم والحجر والمدر لهم ذهب
وفضة والجن والانس والبهائم والطيور لهم مسخرون لا يشاؤن
شيئا الا وهو كائن لانهم لا يشاؤن الا ما يشاء الله عز
وجل وما شاء الله كان ولا يهابون احدا من الخلق ويهابهم
كل الخلق لا يخذون احدا الا الله عز وجل لا يخذون احدا الا
الله عز وجل ويخذهم كل من دون الله عز وجل واني للملوك

والسلام

بعشر معشار هذه الرتبة بل هم اقل واذل واما ملك الاخرة

فيقول الله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا او

اعظم مما يقول فيه رب العزة انه ملك كبير وانت تعلم ان

الدنيا باسرها قليلة وان بقاءها من اولها الى اخرها لقليل

ونصيب احدنا من هذا القليل قليل ثم الواحد منا قد يبذل

ماله وروحه حتى ربما يظفر بقدر قليل من هذا القليل في

بقاء قليل وان حصل له ذلك فيعد ذلك بل يغبط ولا يستكثر

ما بذل فيه من المال ونحو ما ذكر عن امرئ القيس حيث يقول

والنفس

بكا صاحبي لما راى الدرب دونه ؛ وايقن انا لاحقان بقيصرا ؛

فقلت له لا تبك عينك انما ؛ نحاول ملكا او نموت فنعذرا ؛

فكيف حال من يطلب الملك الكبير في دار النعيم الخالد المقيم

ايستكثر مع ذلك ان يصلي ركعتين لله عز وجل او ينفق

درهمين او يسهر ليلتين كلا بل لو كان له الف الف عمر مثل عمر

نفس والوف الف روح
والوف الف عمر م

الدنيا واكثر فبذل ذلك كله في هذا المطلوب العزيز لكان

ذلك قليلا ولئن ظفر بعده بما طلب كان ذلك غنما عظيما

وفضلا من الله عز وجل كبيرا فتنبه ايها المسكين من رقدة

الغافلين ثم اني تاملت ما يعطيه الله عز وجل العبد اذا اطاعه

ولزم خدمته وسلك هذا الطريق عمره فوجدتها على الجملة

اربعين

اربعين كرامة وخلعة عشرون منها في الدنيا وعشرون في العقبى

فاما التي في الدنيا فالاولى ان يذكره الله عز وجل ويثني عليه

واكرم بعبد يكون رب العالمين جل جلاله في ذكره وثنائه

الثانية ان يشكره عز وجل ويعظمه ولو شكرك مخلوق

ضعيف مثلك وعظمك لشرفت به فكيف بالله الاولين و

الاخرين والثالثة ان يحبه ولو احبك رئيس محلة او امير بلدة

لافتخرت بذلك وانتفعت به في مواطن عزيزة فكيف محبة

رب العالمين والرابعة ان يكون له وكيلا يدبر امره والخامسة

ان يكون لرزقه كفيلا يوجهه اليه من حال الى حال من غير تعب

او وبال والسادسة ان يكون له نصيرا يكفيه كل عدو و

يدفع عنه كل قاصد سوء والسابعة ان يكون له انيسا لا

يستوحش بحال ولا يخاف التغير والاستبدال والثامنة عز

النفس فلا يلحقه ذل خدمة الدنيا واهلها بل لا يرضى ان

يخدمه ملوك الدنيا وجبابرتها والتاسعة رفع الهمة فيه

فع

عن التلطخ بمقاذير الدنيا واهلها ولا يلتفت الى زخارفها

وملاهيها ترفع الرجال الالباء عن ملاعب الصبيان

والنسوان والعاشرة غنى القلب فيكون اغنى من كل غني

في الدنيا لا يزال طيب النفس فسيح الصدر لا يهمه حدث

ولا يهمه عدم والحادي عشرة نور القلب فيهتدي بنور قلبه الى
علوم واسرار وحكم لا يهتدي الى بعضها غيره الا بجهد جهيد
وعمر طويل والثانية عشر شرح الصدر فلا يضيق ذرعا بشيء
من محن الدنيا ومصايبها ومؤن الناس ومكايدهم والثالثة
عشر المهابة والموقع في النفوس بحيث يهابه الاخيار والاشرار
ويهابه كل فرعون وجبار والرابعة عشرة المحبة في القلوب
يجعل لهم الرحمن ودا فترى القلوب كلها مجبولة على حبه و
النفوس كلها مطاوعة على تعظيمه واكرامه والخامسة عشرة
البركة العامة في كل شيء من كلام او نفس او فعل او ثوب او
مكان حتى يتبرك بتراب وطيه ومكان جلس فيه يوما وبانسان
صحبه ورآه حينا والسادسة عشرة تسخير الارض من البر والبحر
حتى ان شاء سار في الهواء او مشى على الماء او قطع وجه
الارض باقل من ساعة والسابعة عشرة تسخير الحيوان من الوحش
والسباع والهوام وغيرها فتجيبه الوحوش وتبصبص له
الاسود والثامنة عشرة ملك مفاتيح الارض فحيث ما يضرب
يده فله كنز وحيث ما يضرب رجله فله عين ان احتاج واين
ما نزل فله مائدة تحضره اين قصد والتاسعة عشرة السيادة
والوجاهة على باب رب العزة فيبتغي الخلق الوسيلة الى

الله تعالى بخدمته ويستنجح الحاجات من الله تعالى بوجاهته
وبركته العشرون اجابة الدعوة من الله تعالى فلا يسال
الله عز وجل شيئا الا اعطاه ولا يشفع لاحد الا شفع ولو
اقسم على الله عز وجل لابره بما شاء حتى ان منهم من لو اشار
الى جبل لزال فلا يحتاج الى الاشارة باليد فهذه كرامات
في الدنيا واما التي في العقبى فالحادية والعشرون ان
تهون عليه اولا سكرات الموت وهي التي وجلت قلوب
الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه منها حتى سالوا الله
عز وجل ان يهونها عليهم حتى ان منهم يكون الموت عنده مثل
شربة ماء زلال للظمآن قال الله عز وجل الذين تتوفاهم
الملائكة طيبين والثانية والعشرون التثبيت على المعرفة و
الايمان وهو الذي منه كل الخوف والفزع وعليه كل البكاء
والجزع قال عز من قائل يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا وفي الاخرة والثالثة والعشرون ارسال
الروح والريحان بالبشرى والامان قوله تعالى الا تخافوا
ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون فلا يخاف
ما يقدم عليه في العقبى ولا يحزن على ما خلفه في الدنيا و
الرابعة والعشرون الخلود في الجنان والخامسة والعشرون

الحياة في السر لروحه على ملائكة السموات والالطاف و [بالاكرام]
الانعام ولبدنه في العلانية بتعظيم جنازته والمزاحمة على
الصلوة عليه والمبادرة الى تجهيزه يرجون بذلك اكثر
ثواب ويعدونه اكثر غنم والسادسة والعشرون الامان
من فتنة سوال القبر وتلقين الصواب [الجواب] فيامن ذلك الهول
والسابعة والعشرون توسيع القبر وتنويره فيكون في روضة
من رياض الجنة الى يوم القيمة والثامنة والعشرون ايناس
روحه ونسمته واكرامها بجعلها في جواب طير خضر مع الاخوان
الصالحين فرحين مستبشرين بما اتاهم الله من فضله والتاسعة
والعشرون الحشر في العز والكرامة من حلل وتاج وبراق
الثلثون بياض الوجه ونوره قال الله تعالى وجوه يومئذ
مسفرة ضاحكة مستبشرة الحادية والثلثون الامن من اهوال
القيامة قال الله عز وجل امن ياتي امنا يوم القيامة و
الثانية والثلثون الكتاب باليمين ومنهم من كفي الكتاب
راسا والثالثة والثلثون تيسير الحساب ومنهم من لا يحاسب
اصلا والرابعة والثلثون ثقل الميزان ومنهم من لا يوقف
للوزن اصلا والخامسة والثلثون ورود الحوض على النبي
صلى الله عليه واله فيشرب شربة لا يظماء بعدها ابدا والسادسة

والثلثون

والثلثون جواز الصراط والنجاة من النار حتى ان منهم
من لا يسمع حسيسها وتخمد النار له والسابعة والثلثون
الشفاعة في عرصة القيامة بخواص لشفاعة الانبياء والرسل
والثامنة والثلثون ملك الابد في الجنة والتاسعة والثلثون
الرضوان الاكبر الاربعون لقاء رب العالمين اله الاولين و
الاخرين بلا كيف جل جلاله ثم اقول انما عددت ذلك
على حسب فهمي ومبلغ علمي في قصوره [وتقصيره] ومع ذلك فقد اوجزت
واجملت وذكرت من الاصول والجمل ولو فصلت بعض ذلك
لما احتمله الكتاب الا ترى اني جعلت ملك الابد خلعة
واحدة ولو فصلتها لاربعت على اربعين خلعة من نوع الحور
والقصور واللباس وغير ذلك ثم كل نوع يشتمل على تفاصيل
لا يحيط بها الا عالم الغيب والشهادة الذي هو خالقها
ومالكها واى مطمع لنا في معرفة ذلك وربنا سبحانه يقول
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ثم رسول الله صلى الله
عليه واله يقول خلق فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر والمفسرون يقولون في قوله تعالى لنفد
البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ان هذه هي الكلمات التي يقول
الله تعالى لاهل الجنة باللطف والاكرام وما يكون هذه حاله

فاني يبلغ جزءا من الف الف جزء منه وهم بشر او يحيط به علم
مخلوق وكيف لا بل تقاعدت الهمم وتقاصرت دونه العقول
وحق ان يكون ذلك كذلك وهو عطاء العزيز العليم على
مقتضى الفضل العظيم وحسب الجود القديم الا فليعمل العاملون
وليبذل المجتهدون جهدهم لهذا المطلوب العظيم وليعلموا ان
ذلك كله لا بل قليل في جنب ما هم اليه محتاجون واياه طالبون
وله متعرضون وليعلموا ان العبد لا بد له من اربعة العلم والعمل
والاخلاص والخوف فيعلم اولا الطريق والا فهو اعمى ثم يعمل
بالعلم والا فهو محجوب ثم يخلص العمل والا فهو مغبون ثم لا يزال
يخاف ويحذر من الافات الى ان يجد الامان والا فهو مغرور
ولقد صدق ذو النون رحمه الله حيث قال الخلق كلهم موتى
الا العلماء والعلماء كلهم نيام الا العاملون والعاملون
كلهم مغترون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم قلت
والمحجوب كل المحجوب من اربعة احدها من عاقل غير عالم اما يهتم
بمعرفة ما بين يديه اما يتعرف ما هو مطلع ثم الموت عليه بالنظر
في هذه الدلايل والعبر والاستماع الى هذه الايات والتدبر
والانزعاج لهذه الخواطر والهواجس في النفس قال
الله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق

عاقل

الله من شيء وقال عز وجل الا يظن اولئك انهم مبعوثون
ليوم عظيم والثاني من عالم غير عامل اما يتذكر ما يعلم يقينا
مما بين يديه من الاهوال العظام والعقابات الصعاب
وهذا هو النبا العظيم الذي انتم عنه معرضون والثالث
من عامل غير مخلص الا يتامل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والرابع
مخلص غير خايف اما ينظر الى معاملات رب جل جلاله مع اصفيائه
واوليائه وخدمه الدالة بينه وبين خلقه حتى يقول
لاكرم خلقه عليه ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك
الايات ونحوها حتى كان عليه السلم يقول شيبتني سورة هود
واخواتها ثم جملة الامر وتفصيله ما قال رب العالمين في
اربع ايات من الكتاب العزيز قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا
وانكم الينا لا ترجعون ثم قال جل اسمه ولتنظر نفس ما قدمت
لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ثم قال جل من قايل
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ثم اجمل الجميع فقال
وهو اصدق القايلين ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله
لغني عن العالمين ونحن نستغفر الله عز وجل من كل ما زل
به القدم او طغى به القلم ونستغفره من اقاويلنا التي لا



يوافق اعمالنا ونستغفره مما ادعيناه واظهرناه من العلم

بدين الله عز وجل مع التقصير فيه ونستغفره من كل خطرة

دعتنا الى تصنع وتزين في كتاب سطرناه وكلام نظمناه

او علم افدناه ونسئل ان يجعلنا واياكم معشر الاخوان بما

علمناه عاملين ولوجهه مريدين وان لا يجعله وبالا علينا

وان يضعه في ميزان الأ اردت الينا اعمالنا انه جواد كريم

فهذا ما اردناه ان نذكره في شرح كيفية سلوك طريق

الاخرة وقد وفينا بالمقصود وصلى الله على خير مولود

دعا الى افضل معبود محمد النبي سيد

المرسلين صلى الله عليه

عليهم اجمعين